
Agatha Christie
أجاثا كريستي
أوراق لعب على الطاولة
قصة لـ بوارو

CARDS ON THE TABLE

POIROT

Agatha Christie





للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية – قطر – الكويت – الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarirbookstore.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى ٢٠١٠

حقوق الترجمة العربية والنشر والتوزيع محفوظة لمكتبة جرير

Cards on the Table was first published in 1936.

المملكة العربية السعودية ص.ب. ٣١٩٦ الرياض ١١٤٧١ – تليفون ٤٦٢٦٠٠٠ ١ ٩٦٦+ – فاكس ٤٦٥٦٣٦٣ ١ ٦٦

مقدمة المؤلفة

يسود الاعتقاد أن القصة البوليسية عبارة عن سباق كبير يضم عددًا كبيرًا من المتسابقين، وهذا السباق مكون، على الأرجح، من الفرسان والخيول. وكما يقال فإنه فى هذه السباقات "تدفع مالك وتختار حصانك!". إلا أن الاختلاف يتمثل فى أن الناس لا تختار فى القصة البوليسية بنفس طريقة الاختيار فى السباق: فالذى يتم اختياره فى السباق هو الأكثر قدرة على الفوز، لكن فى القصة البوليسية يقع الاختيار على أقل شخص تحوم حوله الشبهات، أى أن القاتل فى القصص البوليسية هو شخص خارج نطاق الشبهات ـ فقط قم باختيار أقل شخص تحوم حوله الشبهات، تكن قد اخترت القاتل الحقيقى بنسبة ٩٠٪.

ولأننى لا أريد أن يُلقى قرائى المخلصون هذه القصة بعيدًا فى اشمئزاز، فإننى أطمئنهم مسبقًا وأقول إن هذه القصة ليست من تلك النوعية من القصص؛ فليس هناك إلا أربعة متسابقين، يمكن لأى منهم، وفقًا لسير الأحداث، أن يرتكب الجريمة. إنهم أربعة مختلفون تمامًا فى شخصياتهم، ولكل منهم دافع مميز خاص به يختلف تمامًا عن دوافع الآخرين، كل منهم سيستخدم طريقة مختلفة عن طرق الآخرين فى حالة ارتكابه للجريمة ـ إذن، سيكون الاستنتاج نفسيًا تمامًا، إلا أن ذلك ليس هو الشىء الوحيد المثير فى القصة؛ لأنه بعد أن يتم

سرد الأقوال والأفعال، يأتى تقمص عقلية القاتل باعتبار ذلك أكثر الأمور إثارة وأهمية.

كما يمكننى أن أضيف أمرًا فى صالح هذه القصة، وهو أنها واحدة من أفضل القضايا لدى هيركيول بوارو، إلا أن صديقه الكابتن هاستنجز وصف القضية بأنها مملة عندما رواها له بوارو. ترى إلى أى من الرأيين سينحاز القراء؟

المحتويات

		صفحة
الفصل ١.	السيد شايتانا	٢
الفصل ٢.	عشاء فى منزل السيد شايتانا	١١
الفصل ٣.	لعبة الورق	٢٣
الفصل ٤.	القاتل الأول	٣٥
الفصل ٥.	القاتل الثانى	٤٩
الفصل ٦.	القاتل الثالث	٥٧
الفصل ٧.	القاتل الرابع	٦٩
الفصل ٨	مَن منهم القاتل؟	٧٥
الفصل ٩	الدكتور روبرتس	٩١
الفصل ١٠	الدكتور روبرتس (يتبع)	١٠٧
الفصل ١١	السيدة لوريمر	١١٩
الفصل ١٢	آن ميريديث	١٢٩
الفصل ١٣	الزائر الثانى	١٣٩
الفصل ١٤	الزائر الثالث	١٥٣
الفصل ١٥	الرائد ديسبارد	١٦٥
الفصل ١٦	دليل إلزى بات	١٧٥
الفصل ١٧	دليل رودا دوز	١٨٣
الفصل ١٨	جلسة شاى	١٩٥
الفصل ١٩	المداولة	٢٠٣
الفصل ٢٠	دليل السيدة لَكسمور	٢٢٥
الفصل ٢١	الرائد ديسبارد	٢٣٥

الفصل ٢٢	شهادة من كومبيكر	٢٤٣
الفصل ٢٣	دليل زوج الجوارب الحريرية	٢٤٧
الفصل ٢٤	استبعاد ثلاثة قتلة	٢٥٧
الفصل ٢٥	السيدة لوريمر تتحدث	٢٦٥
الفصل ٢٦	الحقيقة	٢٧١
الفصل ٢٧	الشاهد	٢٨٣
الفصل ٢٨	انتحار	٣٨٩
الفصل ٢٩	الحادثة	٣٠١
الفصل ٣٠	جريمة القتل	٣١١
الفصل ٣١	كل الأوراق على الطاولة	٣١٩

الفصل ١

السيد شايتانا

"عزيزى السيد بوارو!".

انطلقت هذه العبارة بصوت ناعم كخرير الماء ـ صوت قصد صاحبه أن يستخدمه فقط كأداة لتوصيل الكلمات ـ فلم يكن ذا نبرة قوية انفعالية أو تلقائية بحتة.

استدار هيركيول بوارو للخلف. ثم انحنى فى احترام مصافحًا محادثه بأسلوب رسمى.

كانت عيناه تتألقان ببريق غير طبيعى ـ بريق يجعل المرء يعتقد أن هذا اللقاء الذى تم بالمصادفة أيقظ فيه شعورًا من النادر أن يعتريه.

رد بوارو التحية قائلًا: "عزيزى السيد شايتانا".

وتوقف كلاهما عن الكلام وبدوا كما لو كانا فارسين يتواجهان فى ساحة الحرب.

كانا يجلسان، بينما يسير المارة من حولهما فى كسل مرتدين ثيابًا أنيقة، وقد أخذ بعضهم يتكلم بصوت عالٍ بينما اكتفى الآخرون بالغمغمة.

"عزيزى ـ إنها رائعة!".

"بكل بساطة، إنها مُلهِمَة، أليس كذلك، يا عزيزى؟".

كانا فى معرض علب التبغ المقام فى ويسيكس هاوس، والذى تم تخصيص عائد رسم الدخول البالغ جنيهًا واحدًا

للفرد لدعم مستشفيات لندن.

قال السيد شايتانا: "عزيزى، من الرائع أن أراك ـ إننا لم نسمع عنك منذ فترة وأنت تتسبب فى سجن شخص أو الحكم عليه بالإعدام؟ أهى فترة ركود فى عالم الجريمة؟ أم أن جريمة سرقة سوف تقع هنا عصر اليوم ـ وتثير اهتمامك؟".

قال بوارو: "للأسف يا سيدى، أنا هنا فى زيارة شخصية".

التفت السيد شايتانا لبرهة ناحية فتاة جميلة صففت شعرها بحيث جعلته مجعدًا على أحد جانبى وجهها، بينما وضعت على الجانب الآخر حلية على شكل طبق من الفواكه مصنوعة من القش.

قال لها السيد شايتانا: "عزيزتى، لماذا لم تأتِ إلى الحفل الذى أقمتُه؟ لقد كان حفلاً مدهشًا! لقد تحدثَ إلىَّ الكثير من الناس! بل إن إحدى السيدات قالت لى: "كيف حالك؟" "وإلى اللقاء"، "وشكرًا جزيلًا لك...". لكنها بالطبع جاءت من جاردن سيتى ـ مع الأسف!".

وبينما كانت الفتاة ترد على السيد شايتانا بما يلائم كلامه، أخذ بوارو يتأمل باهتمام شارب السيد شايتانا الذى كان يزين شفته العليا.

كان الشارب أنيقًا ـ بل كان فى منتهى الأناقة ـ ربما يكون الشارب الوحيد فى لندن كلها الذى يمكن أن ينافس شارب السيد هيركيول بوارو.

إلا أن بوارو قال لنفسه: "لكنه ليس منمقًا كما يجب. لا، إنه أقل من شاربى من كل الأوجه، ومع ذلك، لا يزال يستطيع أن يخطف الأبصار".

كان كل ما فى السيد شايتانا يخطف الأبصار؛ فقد كان مظهره مُصَمَّمًا بحيث يقوم بهذه المهمة ــ فقد تعمد أن يبدو كالشياطين فى الأساطير القديمة. كان طويلاً ونحيفًا، له وجه طويل تعلوه ملامح الكآبة، بينما كان حاجباه شديدى السواد ثقيلين مخطوطين، فيما كان شاربه مدهونًا بالشمع عند طرفيه لكى يبقى مستقيمًا، مع لحية على النمط الإمبراطورى. وكانت ثيابه قطعًا فنية ـ فاخرة جدًا ـ إلا أنها كانت تعطى إيحاءً بالغموض.

إن كل ثرى إنجليزى رآه كان يود أن يركله من فرط الغيرة منه! وكانوا يقولون عندما يرونه فى عدم اكتراث مصطنع: "هذا هو الرجل اللعين، شايتانا!".

أما زوجاتهم وبناتهم وأخواتهم وأمهاتهم، وحتى جداتهم فقد قلنَ، مع اختلاف التعبيرات وفقًا للسن: "إننى أعرفه يا عزيزى ـ إنه فى منتهى الفظاعة، ولكنه فى منتهى الثراء! إنه من يقيم تلك الحفلات الرائعة! ودائما لديه من الأشياء ما هو مسل وساخر ليقوله لك عن الآخرين".

ولا أحد يعرف ما إذا كان السيد شايتانا أرجنتينيًا أم برتغاليًا أم يونانيًا أم من أية جنسية يحتقرها البريطانيون المتعصبون.

إلا أنه كانت هناك ثلاث حقائق مؤكدة تماما بشأنه:

أنه يعيش فى ترف وأناقة فى شقة كبيرة الحجم فى حى بارك لين.

وأنــه يقيم حفـلات مدهشة ـ حفـلات كبيرة وصغيرة وجنائزية ومحترمة، وباختصار حفلات "غريبة".

وأنه رجل يشعر الجميع تقريبًا تجاهه بالقليل من الخوف.

ولكن لماذا لا يمكننا أن نؤكد تلك العبارة الأخيرة بكلمات محددة؟ لقد كان هناك إحساس بأنه يعرف كل شىء تقريبًا عن الجميع، كما كان هناك أيضا إحساس بأن حس الدعابة الذى يتمتع به ينطوى على شىء من الغرابة والبذاءة.

وكان الناس فى الغالب يشعرون بأنه من الأفضل تجنب الاصطدام بالسيد شايتانا.

وقـد كان مـزاج السيـد شايتانــا عصر ذلك اليـوم يدعوه إلى أن يسخــر من الرجـل القصير ذى المظهر المضحك المدعو هيركيول بوارو، فقال:

"أظن أنه حتى رجل الشرطة من حقه أن يحصل على بعض الترفيه!" ابتسم بوارو ابتسامة مرحة، فأضاف السيد شايتانا: "هل تدرس الفن فى هذه السن المتأخرة يا سيد بوارو؟".

"أفهم ما تقصده، لكن ألم تقم أنت نفسك بإعارة المعرض ثلاثة من صناديق التبغ؟".

لوح السيد شايتانا بيده فى استنكار قائلاً:

"يجمع المرء بعض الأشياء البسيطة التافهة من هنا وهناك. لابد أن تأتى إلى شقتى يومًا ما؛ فلدىّ الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام، فأنا لا أقيد نفسى بجمع التحف التى تنتمى إلى فترة

تاريخية معينة، ولا بنوعية معينة من التحف".

فقال بوارو مبتسمًا: "إلا أن ذوقك له طابع دينى مميز".

"إنك على حق".

وفجأة، تراقصت عينا السيد شايتانا، وتجعد جانبا شفتيه، ومال حاجباه بصورة عجيبة قبل أن يقول:

"يمكننى أيضا أن أريك بعض الأشياء التى تنتمى لعالمك يا سيد بوارو!".

"إذن، لديك متحف خاص بالشر".

أصدر السيد شايتانا صوتًا يعبر عن ازدرائه وهو يلوح بأصابعه فى حركات تحمل نفس المعنى قبل أن يقول: "كلا بالطبع، أنا لا أقتنى أشياء مثل الفنجان الذى استخدمه سفاح برايتون، أو عَتَلَة أحد اللصوص المشهورين؛ فكل ذلك مجرد عبث أطفال! إننى لا أسمح لنفسى بأن أجمع مثل تلك القمامة ـ إننى فقط أجمع الأفضل من كل الأنواع".

فسأله بوارو مستفسرًا: "وما الذى تعتبره أفضل الأشياء، من الناحية الفنية، فى مجال الجريمة؟".

مال السيد شايتانا إلى الأمام ووضع إصبعين على كتف بوارو قبل أن يقول فى صوت كالفحيح: "الأشخاص أنفسهم الذين ارتكبوا الجرائم يا سيد بوارو".

ارتفع حاجبا بوارو قليلًا مندهشًا.

فقال السيد شايتانا: "أرأيت، لقد أثرت فزعك يا سيد بوارو، هون عليك يا عزيزى، إن كلينا ينظر إلى الأمور من زاويتين على طرفى النقيض! فبالنسبة لك، تمثل الجريمة

نوعًا من الروتين: جريمة قتل، ثم تحقيق، ثم دليل، وفى النهاية ـ لأنك شخص بارع دون شك ـ إدانة. إن مثل هذه التفاهات لا تثير اهتمامى؛ فاهتمامى لا ينصبُّ أبدًا على أى شىء حقير، فالمجرم الذى تم القبض عليه لا يساوى شيئًا، فهو شىء من الدرجة الثانية. لا، أنا أنظر إلى الأمور من وجهة نظر فنية، ولا أجمع إلا أفضل الأشياء!"

سأله بوارو: "الأفضل الذى..........؟".

قاطعه قائلا: "يا رفيقى العزيز ـ الذين فروا بجريمتهم! الناجحون! المجرمون الذين يعيشون حياتهم دون أن تتطرق إليهم الشبهات. إننى أعترف بأن هذه هواية ممتعة".

"إننى أفكر فى وصف آخر ـ وصف لا علاقة له بالمتعة".

صاح شايتانا دون أن يلقى بالاً لكلمات بوارو: "الدىّ فكرة! سوف أقيم حفل عشاء صغيرًا! عشاء تلتقى فيه مع معروضاتى! إنها بالفعل الفكرة الأكثر إمتاعًا. لا أعرف لماذا لم تواتنى هذه الفكرة من قبل. نعم ـ نعم، إننى أتخيل الموقف كله ـ أتخيل تماما أنه.... يجب أن تعطينى بعض الوقت. لا، ليس الأسبوع المقبل، لنقُل إنه الأسبوع بعد المقبل. هل لديك مواعيد؟ متى يمكننا أن نتقابل؟".

قال بوارو وهو ينحنى: "أى يوم من أيام الأسبوع بعد المقبل سوف يناسبنى".

"جيد. لنقُلْ إنه يوم الجمعة ـ سيكون الموعد يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من الشهر، وسأكتبه فى مفكرتى، لقد أسعدتنى الفكرة كثيرًا".

قال بوارو فى بطء: "لستُ متأكدًا مما إذا كانت سوف تسعدنى كذلك أم لا، لا أعنى أننى لستُ مسرورا بدعوتك ـ لا ـ ليس الأمر كذلك...".

قاطعه شايتانا قائلاً:

"لكنها أثارت صدمة لأفكارك البورجوازية يا رفيقى العزيز، يجب أن تحرر نفسك من القيود التى تفرضها عقلية رجل الشرطة".

عاد بوارو يقول فى بطء:

"إننى لا أنكر أننى أتبع اتجاهًا بورجوازيًّا فى التعامل مع القتلة".

"ولكن، يا عزيزى، لماذا؟ إنه عمل غير عقلانى وغير متقن ويعتبر سفكًا للدماء ـ نعم، قد أتفق نسبيًا معك إلا أن القتل يمكن أن يكون فنًا، ويمكن للقاتل أن يكون فنانًا".

"نعم، أعترف بذلك".

سأله السيد شايتانا: "ماذا، إذن؟".

"إلا أنه يظل قاتلاً!".

"ولكن يا سيد بوارو، إن قيامه بالقتل بإتقان يمثل مبررًا قويًا جدًّا للفعل؛ فأنت تريد أن تأخذ كل قاتل وتضع الأصفاد فى يديه، وتلقى به فى السجن، وفى النهاية تُعدمه مع ساعات الصباح الأولى، دون أى خيال فى الموضوع. فى رأيى، يجب على القاتل الناجح بحق أن يتلقى معاشًا من المال العام، وتتم دعوته على العشاء!".

هز بوارو كتفيه وقال:

"إننى لا أفتقد للحس الفنى فى الجريمة كما تعتقد؛ فمن الممكن أن أعجب بقاتل، ومن الممكن أيضًا أن أعجب بنمر ـ هذا الحيوان بديع المظهر ذى الخطوط السوداء على جسده. إلا أننى سوف أعجب به وأنا أقف خارج قفصه، ولن أدخل القفص، أعنى ما لم تصبح هذه مهمتى؛ لأن النمر ـ كما تعلم يا سيد شايتانا ـ يمكنه أن يقفز و...".

ضحك السيد شايتانا مقاطعًا قبل أن يقول:

"أفهم ما تقصده، ولكن ماذا عن القاتل؟".

قال بوارو فى صوت خفيض: "ربما يقتل".

"يا لك من شخص تثير المخاوف بلا داع يا رفيقى العزيز! إذن، لن تأتى لترى مجموعتى من ـ النمور؟".

"على العكس ـ سأشعر بالافتتان".

"يا لك من شجاع!".

"أنت لا تفهمنى على الإطلاق يا سيد شايتانا ـ لقد تكلمتُ على سبيل التحذير. لقد طلبتَ منى لتوك أن أعترف بأن مجموعتك ممتعة، وقلتُ إننى أبحث عن كلمة أخرى لوصفها غير كلمة ممتعة؛ فإن هذه الكلمة خطرة للغاية، وأعتقد يا سيد شايتانا أن هوايتك من الممكن أن تكون خطرة".

أطلق السيد شايتانا ضحكةً فيها الكثير من الشر. ثم قال:

"هل ستأتى إذن يوم الثامن عشر؟".

هز بوارو رأسه هزةً بسيطةً معلنا عن موافقته، قبل أن يقول:

"سآتى فى اليوم الثامن عشر من الشهر. شكرًا جزيلاً".

قال السيد شايتانا وهو مستغرق فى أحلامه: "سوف أقيم حفلاً صغيرًا. لا تنسَ. فى الثامنة مساء".

وابتعد بينما وقف بوارو ينظر إليه لبرهة أو اثنتين، وهز رأسه فى بطء وتفكير.

الفصل ٢

عشاء فى منزل السيد شايتانا

انفتح باب شقة السيد شايتانا دون صوت بعدما جذبه خادم رمادى الشعر، ليدخل بوارو، ثم أغلقه من جديد دون ضوضاء، وأخذ من بوارو معطفه وقبعته بأسلوب أنيق.

ثم غمغم فى صوت لا يحمل أية تعبيرات:

"ما اسم حضرتك؟".

"السيد هيركيول بوارو".

دوى صوت همهمة عبر الردهة عندما فتح الخادم أحد الأبواب، وقال: "السيد هيركيول بوارو".

خرج شايتانا من الباب وقد حمل فى يده كأسًا من الشراب، وكان، كما هى العادة، معتنيًا بأناقة ثيابه. كذلك كان التعبير الشيطانى زائدًا فى تلك الليلة، فيما حمل حاجباه توكيدًا لذلك، نظرًا للطريقة الساخرة التى انعقدا بها.

"دعنى أعرفك بضيوفى ـ هل تعرف السيدة أوليفر؟".

استمتع الجزء الاستعراضى فى نفس السيد شايتانا برعدة الانبهار التى ظهرت على جسد بوارو.

كانت السيدة أريادن أوليفر واحدة من أبرز كتاب القصص البوليسية، كما كانت صاحبة مقالات خفيفة (وإن لم تكن بالضرورة تعنى بقواعد اللغة) عن الميل للجريمة، والشخصيات الإجرامية الشهيرة، والقتل للقتل فى مقابل القتل لتحقيق

الربح، كما كانت مدافعة متحمسة عن حقوق المرأة. وعندما تنشغل الصحافة بأخبار أحد القتلة ذوى الأهمية، فمن المؤكد أنها سوف تنشر مقابلة مع السيدة أوليفر، وقيل إن السيدة أوليفر قالت ذات مرة: "آه، لو تتولى امرأة رئاسة دولة فى يوم من الأيام!"؛ فقد كانت من المؤمنات المخلصات بقضية المرأة.

كذلك كانت امرأة محبوبة، وفى منتصف العمر، وجميلة، إلا أنها لم تكن أنيقة المظهر، بعينيها اللطيفتين وكتفيها الكبيرتين وشعرها الرمادى الكثيف الذى كانت تعبث به باستمرار، وفى أوقات أخرى، كانت تبدو فى مظهر المثقفين؛ حيث كانت تعقص شعرها إلى الخلف بشدة فيتجمع حول عنقها، وفى أوقات أخرى كانت تظهر وقد ارتدت زيًا محتشمًا، أو تصفف شعرها فيما يشبه التجاعيد، أما فى هذه الليلة، فقد صففت السيدة أوليفر شعرها بطريقة جعلته يبدو كالأهداب.

حيت السيدة أوليفر السيد بوارو، الذى التقته فى السابق فى عشاء أدبى، بصوت لطيف.

ثم قال السيد شايتانا: "ولابد أنك تعرف السيد باتل كبير المفتشين".

خرج رجل ذو وجه كبير مربع متخشب الملامح. ولم يكن الناظر إلى ذلك الشخص يشعر فقط أنه مصنوع من خشب، بل من خشب جاء من بارجة عسكرية.

وكان من المفترض أن هذا الرجل هو أحد أكبر مفتشى سكوتلانديارد، إلا أنه كان يبدو دائما متبلد الحس وغبيًا.

قال كبير المفتشين: "إننى أعرف السيد بوارو جيدًا!".

انفرج وجهه الخشبى عن ابتسامة ثم عاد إلى طبيعته الأولى الخالية من التعبير.

واصل السيد شايتانا قائلا: "الكولونيل ريس".

لم يكن بوارو قد التقى الكولونيل ريس من قبل، إلا أنه كان يعرف شيئًا عنه. كان رجلاً أسمر بلون البرونز، ووسيمًا، وفى الخمسينات من العمر، وكان من المعتاد وجوده فى المناطق النائية من الإمبراطورية، وخاصة تلك التى تعانى من اضطرابات. وعلى الرغم أن مصطلح "المخابرات" كان تعبيرًا غامضًا، إلا أنه كان أفضل وصف لطبيعة الأعمال التى يقوم بها الكولونيل ريس.

كان بوارو الآن يشعر بأنه مأخوذ، كما كان يشعر بالتقدير تجاه حس الدعابة لدى مضيفه.

كان السيد شايتانا يقول: "لقد تأخر ضيفاى الآخران - أعتقد أنه خطئى، فأظن أننى قلتُ لهما إن الموعد فى الثامنة والربع".

فى تلك اللحظة، انفتح الباب وقال الخادم: "الدكتور روبرتس".

دخل الرجل بنوع من الاستعراضية وخفة الدم. كان رجلاً مرحًا مبتهجًا فى منتصف العمر، وكان ذا عينين براقتين مع لمسة من الجرأة، مع ميل للامتلاء، مع إحساس عام يوحى بالنظافة والتعقيم المميز لممارسى المهن الطبية. كان سلوكه يحمل المرح والثقة، وكان من نوعية الأطباء الذين تشعر بأن تشخيصهم سليم وأن طريقة علاجهم مقبولة وعملية، وكان

رجلاً ذا خبرة جمعها من الترحال!

قال الرجل فى حرارة: "أتعشم ألا أكون قد تأخرت".

وصافح مضيفه الذى قدمه إلى الآخرين، وشعر الطبيب بسرور خاص لمقابلة المفتش باتل.

"أظن أنك أحد كبار المفتشين فى سكوتلانديارد، أليس كذلك؟ هذا مثير! إننى أعلم أنه ليس من المناسب أن تتكلم عن أسرار مهنتك، لكننى أحذرك من أننى سوف أحاول دفعك لذلك. ربما كان هذا السلوك سيئًا جدًا بالنسبة لطبيب. يجب ألا أقول ذلك لمرضاى سريعى الانفعال ـ ها... ها!".

ومرة ثانية، انفتح الباب.

ودخلت السيدة لوريمر ـ وكانت امرأة أنيقة الثياب فى الستين من عمرها جميلة الملامح وقد صففت شعرها بعناية، وكان صوتها واضحًا وقاطعًا.

قالت وهى تتقدم تجاه صاحب الضيافة وتقول: "أتعشم ألا أكون قد تأخرت"، واستدارت بعيدا عنه لتحيى الدكتور روبرتس، الذى كانت على معرفة سابقة به.

بعدها، قال الخادم: "الرائد ديسبارد".

كان الرائد ديسبارد رجلاً طويلاً نحيلاً، ووسيم الملامح، وقد حمل وجهه آثار جرح على صدغه. وبعدما انتهى التعارف، مال تلقائيًا إلى جانب الكولونيل ريس، وسرعان ما اندمج الاثنان فى الحديث عن الرياضة، وخبرات كل منهما فيما يتعلق بالسفارى.

وللمرة الأخيرة انفتح الباب وقال الخادم:

"الآنسة ميريديث".

دخلت القاعة فتاة فى العشرينات من عمرها، متوسطة الحجم وجميلة. كانت شعرها مجعدًا، وقد احتشد حول عنقها، بينما كانت عيناها الرماديتان كبيرتى الحجم وواسعتين، ووضعت على وجهها مساحيق تجميل كثيفة، إلا أنها لم تجعل جمالها يبدو مصطنعًا. وكان صوتها منخفضًا وخجولاً إلى حد ما.

قالت: "يا إلهى. هل أنا آخر من حضر؟".

قدم لها السيد شايتانا شرابًا ورد عليها ردًا منمقًا مجاملاً. وكانت عمليات التعارف التى يقوم بها رسمية للغاية.

وترك الفتاة تجلس بجوار بوارو وهى ترتشف قليلاً من شرابها.

قال بوارو مبتسمًا: "إن صديقنا يلتزم بالشكليات".

وافقته الفتاة قائلة:

"أدرك ذلك؛ حيث يتخلى الناس فى تلك الأيام عن عملية التقديم، ويكتفون بالقول: وأعتقد أنك تعرف كل الحاضرين، ويتركون الأمر هكذا!".

"سواء كنت تعرفين الحاضرين أم لا؟".

"سواء كنت تعرف الحاضرين أو لا تعرفهم. أحيانا يكون الأمر مربكًا ومثيرا للإحراج، إلا أننى أشعر بأنه مُلِهم".

وترددت قليلا قبل أن تقول:

"هل هذه هى السيدة أوليفر، الكاتبة القصصية؟".

كان صوت السيدة أوليفر يرتفع فى قوة فى تلك اللحظة

وهى تتحدث إلى روبرتس، قائلة:

"لا يمكنك أن تفلت من غريزة المرأة؛ فالنساء يعرفن هذه الأشياء".

وأزاحت شعرها للخلف وقد نسيت أن حاجبيها بلا شعر وأن أطراف شعرها هى التى تغطيه.

قال بوارو: "هذه هى السيدة أوليفر".

"التى كتبت رواية "جثة فى المكتبة"؟".

"هى بعينها".

قطبت الآنسة ميريديث حاجبيها قليلاً قبل أن تقول:

"وهذا الرجل المتخشب الملامح ـ الذى دعاه السيد شايتانا بكبير المفتشين؟".

"إنه من شرطة سكوتلانديارد".

"وأنت؟".

"وأنا؟".

"إننى أعرف كل شىء عنك يا سيد بوارو ـ إنه أنت من حل لغز جريمة الأحرف الأبجدية؟".

"آنستى، لقد أصبتنى بالارتباك".

عقدت آنسة ميريديث حاجبيها معا.

ثم قالت: "السيد شايتانا..."، وبعدها توقفت ثم قالت مكررة: "السيد شايتانا...".

قال بوارو فى هدوء: "يمكن للمرء أن يقول عنه إنه "عقل تسيطر عليه فكرة الجريمة" ـ يبدو الأمر كذلك. لا شك فى أنه يريد أن يسمعنا ونحن نتشاجر، إنه يقوم حاليًا بتسخين

الموقف بين السيدة أوليفر والدكتور روبرتس، وهما يتبادلان الآن العبارات المسمومة".

"يا له من رجل غريب!".

"لا. سيد شايتانا".

ارتعدَتْ قليلًا وقالت:

"أشعر دوما أن فيه شيئًا يثير الرعب، ولا تعرف أبدًا ما الذى يمكن أن يثير استمتاعه. ربما... ربما كان شيئًا قاسيًا".

"مثل صيد الثعالب...؟".

"أعنى ـ أوه! شىء غريب".

قال بوارو مقرًّا: "ربما كان يمتلك عقلية مختلة".

"أتقصد عقلية محبة لتعذيب الآخرين؟".

"كلا، كلا. لقد قلتُ عقلية مختلة".

أسرَّت الآنسة ميريديث لـ بوارو وقد انخفض صوتها: "لا أعتقد أنه يروق لى على الإطلاق".

طمأنها بوارو قائلًا: "لكن سيروق لك العشاء الذى سيقدمه ـ لديه طباخ مدهش".

نظرت إليه فى شك، ثم ضحكت.

وصاحت متعجبة: "لست أدرى لماذا أشعر بأنك إنسان".

"ولكننى بالفعل إنسان".

قالت الآنسة ميريديث: "أتعرف، إن كل المشاهير يبدون مرعبين".

"يا آنستى. لا ينبغى أن تشعرى بالذعر، وإنما بالإثارة! ينبغى أن تحضرى مفكرتك وقلمك الحبر".

"حسنًا. هل تعرف؟ لستُ مهتمة بالجريمة. ولا أعتقد أن النساء يهتممن بالجريمة: فالرجال دائما هم من يقرءون القصص البوليسية".

تنهد بوارو بطريقة مصطنعة وغمغم قائلاً: "وا أسفاه! إننى على استعداد لأن أضحى بنصف عمرى فى هذه اللحظة لكى أكون نجمًا سينمائيًّا ولو قليل المكانة".

فتح الخادم الباب، وغمغم قائلاً:

"العشاء جاهز".

كانت نبوءة بوارو فى محلها، إذ كان العشاء شهيًّا، وكانت طريقة تقديمه ممتازة؛ إضاءة خافتة، وخشب مصقول، وزجاج أزرق شديد اللمعان. وفى العتمة، وعلى رأس المائدة، بدا السيد شايتانا أكثر شيطانية.

واعتذر فى تهذيب عن عدم تساوى الضيوف فى عدد الرجال والنساء.

كانت السيدة لوريمر تجلس عن يمينه، وكانت السيدة أوليفر عن يساره. أما الآنسة ميريديث فقد كانت تجلس بين كبير المفتشين والرائد ديسبارد، فيما جلس بوارو بين السيدة لوريمر والدكتور روبرتس.

وغمغم الأخير قائلاً لـ بوارو فى مرح:

"لن تستأثر لنفسك بالفتاة الجميلة الوحيدة طيلة السهرة ـ إنكم لا تضيعون وقتكم أيها الفرنسيون، أليس كذلك؟".

تمتم بوارو قائلاً: "أنا بلجيكى".

فقال الطبيب فى مرح: "أعتقد أنكم تتشابهون عندما يتعلق

الأمر بالنساء يا صديقى".

ثم تخلى عن لهجته المرحة وبدأ فى الحديث بأسلوب أكثر مهنية إلى الكولونيل ريس ـ الجالس بجواره من الجانب الآخر ـ بشأن أحدث التطورات فى مجال علاج مرض النوم.

استدارت السيدة لوريمر إلى بوارو وأخذت تكلمه عن أحدث المسرحيات، وقد كانت آراؤها دقيقة، ونقدها ينم عن ذكاء، وجرى بهما الحديث إلى الكتب ثم إلى عالم السياسة، وقد وجدها بوارو مطلعة للغاية، وعلى قدر كبير من الذكاء.

وعلى الجانب الآخر من المائدة، كانت السيدة أوليفر تسأل الرائد ديسبارد عما إذا كان يعرف بعض السموم غير المعروفة والتى لا يمكن اكتشافها.

"حسنا، هناك سم الكورار".

"يا لك من عتيق الطراز يا عزيزى! لقد تم استخدامه مئات المرات ـ أعنى شيئًا جديدًا!".

"تحافظ القبائل البدائية على استخدام الوسائل العتيقة، ويتبعون الأساليب القديمة الجيدة التى استخدمها أجدادهم وأجداد أجدادهم من قبلهم".

قالت السيدة أوليفر: "هذا تصرف ممل جدًا منهم ـ لقد كنت أعتقد أنهم يقومون دائما بتجريب خلطات الأعشاب وتلك الأشياء الأخرى، وهو ما كنتُ أعتقد دومًا أنه فرصة للمستكشفين؛ فهم يعودون إلى ديارهم ويقتلون أعمامهم الأثرياء بنوع جديد من المركبات الكيماوية التى لم يسمع بها أحد من قبل".

قال ديسبارد: "ينبغى أن تلجئى إلى العلم الحديث فى ذلك لا إلى الغابات؛ ففى المعامل الحديثة على سبيل المثال، توجد مزارع للجراثيم بريئة المظهر، ولكنها تسبب أمراضًا حقيقية".

قالت السيدة أوليفر: "ولكن ذلك لن يروق لجمهورى من القراء؛ وإلى جانب ذلك، سوف يخطئ المرء فى نطق أسماء تلك السموم، والجراثيم العنقودية والجراثيم العقدية، وكل تلك الأشياء، وسيبدو الأمر صعبًا على طاقم السكرتارية، كما أنه سيبدو ثقيلًا ـ ما رأيك فى ذلك يا سيدى المفتش؟".

قال كبير المفتشين: "فى الحياة الواقعية، لا يهتم الناس بأن يكونوا شديدى الذكاء؛ فقد يتمسكون بالزرنيخ؛ لأنه لطيف وسهل الحصول عليه".

قالت السيدة أوليفر: "هذا كلام فارغ؛ لأنه بكل بساطة، هناك العديد من الجرائم التى فشلتم فى سكوتلانديارد فى حلها، ولكن إذا كانت لديكم امرأة هناك...".

"فى الواقع لدينا...".

"نعم، أنت تعنى تلك الشرطيات اللواتى يرتدين القبعات اللطيفة ويرعبن الناس فى الحدائق! لكننى أعنى امرأة تتولى التحقيق فى الجرائم؛ فالنساء يعرفن الكثير عن الجرائم".

قال كبير المفتشين: "إنهن فى العادة مجرمات ناجحات؛ فهن يبقين أيديهن نظيفة، ويكابرن ويجادلن بصورة مدهشة".

ضحك السيد شايتانا بلطف، وقال:

"السم سلاح النساء، لا بد أن هناك الكثير جدًا من النساء اللواتى استخدمنَ السم دون أن يكتشفهن أحد".

قالت السيدة أوليفر فى سعادة، وهى تتناول بعضًا من كبد الإوز: "بالطبع، هناك الكثير جدًا".

وتابع السيد شايتانا فى تأمل: "كذلك لدى الأطباء مثل هذه الفرصة".

صاح الدكتور روبرتس قائلاً وهو يضحك بود: "إننى أحتج على ذلك؛ فعندما نتسبب فى تسمم أحد مرضانا فهذا يكون بصورة عارضة".

قال السيد شايتانا: "إذا كان لى أن أرتكب جريمة"...".

ثم توقف، وكان فى طريقة وقفته هذه ما يجذب الانتباه، فاستدارت كل الوجوه إليه.

لكنه تابع قائلًا: "أعتقد أننى ينبغى أن أجعلها بسيطة. هناك دوما حادثة ـ حادثة إطلاق نار على سبيل المثال، أو أى نوع من الحوادث المنزلية".

ثم هز كتفيه وقال وهو يلتقط زجاجة شرابه:

"ولكن من أنا لأتكلم فى حضرة كل أولئك الخبراء...".

ثم شرب، وانعكس لهب الشمعة على زجاجة الشراب الحمراء، فألقى بظل أحمر على وجهه، وشاربه المدهون بالشمع عند طرفيه ليثبت، ولحيته الصغيرة المنمقة، وحاجبيه غريبى الأطوار...

وساد الصمت للحظة، قبل أن تقطعه السيدة أوليفر قائلة:

"هل الساعة فى حدود الثامنة؟ لقد مر طائر فى السماء... ولم تكن إحدى قدمىَّ فوق الأخرى ـ لا بد أنه غراب أسود!".

الفصل ٣

لعبة الورق

عندما عادت الصحبة إلى حجرة الاستقبال، وجدوا إحدى الموائد المخصصة للعب الورق قد وضعت فى الحجرة، وسرعان ما أحضر لهم الخدم أقداح القهوة.

سأل السيد شايتانا: "من يلعب الورق؟ أنا أعلم أن السيدة لوريمر تلعب الورق، وكذلك الدكتور روبرتس. هل تلعبين يا آنسة ميريديث؟".

"نعم، إلا أننى لستُ ماهرة".

"ممتاز. والرائد ديسبارد؟ جيد - ستلعبون أنتم الأربعة الورق هنا".

قالت السيدة لوريمر: "من حسن الحظ أن تكون هناك مائدة للعب الورق"، وأضافت وهى تنظر نظرة جانبية إلى بوارو: "أنا واحدة من أكثر لاعبى الورق الذين رأيتهم إدمانا للعب. لقد راق لى الأمر، وبكل بساطة لن أخرج لتناول العشاء الآن إذا لم يعقب ذلك لعب الورق! أنا بالفعل على وشك السقوط نائمة، وإننى لأخجل من نفسى لذلك الأمر، لكن الوضع صار ممتعًا".

تم تقسيم اللاعبين، فشكلت السيدة لوريمر والآنسة آن ميريديث فريقا فى مواجهة الرائد ديسبارد والدكتور روبرتس اللذين شكلا فريقا آخر.

قالت السيدة لوريمر وهى تجلس وترتب الورق بأسلوب ينم عن احترافية: "النساء ضد الرجال". وأضافت وهى تخاطب شريكتها فى الفريق: "أريد الورق الأزرق - هل لديك مانع؟ فأنا الأقوى فى الفريق".

قالت السيدة أوليفر وقد تصاعدت مشاعرها النسوية: "احذرى من ألا تفوزى، وأظهرى للرجال أنه لا يمكنهم الاستمرار فى السيطرة على الأمور طيلة الوقت".

قال الدكتور روبرتس وهو يرتب ورق الفريق الآخر: "ليست أمامهما أية فرصة، هاتان المسكينتان العزيزتان. أعتقد أنه دورك يا سيدة لوريمر".

جلس الرائد ديسبارد فى بطء نسبى، وأخذ يحدق إلى الآنسة ميريديث كما لو كان قد اكتشف لأول مرة أنها جميلة.

قالت السيدة لوريمر فى نفاد صبر: "وزع الأوراق، أرجوك". فقام الدكتور روبرتس بتقسيم الورق الذى أعطته إياه فى أسلوب أشبه بالاعتذار.

وبدأت السيدة لوريمر فى اللعب بالأوراق بيد خبيرة.

وهنا قال السيد شايتانا: "هناك مائدة أخرى فى حجرة أخرى".

واتجه إلى باب آخر فتبعه الأربعة الآخرون إلى حجرة تدخين مجهزة بأثاث مريح، وكانت فيها مائدة أخرى للعب الورق.

قال الكولونيل ريس: "يجب أن نوزع أنفسنا".

فقال السيد شايتانا: "ولكننى لا ألعب الورق. وهذه اللعبة

ليست من بين الألعاب التى أحبها".

واعترض الآخرون لأنهم كانوا يريدون أن يلعبوا، إلا أنه أصر على موقفه. وفى النهاية جلس الأربعة حول المائدة: بوارو والسيدة أوليفر فى مواجهة المفتش باتل والكولونيل ريس.

راقبهم السيد شايتانا قليلًا وابتسم بأسلوبه الشيطانى عندما لاحظ الطريقة التى كشفت بها السيدة أوليفر عن أن لديها إحدى الأوراق الرابحة فى اللعب، وبعدها انسحب دون صوت إلى الحجرة الأخرى.

وكان الأربعة الآخرون الجالسون فى الحجرة الأولى قد اندمجوا تمامًا فى اللعب، وأخذوا يتصايحون فيما بينهم وهم يتبادلون أوراق اللعب.

ووقف السيد شايتانا يتأملهم وهو يبتسم لنفسه.

ثم عبر الحجرة وجلس على أحد المقاعد الكبيرة بجوار المدفأة، وكانت توجد صينية عليها الشراب قد وضعت على المائدة القريبة من المقعد، فانعكس وهج نار المدفأة على قمم زجاجات الشراب الكريستالية.

ولكونه فنانًا فى الإضاءة، قام السيد شايتانا بترتيب الإضاءة فى الحجرة لتصبح كما لو كانت حجرة قد اشتعلت فيها النيران. وكان بجوار مرفقه مصباح صغير قد وضعه لكى يقرأ على ضوئه متى أراد، وقد أضفى توزيع الإضاءة الهادئ على الحجرة طابعًا هادئًا. وكان هناك ضوء أكثر تركيزًا قد تم تسليطه على مائدة اللعب التى تواصلت الهتافات فى الانبعاث من اللاعبين الجالسين حولها بصورة تبعث على الملل.

فكانت السيدة لوريمر تقول بصوت قاطع: "معى واحد".

فيرد عليها الدكتور روبرتس وقد اكتسى صوته بحدة نسبية: "معى ثلاثة".

بينما ارتفع صوت الآنسة ميريديث الهادئ يقول: "لا شىء معى".

إلا أنه كانت دومًا هناك فترة صمت قبل أن يأتى صوت ديسبارد، وكان صوته يوحى بأنه أحد المفكرين أو من أولئك الأشخاص الذين يحبون أن يفكروا قبل أن يتكلموا.

"أربعة من القلوب".

"زوج".

وبينما التمع وجهه بضوء النيران المتراقص، ابتسم السيد شايتانا.

ابتسم واستمر فى الابتسام، وتراقص جفناه قليلاً...

كانت حفلته تعجبه

. . . .

قال الكولونيل ريس لـ بوارو: "ورقك جيد وأداؤك جيد. لم أكن أحسَب أنك تستطيع اللعب بهذه المهارة، ولحسن الحظ، فليس لديهم ورق جيد".

قال المفتش باتل فى لهجة شخص ذى رحابة صدر كبيرة: "لم يكن ذلك ليصنع فارقا".

وكان المفتش باتل قد طلب اللعب حسب العلامة "البستونى"، وكانت السيدة أوليفر تملك "بستونى" وهى ورقة قوية إلا أن حدسها أخبرها بأن تدخرها للقيام بلعبة أخرى ـ وهو الأمر

الذى كان ذا نتائج كارثية عليها.

نظر الكولونيل ريس إلى ساعته وقال: "الثانية عشرة وعشر دقائق، هل هناك وقت للعب دور آخر؟".

قال المفتش باتل: "أرجو أن تعذرونى؛ فقد أصبحت من طراز الرجال الذين يأوون مبكرًا إلى فراشهم".

قال بوارو: "وأنا أيضا".

فقال ريس: "يجب أن نجمع الأرقام ونرى من الفائز".

كانت حصيلة خمس جولات من اللعب فوزًا ساحقًا للرجال، وقد لحقت بالسيدة أوليفر خسائر كبيرة، بينما كان الفائز الأكبر هو الكولونيل ريس.

وعلى الرغم من أن السيدة أوليفر كانت لاعبة ورق سيئة، إلا أنها كانت تتمتع بروح رياضية مرتفعة، وتقبلت الخسارة بابتسامة.

وقالت: "لم يَسِر أى شىء الليلة معى على ما يرام؛ يبدو الأمر كما لو أن الحظ يساندنى أحيانًا ويعاندنى أحيانًا أخرى؛ فقد كانت معى أوراق رائعة بالأمس، وحققتُ مكاسب كبيرة".

ونهضت وحملت حقيبتها المزخرفة التى تناسب السهرات، وامتنعت فى اللحظة الأخيرة عن رفع شعرها عن حاجبها، وهى تقول:

"أعتقد أن مضيفنا فى الحجرة المجاورة".

وسارت باتجاه الباب الواصل بين الحجرتين والجميع خلفها.

كان السيد شايتانا فى مقعده بجوار النار، وكان جميع

اللاعبين منغمسين فى اللعب.

"خمسة".

"خمسة".

اتجهت السيدة أوليفر نحو مائدة اللعب، وقد بدا أن هناك مباراة حامية الوطيس تجرى.

وتبعها المفتش باتل.

أما الكولونيل ريس فقد اتجه نحو السيد شايتانا، ومن خلفه بوارو.

قال ريس: "سريع الملل أنت يا سيد شايتانا".

إلا أن السيد شايتانا لم يرد، فقد سقط رأسه للأمام وبدا وكأنه راح فى النوم، فنظر ريس نظرة تعجب إلى بوارو، واقترب أكثر من السيد شايتانا، وفجأة أطلق شهقة مكبوتة، ومال إلى الأمام. وفى لحظة، كان بوارو إلى جانبه، وهو ينظر إلى ما يشير إليه الكولونيل ريس ـ كان يبدو وكأنه عروة فى قميص شايتانا، إلا أنه لم يكن كذلك...

مال بوارو ورفع إحدى يدى السيد شايتانا، وتركها تسقط والتقت عيناه بعينى ريس المتسائلتين وهز رأسه بالإيجاب فرفع الأخير صوته مناديًا:

"أيها المفتش، لحظة من فضلك".

أتاه المفتش باتل، فيما استمرت السيدة أوليفر فى متابعة المباراة.

كان المفتش باتل سريعًا فى حركته على الرغم من مظهره المتخشب، وارتفع حاجباه وقال فى صوت خفيض بعدما انضم

إليهما:

"ما الخطب؟"

هز الكولونيل ريس رأسه وهو يشير إلى الجسد الخامد الجاثم فى المقعد.

وبينما انحنى المفتش على الجثمان، تأمل بوارو وجه شايتانا محاولاً أن يقرأ فيه شيئًا. كان الوجه الآن تبدو عليه أمارات الغباء، وقد انفتح الفم ـ واختفى التعبير الشيطانى...

هز هيركيول بوارو رأسه فى أسف.

واعتدل المفتش، وقد فحص ـ دون أن يلمس ـ الشىء الذى بدا وكأنه عروة زائدة، فى قميص السيد شايتانا إلا أنه لم يكن عروة زائدة. ورفع اليد الرخوة ثم تركها تسقط ثانية.

وحينها، انتصب المفتش واقفًا وقد نفض عنه كل المشاعر التى انتابته، وبدت عليه علامات المقدرة، وارتدى ثوب المحقق الجنائى، وبدا عليه أنه مستعد لتولى زمام القيادة فى هذا الموقف بكل كفاءة، وقال فى صوت مرتفع:

"دقيقة يا سادة من فضلكم".

ولما كان صوته المرتفع قد جاء بأسلوب عسكرى، فقد التفتت إليه كل الرءوس من على مائدة اللعب، فيما بقيت يد آن ميريديث على إحدى أوراق اللعب.

وقال: "يؤسفنى أن أخبركم جميعًا بأن مضيفنا السيد شايتانا قد مات".

وقف كل من السيدة لوريمر والدكتور روبرتس، فيما حدق ديسبارد إلى الجميع وقد انعقد حاجباه، بينما شهقت آن

ميريديث.

وقال الدكتور روبرتس: "هل أنت متأكد يا رجل؟".

قالها وقد تصاعد فى داخله الحس المهنى، واندفع بسرعة تجاه الجثمان فى خطوة تشبه تمامًا خطوات الأطباء الذين يهرعون لإغاثة من يشتبه فى موتهم.

ودون أن يبدو أنه يقصد منعه من الوصول للجثمان، اعترض المفتش باتل بجسده الضخم طريق الطبيب وسأله: "دقيقة من فضلك يا دكتور روبرتس، هل يمكنك أن تخبرنى بمن الذى دخل وخرج من هذه الغرفة خلال الأمسية؟".

"دخل وخرج؟ لا أفهمك ـ لم يدخل أحد أو يخرج".

نقل المفتش باتل بصره إلى السيد لوريمر وسألها:

"هل هذا صحيح يا سيدة لوريمر؟".

"تماما".

"لا السفرجى ولا أى من الخدم؟".

"لا، لقد أحضر السفرجى هذه الصينية ونحن نلعب، ولم يدخل مرة أخرى".

نظر المفتش باتل إلى ديسبارد فأومأ الأخير موافقًا على ذلك.

قالت آن فى صوت متقطع النفس تقريبًا: "نعم ـ نعم، هذا صحيح".

هنا صاح روبرتس فى نفاد صبر: "ما هذا أيها الرجل؟ دعنى أفحصه. ربما كانت نوبة إغماء".

"إنها ليست نوبة إغماء، وآسف؛ لأن أحدًا لن يلمس

الجثمان حتى يأتى الطبيب الشرعى ـ لقد قُتل السيد شايتانا أيها السيدات والسادة".

صاحت آن فى هلع وعدم تصديق: "قُتل؟".

بينما لاحت نظرة ـ نظرة خاوية جدًا ـ على وجه ديسبارد.

هز المفتش رأسه مجيبًا بـ "نعم" على تساؤل آن، وقد بدا كأحد التماثيل الصينية المصنوعة من البورسلين؛ فقد كانت تعبيراته خاوية جدًا.

وقال: "لقد مات طعنًا بالسكين. هذه هى الطريقة التى قتل بها ـ طعنًا بالسكين".

وارتفع صوته وهو يسأل الحاضرين: "هل غادر أحدكم مائدة اللعب طيلة الليلة؟".

رأى أربعة من التعبيرات تتفجر وتلوح فى الأوجه؛ فقد رأى الخوف ـ التفهم ـ السخط ـ الحيرة ـ الرعب، إلا أنه لم يرَ أى شىء يمكن أن يكون ذا نفع.

"حسنا؟".

ساد الصمت لفترة، قبل أن يقول الرائد ديسبارد بهدوء ـ وكان قد نهض من مكانه ووقف كجندى فى استعراض عسكرى، وقد اتجه بوجهه الذكى الضيق إلى المفتش باتل ـ :

"أعتقد أن كل واحد فينا قد نهض من مكانه بين فترة وأخرى، إما لإحضار بعض الشراب أو وضع الخشب فى المدفأة، وقد فعلتُ أنا الأمرين، وعندما ذهبتُ إلى المدفأة كان السيد شايتانا قد راح فى النوم فى مقعده".

"النوم؟".

"أعتقد ذلك ـ نعم".

قال المفتش: "ربما كان كذلك، وربما كان ميتًا أيضًا ـ سوف نفحص ذلك الآن. أريد منكم أن تذهبوا إلى الحجرة المجاورة"، واستدار إلى الشخص الواقف بجواره وقال: "كولونيل ريس، ربما كان عليك أن تذهب معهم!".

هز ريس رأسه بسرعة فى تفهم.

وسار لاعبو الورق الأربعة ببطء باتجاه الباب.

وجلست السيدة أوليفر فى أحد المقاعد فى نهاية الحجرة وأخذت تبكى فى هدوء.

التقط المفتش سماعة الهاتف وأخذ يتكلم قبل أن يقول للجالسين فى الحجرة: "سوف تصل الشرطة فى الحال. وتقول الأوامر الواردة من قسم الشرطة إننى أنا من سيتولى مسئولية الموقف، وسيصل ضابط الشرطة المختص إلى هنا فى الحال. ما تقديرك لتوقيت وفاته يا سيد بوارو؟ أنا أخمن أنه توفى منذ حوالى ساعة".

"أوافقك، ولكننى أشعر بالأسف؛ لأن المرء لا يستطيع أن يحسب بدقة توقيت وفاته ويقول إنه مات منذ ساعة وخمس وعشرين دقيقة، وأربعين ثانية".

هز المفتش رأسه فى شرود وقال:

"كان يجلس فى مواجهة النار تمامًا، وهذا يصنع فارقًا بسيطًا ـ لقد توفى قبل ما لا يقل عن ساعة، وما لا يزيد على الساعتين: هذا ما كان سيقوله طبيبنا، إن المرء يشعر بالحيرة؛ حيث لم يسمع أحد أى شىء، ولم ير أحد أى شىء. مدهش! يا

لها من قضية مثيرة للإحباط. ربما صرخ".

"إلا أنه لم يفعل. لقد حالف الحظ القاتل ـ إنها قضية مثيرة للإحباط".

"هل تفكر فى شىء ما يا سيد بوارو، كالدافع للجريمة مثلاً؟ أى شىء من هذا القبيل؟".

قال بوارو فى بطء: "لدىّ ما أقوله بشأن هذه الجريمة، قل لى: ألم يقل لك السيد شايتانا أى شىء بشأن نوعية الحفل الذى كان يعتزم أن يقيمه الليلة؟".

نظر إليه المفتش فى فضول وتعجب قبل أن يجيب:

"لا يا سيد بوارو، لم يقل أى شىء على الإطلاق. لماذا؟".

تصاعد من بعيد صوت أحد الأجراس، بينما تعالت على الباب صوت طرقات متسارعة.

قال المفتش باتل: "إنهم رجالنا ـ سوف أذهب لأفتح لهم الباب. سوف نأخذ شهادتك لاحقًا، فيجب أن نلتزم بالإجراءات الروتينية".

هز بوارو رأسه موافقًا.

وترك المفتش الحجرة.

واستمرت السيدة أوليفر فى البكاء.

ذهب بوارو إلى مائدة اللعب، وفحصها دون أن يلمس شيئًا، وهز رأسه مرة أو اثنتين.

ثم تمتم هيركيول بوارو قائلاً: "أيها الرجل الضئيل الغبى! أيها الرجل الضئيل الغبى. أن ترتدى ثيابًا كالشيطان وتحاول أن ترعب الآخرين. يا لها من سذاجة قاتلة!".

انفتح الباب، وتقدم الطبيب الشرعى داخل الحجرة وقد حمل فى يده حقيبة، وكان خلفه المفتش التابع لقسم شرطة المنطقة يتحدث إلى المفتش باتل، ودخل بعدهما أحد المصورين.

وكان فى الردهة أحد رجال الشرطة.

لقد بدأت الإجراءات الروتينية الخاصة بالتحقيق فى الجريمة.

الفصل ٤

القاتل الأول

جلس كل من هيركيول بوارو والسيدة أوليفر والكولونيل ريس والمفتش باتل حول مائدة العشاء.

كان ذلك بعد اكتشاف الجريمة بساعة، وكان قد تم فحص الجثمان وتصويره ونقله من المكان، كما حضر خبير بصمات وانصرف.

نظر المفتش باتل إلى بوارو، وقال له:

"قبل أن أستمع إلى أى من هؤلاء الأربعة، أريد أن أستمع إليك: فوفقا لما قلته لى، فإن هناك شيئًا ما خلف حفل اليوم؟".

أعاد عليه بوارو المحادثة التى جرت بينه وبين السيد شايتانا فى ويسيكس هاوس بحذافيرها.

زفر المفتش بشدة، حتى بدا كأن اندفاع الهواء من بين شفتيه أشبه بالصفير.

"معرض ماذا؟ قتلة كلهم على قيد الحياة، أوه! وهل تعتقد أنه كان يعنى ذلك؟ ألم تعتقد أنه كان يستدرجك لحضور الحفل؟".

"أوه، كلا. لقد كان يعنى ذلك ـ لقد كان السيد شايتانا يفخر بأسلوبه الشيطانى فى الحياة، فقد كان رجلاً على قدر كبير من الغرور، كما أنه كان أيضًا رجلاً غبيًا ـ وقد مات لهذا السبب".

قال المفتش وهو يدير الأمور فى رأسه: "فهمتك. حفل من ثمانية أشخاص: أربعة من "الجواسيس" أو"المخبرين السريين" ـ هكذا يمكن تسميتهم ـ وأربعة من القتلة".

صاحت السيدة أوليفر: "مستحيل! مستحيل تمامًا. لا يمكن أن يكون أى من هؤلاء الأشخاص مجرمًا!".

هزّ المفتش رأسه فى تفكير، قبل أن يقول:

"لا يمكننى أن أجزم بشىء من هذا يا سيدة أوليفر؛ فالقتلة يبدون ويتصرفون تمامًا كأى شخص آخر ـ إنهم يبدون لطفاء وهادئين وحسنى السلوك وعقلاء إلى حد كافٍ".

قالت السيدة أوليفر: "فى هذه الحالة، سيكون القاتل هو الدكتور روبرتس؛ لقد شعرت بحدسى أن هناك شيئًا ما خطأ فيما يتعلق به بمجرد أن رأيته ـ إن حدسى لا يخطئ".

استدار المفتش إلى الكولونيل ريس، وقال له:

"ما الذى تراه يا سيدى؟".

هز ريس كتفيه، واعتبر السؤال يتعلق بما قاله بوارو لا بشكوك السيدة أوليفر، وقال:

"مـن الممكـن أن يكـون ذلك صحيحًـا... ربمـا يكون ذلك صحيحًا؛ فهـذا يُظهِر أن السيد شايتانـا كان على حق فى أمر واحد على الأقل! فرغم كل شىء، فإنه كان قادرًا على أن يشك فـى أن كل أولئـك الأشخاص قتلة ـ إلا أنه لم يكن متأكدًا. ربما كان علـى حق فى كل الحالات الأربـع أو حالة واحدة فقط على الأقل؛ وموته يبرهن على ذلك".

"يبدو أن أحدهم قد استعد للأمر جيدًا، هل تعتقد أن الأمر

كذلك يا سيد بوارو؟".

هز بوارو رأسه موافقًا.

ثم قال: "لقد كان للسيد شايتانا سمعة، وكانت سمعته هذه تتلخص فى أن له حس فكاهة محفوفًا بالمخاطر، كما كان يشتهر بالقسوة. وقد كان القاتل يعتقد أن السيد شايتانا يمنح نفسه سهرة ممتعة تنتهى بأن يسلم القاتل إلى الشرطة ـ متمثلة فيك! لقد كان القاتل يعتقد أن السيد شايتانا لديه دليل حاسم".

"هل كان لديه بالفعل؟".

"هذا ما لن نعرفه على الإطلاق".

عادت السيدة أوليفر تكرر فى تصميم: "الدكتور روبرتس! هذا الرجل الودود. القتلة دوما يتسمون بالود ـ كغطاء لهم! لو كنتُ مكانك، يا سيدى المفتش، لكنتُ قد اعتقلته على الفور".

قال المفتش وقد لاحت على ملامحه ابتسامة ساخرة: "ربما كان ذلك سيحدث لو أن امرأة هى من يتولى رئاسة سكوتلانديارد، ولكن طالما أن الرجال هم من يتولون المسئولية، فإننا نفضل معالجة الأمور بحرص وبطء حتى نصل إلى المجرمين".

تنهدت السيدة أوليفر وهى تقول: "الرجال ـ الرجال"، وبدأت تصوغ فى ذهنها مقالة صحفية جديدة.

قال المفتش: "من الأفضل أن نطلق سراحهم الآن، فلا يوجد ما يضطرنا للإبقاء عليهم".

هم الكولونيل ريس بالنهوض وقال:

"إذا ما كنتَ تريدنا أن نرحل...".

تردد المفتش لحظة بعدما لاحظ ما قالته عينا السيدة أوليفر البليغتان. فقد كان يعى تماما المنصب المهم الذى يتولاه الكولونيل ريس، بينما كان بوارو قد عمل مع الشرطة فى الكثير من القضايا، وبالتالى فقد كان بقاء السيدة أوليفر يعنى شيئًا ما، إلا أن المفتش باتل كان رجلاً رحيمًا، فقد وضع فى اعتباره أن السيدة أوليفر قد خسرت اليوم، إلا أنها تقبلت الخسارة بكل هدوء وبروح رياضية.

فقال: "يمكنكم جميعًا البقاء؛ لأننى مهتم بأن تبقوا. ولكن رجاء، لا أريد أن يقاطعنى أحد منكم"، ونظر إلى السيدة أوليفر وتابع قائلًا: "ويجب ألا يشير أحد ولو بكلمة إلى ما أخبرنا به السيد بوارو؛ فقد كان هذا الأمر سر السيد شايتانا الصغير. ولسبب ما، فقد مات معه. هل كلامى مفهوم؟".

قالت السيدة أوليفر: "تمامًا".

خرج المفتش باتل من الباب ونادى رجل الشرطة الذى كان واقفًا فى الردهة لحراسة المكان، وقال له:

"اذهب إلى حجرة التدخين الصغيرة، فسوف تجد أندرسون هناك مع الضيوف الأربعة الآخرين. اسأل الدكتور روبرتس عما إذا كان يستطيع أن يأتى إلى هنا أم لا".

قالت السيدة أوليفر: "كنتُ سأبقيه إلى النهاية"، ثم أضافت فى اعتذار: "أعنى أنه لو كان ذلك يحدث فى إحدى قصصى".

قال المفتش: "إن الحياة الواقعية تختلف قليلًا عن القصص".

ردت السيدة أوليفر: "أعلم ذلك ـ الحياة أكثر تخبطًا".

دخل الدكتور روبرتس إلى الحجرة بخطوته الواسعة المرحة، وإن بدا فى تلك اللحظة مقهورًا قليلاً.

قال الطبيب: "أعتقد أيها المفتش أن هذا الأمر شىء لعين، واعذرينى يا سيدة أوليفر على هذا التعبير، إلا أن هذا ما يمكن أن يصف ما يحدث، ولكى أتكلم بصورة مهنية، فإننى لا يمكننى أن أصدق ذلك! لا أصدق أن يتم طعن رجل وعلى مقربة منه ثلاثة أشخاص آخرين"، ثم هز رأسه وقال: "أوه! ما كنت أنا كطبيب محترف لأعرف كيف أفعل ذلك"، وتلاعبت ابتسامة فى ركن فمه وأردف: "ما الذى يمكننى أن أقوله أو أفعله لكى أقنعكم بأننى لم أرتكب هذه الجريمة؟".

"حسنًا، نحن نبحث عن الدافع يا دكتور روبرتس".

هز الدكتور رأسه فى تأكيد وقال:

"هذا واضح، ولكن لا يوجد لدىّ أى دافع لقتل شايتانا المسكين؛ فلم أكن أعرفه جيدًا، ولكنه كان يسلينى، وكان رجلاً مدهشًا. كانت فيه لمسة أصالة، ومن الطبيعى أنكم سوف تفحصون بدقة علاقتى به ـ أتوقع ذلك. لستُ غبيا، ولكنكم لن تجدوا شيئًا؛ فلا يوجد ما يدفعنى لقتل شايتانا، ولم أقتله".

هز المفتش رأسه ببطء، وقال:

"هذا صحيح يا دكتور روبرتس. سوف أتحرى كما تعرف. أنت رجل واع. والآن، هل يمكنك أن تحدثنى عن الثلاثة الآخرين؟".

"أظن أننى لا أعرف الكثير؛ فالنسبة لـ ديسبارد وميريديث، فقد قابلتهما الليلة لأول مرة، إلا أننى سمعت بالرائد ديسبارد من قبل ـ فقد قرأتُ كتابه عن الرحلات، وهو كتاب لطيف".

"هل كنتَ تعرف أنه من معارف السيد شايتانا؟".

"لا. لم يذكر شايتانا اسمه أمامى أبدًا. وكما قلتُ: لقد سمعتُ عنه إلا أننى لم أره. أما الآنسة ميريديث فلم أسمع عنها على الإطلاق من قبل، بينما أعرف السيدة لوريمر معرفة سطحية".

"ما الذى تعرفه عنها؟".

هز روبرتس كتفيه وقال:

"إنها أرملة، وعلى قدر جيد من الثراء ـ ذكية وحسنة التربية، ولاعبة ورق من الدرجة الأولى؛ فهذه هى المناسبة التى التقيتها فيها، أعنى لعب الورق".

"ولم يتكلم السيد شايتانا عنها أمامك أبدًا؟".

"كلا".

"همم. إن هذا لا يساعدنا كثيرًا. والآن، دكتور روبرتس، سيكون تعطفًا منك إذا ما اعتصرتَ ذاكرتك جيدًا وأخبرتنا كم مرة غادرتَ أنت فيها مكانك على طاولة اللعب، وكل ما تذكره عن تحركات الآخرين".

استغرق الدكتور روبرتس دقائق عدة لكى يتذكر.

وقال فى صراحة: "من الصعب تذكر كل ذلك؛ فأنا لا أستطيع أن أتذكر سوى حركاتى أنا فقط؛ لقد قمتُ ثلاث مرات، وكانت المرات الثلاث عندما أحسستُ بالتيبس وأردت

أن أفرد جسدى ـ ففى مرة، وضعتُ الخشب فى المدفأة، وفى مرة أخرى أحضرتُ الشراب للسيدتين، وفى مرة أحضرتُ الشراب لى".

"هل يمكنك أن تذكر متى كانت تلك المرات الثلاث؟".

"يمكننى أن أحدد ولكن بصورة تقريبية: لقد بدأنا اللعب فى حوالى التاسعة والنصف كما يخيل إلىّ، ويمكننى القول إننى قمتُ ووضعتُ الخشب فى المدفأة بعد ساعة، وبعدها بوقت قصير، ذهبتُ لإحضار الشراب، (أثناء التوزيعة الثانية، كما أعتقد)، وربما كانت الحادية عشرة والنصف عندما ذهبتُ لإحضار الشراب لى، إلا أن هذه التوقيتات كلها تقريبية ـ لا أستطيع أن أحددها بدقة".

"هل كانت منضدة الشراب خلف مقعد السيد شايتانا؟".

"نعم. يمكن قول ذلك ـ لقد مررتُ بالقرب منه ثلاث مرات".

"وفى كل مرة، وفق ما تتذكر، هل كان نائمًا؟".

"هذا ما اعتقدتُه فى المرة الأولى، ولكننى فى المرة الثانية لم أنظر إليه، وفى المرة الثالثة، تساءلتُ باندهاش: كيف ينام فى مثل هذه الوضعية؟ إلا أننى لم أدقق النظر فيه".

"جيد جدا. والآن، متى غادر رفاقك اللاعبون مقاعدهم؟".

عقد الدكتور روبرتس حاجبيه، وقال:

"هذا صعب، صعب جدًا. لقد ذهب ديسبارد وأحضر مطفأة سجائر إضافية، كما أعتقد، كما أنه ذهب لإحضار

بعض الشراب، وكان ذلك قبلى؛ لأننى أتذكر أنه سألنى عما إذا كنتُ أريد شرابًا، إلا أننى وقتها لم أكن أريد".

"والسيدتان؟".

"لقد ذهبت السيدة لوريمر إلى المدفأة مرة، وحركت جمراتها وفق ما أذكر. وأعتقد أننى تخيلتُ أنها تكلمت مع السيد شايتانا، لكننى لا أعرف على وجه اليقين، فقد كنتُ فى موقف صعب فى اللعب ـ حيث كنت بلا أية أوراق رابحة فى ذلك الوقت".

"والآنسة ميريديث؟".

"إننى أتذكر جيدًا أنها غادرت المائدة مرة واحدة فقط. لقد دارت حولى ونظرت إلى يدى ـ فقد كنتُ شريكها فى اللعب فى ذلك الوقت. بعدها نظرت إلى أيدى اللاعبين الآخرين، وتجولت فى الحجرة قليلاً. ولا أعرف على وجه التحديد ماذا كانت تفعل، فلم ألق إليها بالا".

قال المفتش باتل وهو يفكر: "أثناء جلوسك على مائدة اللعب، ألم تكن هناك مقاعد تواجه المدفأة مباشرة؟".

"لا، فقد كانت المقاعد كلها تواجه المدفأة بطريقة جانبية، كذلك كان هناك دولاب كبير بين المائدة والمدفأة ـ وهو عبارة عن تحفة صينية جميلة، ولكننى أرى أنه بالطبع من الممكن تمامًا طعن أى شخص. ورغم كل شىء، فعندما تنهمك فى لعب الورق، تكون منهمكًا فى لعب الورق، ولا تنظر حولك بتركيز أو تلاحظ ما يجرى؛ فمن يفعل ذلك سيكون شخصًا غبيًا بالتأكيد، وفى هذه الحالة...".

قال المفتش: "وفى هذه الحالة، يكون الشخص الغبى هو القاتل بلا شك".

قال الدكتور روبرتس: "فى كل الأحوال، يحتاج الأمر إلى أعصاب كما تعلم. وعلى أى حال، من يمكن أن يقول إن أحدًا لن يشاهد ما يجرى فى اللحظة الحاسمة؟".

قال المفتش: "نعم. إنها مخاطرة كبيرة؛ فيجب أن يكون الدافع قويًا"، وأضاف: "وأتمنى أن نعرف ماذا كان الدافع".

قال روبرتس: "سوف تكشف ما جرى، أتوقع ذلك. وسوف تفحص أوراقه، وكل ما شابه، ومن المحتمل أن يكون هناك مفتاح للغز".

قال المفتش فى عبوس: "نتمنى ذلك"، وألقى نظرة فاحصة على روبرتس، ثم قال:

"عذرًا يا دكتور روبرتس، هل يمكنك أن تعطينى رأيا شخصيًا حيال مسألة ما؟".

"بالتأكيد".

"أى من الثلاثة تعتقد أنه القاتل؟".

هز الدكتور روبرتس كتفيه وقال:

"هذا أمر بسيط ـ يمكننى القول ارتجالا إنه ديسبارد؛ أعصابه قوية، واعتاد الحياة الخطرة التى يجب أن يتصرف فيها بسرعة، ولا يخشى من المخاطرة، ويبدو لى أنه من غير المرجح أن تقوم النساء بفعل أمر كهذا إذ يتطلب هذا الأمر قدرا من القوة كما أظن".

"ليس الأمر كما تظن، ألق نظرة على ذلك".

وكساحر، أخرج المفتش فجأة من جيبه عمودا من معدن خافت البريق ينتهى بقطعة صغيرة مدورة من المجوهرات.

مال الدكتور روبرتس للأمام، وأخذها، وفحصها بكثير من الدقة المهنية، واختبر طرفها ثم أطلق صفيرًا وقال:

"يا لها من أداة! يا لها من أداة صُنعَتْ خصيصا للقتل. إن هذه اللعبة الصغيرة تخترق الجسد تمامًا كما لو كان قطعة من الزبد، لقد أحضرها القاتل معه، كما أعتقد".

هز المفتش رأسه نفيًا وقال:

"كلا. إن من أحضرها هو السيد شايتانا، وقد وجدتها ملقاة على المائدة القريبة من الباب مع الكثير من الأشياء الصغيرة الأخرى".

"إذن، فقد أخذها القاتل واستخدمها. هناك الكثير من الحظ فى أن يجد القاتل أداة جريمته".

قال المفتش باتل ببطء: "حسنًا، يمكننا أن ننظر إلى المسألة على أنها نوع من الحظ".

"ولكن ذلك الحظ لم يكن من نصيب شايتانا المسكين".

"لم أعنِ ذلك يا دكتور روبرتس، بل أعنى أن هناك زاوية أخرى للنظر فى الأمر، إننى أعتقد أن السلاح هو الذى دفع بفكرة الجريمة إلى ذهن قاتلنا".

"تعنى أنه إلهام لحظى ـ لم يكن القاتل ينوى القتل مع سبق الإصرار، وقد واتته الفكرة بعد أن جاء إلى هنا. إممم... هل يوحى لك هذا بشىء؟".

نظر إليه المفتش باتل نظرة متفحصة قبل أن يقول المفتش

فى برود:

"إنها لاتزال فكرة".

فقال الدكتور روبرتس فى بطء: "حسنًا. ربما تكون كذلك بالطبع".

تنحنح المفتش قائلاً:

"حسنا، لن أجعلك تبقى طويلاً أيها الطبيب. شكرًا لك على مساعدتك، هلا تركتَ عنوانك؟".

"بالتأكيد. ٢٠٠ جلاوسستر تيراس، دبليو ٢، رقم الهاتف ٢٣٨٦٩ فى بيزووتر".

"شكرا لك، ربما أتصل بك قريبًا".

"تسرنى رؤيتك فى أى وقت، وأتمنى ألا ينشر الكثير عن الجريمة فى الصحافة؛ فأنا لا أريد أن أحطم أعصاب مرضاى".

استدار المفتش تجاه بوارو وقال له:

"اعذرنى يا سيد بوارو، إذا ما كانت لديك أية أسئلة، فأنا متأكد من أن الطبيب لن يمانع".

"بالطبع لا، بالطبع لا، فأنا من أشد المعجبين بك يا سيد بوارو. الخلايا الرمادية الصغيرة، والنظام والمنهجية ـ أعرف كل ذلك، وأنا متأكد من أنك تفكر فى شىء من أكثر الأمور غرابة لكى تسألنى عنه".

فرد بوارو يديه بأسلوبه الأجنبى الواضح قبل أن يقول:

"كلا. كلا. إننى أريد فقط أن أرتب كل التفاصيل فى ذهنى. فعلى سبيل المثال، كم جولة لعبتم؟".

"كنا نلعب مباراة كبيرة، وكنا فى الجولة الرابعة منها عندما أتيتم".

"ومَنْ كان يلعب مع مَنْ؟".

"فى الجولة الأولى، ديسبارد وأنا ضد السيدتين، وقد فازتا علينا فوزًا ساحقًا، ولم نمسك ورقة رابحة واحدة".

"فى الجولة الثانية، كانت الآنسة ميريديث وأنا فى مواجهة ديسبارد والسيدة لوريمر. وفى الجولة الثالثة، كانت السيدة لوريمر وأنا فى مواجهة الآنسة ميريديث وديسبارد، فقد كان الأمر يتم بطريقة محورية، ففى الجولة الرابعة، عدتُ مع الآنسة ميريديث مرة أخرى".

"من فاز ومن خسر؟".

"فازت السيدة لوريمر فى كل الجولات، بينما فازت الآنسة ميريديث فى الأولى، وخسرت فى الجولتين التاليتين، وقد كان أدائى مرتفعًا، ولا بد أن أداء الآنسة ميريديث وديسبارد كان سيئًا".

قال بوارو مبتسمًا: "لقد سألك المفتش باتل عمن ترشح من رفاقك لكى يكون القاتل، والآن أسألك عن رأيك فيهم كلاعبى ورق".

أجاب الدكتور روبرتس: "السيدة لوريمر فى المرتبة الأولى. إننى أعتقد أنها تكسب معظم المباريات التى تلعبها، وديسبارد لاعب جيد أيضا، وهو ما أسميه اللاعب الماهر ـ رجل صائب التقديرات، أما الآنسة ميريديث فربما تصفها بأنها لاعبة حريصة، فهى لا ترتكب أخطاء، ولكنها ليست عبقرية فى

اللعب".

"وماذا عنك أنت يا دكتور؟".

طرفت عينا روبرتس وقال:

"أنا أميل دائمًا إلى المخاطرة بأوراقى الجيدة، أو هم يقولون ذلك؛ إلا أننى أكسب دائما بهذه الطريقة".

ابتسم بوارو.

ونهض الدكتور روبرتس، وهو يتساءل:

"هل من شىء آخر؟".

هز بوارو رأسه نفيًا.

فقال روبرتس: "حسنًا. طابت ليلتكم أيها السادة. طابت ليلتك يا سيدة أوليفر. ربما يكون من الأفضل أن تقتبسى ما جرى اليوم وتكتبيه فى قصة بوليسية، وأظنها ستكون أفضل من حكاية السموم التى لا يمكن تعقب آثارها".

ترك الدكتور روبرتس الحجرة، وهو يسير مرة أخرى بمشيته النشطة. وقالت السيدة أوليفر بلهجة لاذعة، وهو يغلق الباب خلفه:

"أقتبس! أنا ألجأ إلى الاقتباس! يا لغباء الرجال! يمكننى أن أؤلف فى أى يوم جريمةً أفضل من أى جريمة حقيقية، ولم يحدث أبدا أن عجزت عن ابتكار حبكة قصصية، ومن يقرءوا قصصى تعجبهم فكرة السموم التى لا يمكن اكتشافها!".

الفصل ٥

القاتل الثانى

دخلت السيدة لوريمر حجرة الطعام مثل أى سيدة مهذبة وبدت شاحبة قليلاً إلا أنها كانت متماسكة.

وبدأ المفتش حديثه قائلاً: "آسف لإزعاجك يا سيدتى".

قالت السيدة لوريمر بهدوء: "يجب أن تقوم بواجبك بالتأكيد. وأتفق معك على أنها مهمة غير لطيفة، ولكن لا يوجد مفر منها. وأعتقد أن واحدًا من الأربعة الذين تواجدوا فى تلك الحجرة هو القاتل، ومن الطبيعى ألا أتوقع أن تصدقنى وأنا أقول إننى لستُ من ارتكب الجريمة".

أخذت المقعد الذى قدمه لها الكولونيل ريس وجلست فى مواجهة المفتش باتل، والتقت عيناها الرماديتان الذكيتان بعينيه، وانتظرت بانتباه.

قال المفتش باتل: "هل تعرفين السيد شايتانا جيدا؟".

"ليس جيدًا، إننى أعرفه منذ سنوات عدة، ولكن ليس معرفة وثيقة".

"أين التقيت به؟".

"فى فندق فى مصر ـ فندق وينتر بالاس فى الأقصر حسبما أذكر".

"ما رأيك فيه؟".

هزت السيدة لوريمر كتفيها قليلاً وقالت: " أعتقد أنه ـ إلى

حد ما ـ كان دجالاً".

"أليس لديك أى دافع ـ واعذرينى على السؤال ـ أليس لديك أى دافع لإزاحته عن الطريق؟".

ابتسمت السيدة لوريمر قليلاً، قبل أن تقول:

"حسنا يا سيدى المفتش، هل تعتقد أننى سوف أعترف إذا ما كنتُ أنا من ارتكب الجريمة؟".

قال المفتش: "ربما. إن الشخص الذكى بالفعل يعرف أن الأمور ستعود إلى نصابها فى النهاية".

أمالت السيدة لوريمر رأسها قليلاً فى تفكير، وقالت:

"بالتأكيد، ولكن لا يا سيدى المفتش. لا يوجد لدى أى دافع لإزاحة السيد شايتانا عن الطريق، ولا يمثل الأمر فارقا بالنسبة لى إذا كان على قيد الحياة أو كان ميتًا. لقد عرفته كشخص مدع، بل ومسرحى إلى حد ما، وكان يثير توترى فى بعض الأحيان؛ هذا هو رأيى فيه، أو بالأحرى كان رأيى فيه".

"حسنًا يا سيدة لوريمر. والآن، هل يمكنك أن تقولى لى شيئا عن رفاقك الثلاثة؟".

"أظن أننى لا أستطيع؛ فهذا لقائى الأول مع كل من الرائد ديسبارد والآنسة ميريديث، وكل منهما يبدو شخصًا ساحرًا. وأعرف الدكتور روبرتس معرفة سطحية، وأعتقد أنه طبيب معروف".

"أليس طبيبك الخاص؟".

"أوه، كلا".

"والآن يا سيدة لوريمر، هل لك أن تخبرينى كم مرة قمتِ من مكانك الليلة، وهل يمكنك أن تصفى لى تحركات الثلاثة الآخرين أيضًا؟".

"لقد فكرتُ فى أنك من المحتمل أن تسألنى هذا السؤال، وحاولت أن أفكر فيه ـ لقد قمتُ عندما شعرتُ بالتعب من الجلوس، وذهبتُ إلى المدفأة، وكان السيد شايتانا لا يزال على قيد الحياة، وقلتُ له كم من الممتع أن يرى الإنسان مدفأة خشبية".

"وهل أجاب عليك؟".

"أجاب أنه يكره التدفئة المركزية".

"هل سمع أحد محادثتكما تلك؟".

"لا أعتقد، فقد خفضتُ من صوتى لكيلا أزعج اللاعبين"، وأضافت فى لهجة جافة: "ليس أمامك إلا كلمتى فى هذا الموضوع ـ لقد كان السيد شايتانا على قيد الحياة، ورد علىّ".

لم يحتج المفتش على ما قالته، واستمر فى استجوابه المنهجى الهادئ.

"متى كان ذلك؟".

"بعد أن لعبنا لما يزيد على الساعة ـ على ما أعتقد".

"وماذا عن الآخرين؟".

"أحضر لى الدكتور روبرتس شرابًا، وأحضر لنفسه شرابًا أيضا ـ ولكن فى وقت لاحق. السيد ديسبارد أيضا ذهب ليحضر لنفسه شرابًا ـ وأعتقد أن ذلك كان فى حوالى الحادية عشرة والربع".

"مرة واحدة فقط".

"لا ـ مرتين كما أذكر. لقد تحرك الرجلان كثيرًا، إلا أننى لم ألحظ ما كانا يفعلانه. أما الآنسة ميريديث فقد تركت مقعدها لمرة واحدة فقط كما أعتقد ـ لقد دارت حول المنضدة لتنظر إلى ما فى يد شريكها".

"إلا أنها ظلت قريبة من مائدة اللعب؟".

"لا أستطيع أن أحدد ذلك، فربما تكون قد ذهبت أبعد من ذلك".

هز المفتش رأسه، وتمتم قائلاً:

"الأمر كله يبدو غامضًا".

"آسفة".

ومرة أخرى، قام المفتش بحركته السحرية، وأخرج الخنجر الصغير الطويل، وقال:

"هلا نظرتِ إلى ذلك يا سيدة لوريمر".

أخذت السيدة لوريمر الخنجر فى حركة خالية من الإحساس.

فقال المفتش: "هل رأيتِ ذلك من قبل؟".

"إطلاقًا".

"مع أنه كان ملقى على مائدة فى حجرة الاستقبال".

"لم ألحظه".

"لعلك تدركين يا سيدة لوريمر، أنه بسلاح مثل هذا، يمكن لامرأة أن تقوم بالجريمة مثلها مثل الرجل".

قالت السيدة لوريمر فى هدوء: "أعتقد أنها تستطيع

ذلك".

ومالت إلى الأمام وأعادت له الخنجر الصغير الجميل مرة أخرى.

قال المفتش: "ومع ذلك، يجب أن تكون المرأة التى تقوم بذلك فى منتهى اليأس؛ فهذه مخاطرة كبيرة".

سكت المفتش لدقيقة، مانحًا إياها فرصة الرد، إلا أن السيدة لوريمر لم تتكلم.

فقال المفتش: "هل تعرفين شيئًا عن طبيعة العلاقة بين الثلاثة الآخرين والسيد شايتانا؟".

هزت رأسها نفيًا وقالت:

"لا شىء على الإطلاق".

"هل تمانعين فى أن تعطينى رأيًا عمن تعتقدين أنه القاتل؟".

شدت السيدة لوريمر جسدها وقالت:

"لا أهتم بأن أفعل شيئًا من هذا القبيل، وأعتبره سؤالا غير مهذب على الإطلاق".

بدا المفتش كطفل خجول أنبته جدته، وغمغم قائلاً وهو يقرب مفكرته منه:

"العنوان من فضلك".

"١١١ تشين لين، تشيلسى".

"ورقم الهاتف؟"

"تشيلسى ٤٥٦٣٢".

ثم نهضت السيدة لوريمر.

وقال المفتش فى سرعة: "هل هناك ما تود أن تسأل عنه يا سيد بوارو؟".

توقفت السيدة لوريمر وأمالت رأسها قليلًا.

قال بوارو:"هل سيكون سؤالاً مهذبًا يا سيدتى إذا ما سألتك عن رأيك فى رفاقك ـ ليس كقتلة محتملين، ولكن كلاعبى ورق؟".

أجابت السيدة لوريمر فى برود:

"لا اعتراض لدىّ على الإجابة عن هذا السؤال ـ إذا ما كان مرتبطًا بالأمر ـ إلا أننى لا أستطيع أن أرى الكيفية التى يمكن أن يرتبط بها بالأمر".

"سأحكم أنا على ذلك، أسمعينى إجابتك إذا سمحت يا سيدتى".

أجابت السيدة لوريمر فى لهجة هادئة كما لو كانت أحد الكبار يكلم طفلًا أبله:

"ديسبارد لاعب جيد، والدكتور روبرتس يتسرع فى إظهار أوراقه لكنه يلعب ببراعة، أما الآنسة ميريديث فهى لاعبة صغيرة لطيفة، ولكنها حذرة جدًا. أية أسئلة أخرى؟".

وبدوره قام بوارو بما يشبه حركات السحرة وأخرج من جيبه أربع ورقات من ورق تسجيل نتائج اللعب وقال:

"هذه الورقات يا سيدتى، أى منها يخصك؟".

فحصتها السيدة لوريمر وقالت:

"هذا هو خطى، هذه نتيجة الجولة الثالثة".

"وهذه الورقة؟".

"لابد أنها ورقة الرائد ديسبارد. كان يشطب كلما تقدم اللعب".

"وهذه؟".

"إنها ورقة الآنسة ميريديث ـ فى الجولة الرابعة".

"إذن تلك التى لم تكتمل هى ورقة الدكتور روبرتس؟".

"نعم".

"شكرا لك يا سيدتى، أعتقد أننى انتهيت".

استدارت السيدة لوريمر للسيدة أوليفر وقالت:

"طابت ليلتك يا سيدة أوليفر، طابت ليلتك أيها الكولونيل ريس".

وبعد أن صافحتهم جميعًا غادرت الحجرة.

الفصل ٦

القاتل الثالث

علق المفتش قائلاً: "لم يؤد الحديث معها إلى أى تغيير، فقط أبقانى فى مكانى، إنها سيدة عتيقة الطراز تهتم كثيرًا بالآخرين، إلا أنها متكبرة للغاية! لا أصدق أنها ارتكبت الجريمة، إلا أنك لا تعرف! إنها تتمتع بقدر كبير من ثبات الأعصاب. ماذا كانت فكرتك من وراء سجلات نتائج اللعب يا بوارو؟".

فرد بوارو السجلات على المنضدة، وقال:

"إنها تلقى الكثير من الضوء، ألا تعتقد ذلك؟ ما الذى نريده فى هذه القضية؟ مفتاح لشخصية، ولكن ليس مفتاحًا لشخصية واحدة، وإنما لأربع شخصيات. وهذه السجلات فى المكان الذى من المرجح أن نجده فيها ـ فى هذه الأوراق المجعدة. هذه هى الجولة الأولى، وكما ترى، فهى مباراة خالية من السخونة وانتهت سريعًا، أما تلك الورقة التى تحوى أرقامًا صغيرة مكتوبة بدقة وعمليات جمع وطرح دقيقة فهى ورقة الآنسة ميريديث. لقد كانت تلعب مع السيدة لوريمر ـ لقد كانت لديهما الأوراق الرابحة، وقد فازتا.

"فى الجولة التالية، ليس من السهل متابعة سير اللعب؛ لأن من كتبها اعتمد على طريقة الإلغاء، إلا أن ذلك يخبرنا بشىء عن طبيعة الرائد ديسبارد ـ إنه رجل يحب طوال الوقت أن

يعرف موقعه بنظرة واحدة. إن الأرقام صغيرة ولكنها كاملة.

"السجل التالى هو سجل السيدة لوريمر - لقد كانت تلعب هى والدكتور روبرتس فى مواجهة الاثنين الآخرين - معركة ملحمية. إن الأرقام ترتفع فوق الخط فى كل جانب. وعلى الرغم من أن السيدة لوريمر والدكتور روبرتس تأثرا فى البداية بغرابة أسلوب لعب الدكتور روبرتس مما سبب لهما تراجعًا، فإنهما استطاعا التفوق من جديد لأنهما لاعبان من الطراز الأول، ولم يتراجعا على الإطلاق طوال اللعبة، فإذا ما أدى أسلوب الطبيب إلى بعض التراجع فى المستوى، فهذا سيؤدى إلى اندفاع فى الجهة المقابلة مما يمكن فريق السيدة لوريمر والطبيب من التقدم من جديد.

نحن	هم
(السيدة لوريمر والآنسة ميريديث)	(الرائد ديسبارد والدكتور روبرتس)
١٤	
٧٠٠	
٣٠٠	
٥٠	
٥٠	
٢٠	
أوراق اللعب	
١٢٠ حركة لعب	
١٢٠	
١٣٧٠	
الجولة الأولى	
(كتب السجل الآنسة ميريديث)	

نحن	هم
(السيدة لوريمر والرائد ديسبارد)	(الآنسة ميريديث والدكتور روبرتس)
(١)	
١٠٦٠	
[illegible]	
[illegible]	
[illegible]	
[illegible]	
[illegible]	
[illegible]	
٥٠٠	
[illegible]	
أوراق اللعب	
حركة لعب ١٢٠	
١٠٠	
٧٠	٣٠
٨٠	
الجولة الثانية	
(كتب السجل الرائد ديسبارد)	

نحن	هم
الدكتور روبرتس والسيدة لوريمر	الرائد ديسبارد والآنسة ميرديث
١٠٠	٥٠
٥٠	١٠٠
١٠٠	١٠٠
٥٠	٥٠
	٢٠٠
	٥٠
	٥٠
أوراق اللعب	
حركة لعب	
٧٠	٨٠

الجولة الرابعة
(لم تكتمل)
(كتب السجل الدكتور روبرتس)

نحن	هم
الدكتور روبرتس والآنسة ميرديث	السيد ديسبارد والسيدة لوريمر
	٥٠٠
٢٠٠	١٥٠٠
١٠٠	١٠٠
٢٠٠	١٠٠
١٠٠	٣٠٠
١٠٠	٥٠٠
٥٠	٢٠٠
٥٠	٢٠٠
٥٠	٣٠
أوراق اللعب	
حركة لعب	
٣٠	
١٢٠	
	١٠٠
	٢٨٠
١٠٠	٢٨١٠
	٢٨

الجولة الثالثة
(كتب السجل السيدة لوريمر)

"وها هو السجل الأخير الخاص بالجولة التى لم تكتمل، وهذا ما يجعل لدىّ سجلات مكتوبة بأيدى كل اللاعبين. إن الأرقام متوازنة، وليست صارخة مثلما كان الحال فى الجولة السابقة، ولعل هذا يرجع إلى أن الدكتور روبرتس كان يلعب مع الآنسة ميريديث وهى لاعبة مترددة، مما يتطلب من فريقهما أن يسترد مكانته إذا ما اندفع الطبيب فى اللعب!

ربما تعتقد أن الأسئلة التى سألتها أسئلة غبية؟ لكنها ليست كذلك. فأنا أريد من خلالها أن أتعرف على شخصيات هؤلاء الأربعة، وعندما أسأل فقط عن لعب الورق، ستجد الجميع راغبين فى الإجابة ومستعدين للكلام".

قال المفتش باتل: "لم أعتقد أبدًا أن أسئلتك غبية، فقد تابعتُ الكثير من عملك، ولكلٍ إنسان طريقته فى العمل. أعرف ذلك. ولهذا، أطلق يد المفتشين التابعين لى فى العمل بالصورة التى تحلو لهم، وعلى كل إنسان أن يجد الطريقة التى تناسبه فى العمل. ولكن ليس هذا الوقت المناسب لمناقشة مثل هذا الأمر، فعلينا أن نأتى بالفتاة".

كانت آن ميريديث تشعر بالضيق، ووقفت فى الممر وقد اضطربت أنفاسها.

إلا أن المفتش باتل تحلى منذ البداية بروح الأبوة؛ إذ نهض من مكانه بمجرد أن دخلت الغرفة، وقدم لها مقعدًا وضعه بصورة جانبية بحيث لا تكون فى مواجهته مباشرة، وقال لها:

"اجلسى يا آنسة ميريديث، اجلسي. والآن، لا داعى للتوتر؛ فأنا أعلم أن الأمر كله يبدو مثيرا للذعر، لكنه ليس سيئًا،

صدقينى".

قالت الفتاة فى صوت خفيض: "لا أعتقد أن هناك شيئًا يمكن أن يكون أسوأ من هذا. من المرعب... من المرعب أن نفكر فى أن أحدنا... فى أن أحدنا...".

قال المفتش فى لطف: "دعينا نحن نتولَّ عملية التفكير. والآن يا عزيزتى، دعينا نأخذ عنوانك فى البداية".

"ويندون كوتيدج، ولينجفورد".

"أليس لك عنوان فى هذه البلدة؟".

"لا، إننى أقيم حاليًا فى النادى ليوم أو يومين".

"وأين النادى الذى تقيمين فيه؟"

"النادى النسائى للبحرية والعسكرية".

"جيد. والآن يا ميريديث، كيف تعرفت على السيد شايتانا؟".

"لم أكن أعرفه جيدًا، وكنتُ دائمًا أعتقد أنه أكثر الأشخاص إثارة للرعب".

"لماذا؟".

"أوه. حسنًا. لقد كان كذلك بالفعل ـ كانت ابتسامته تثير الرعب، وأسلوبه فى الكلام والذى كان يميل فيه عليك، كما لو كان سيعضك".

"هل عرفته لفترة طويلة؟".

"لما يقرب من تسعة أشهر، وقد قابلته فى سويسرا خلال فترة ممارسة الرياضات الشتوية".

قال المفتش فى دهشة: "لم أكن أعرف أبدا أنه يذهب إلى

سويسرا لممارسة الرياضات الشتوية".

"كان يتزلج فقط، كان متزلجًا مدهشًا، وكان يستطيع القيام بالكثير من الحركات والحيل".

"نعم، فهذا الأمر يناسبه كثيرًا، وهل رأيته بعد ذلك كثيرًا؟".

"حسنا. قليلاً جدًا؛ فقد كان يدعونى لحضور الحفلات وما إلى ذلك، وكان فيها الكثير من المرح".

"إلا أنك لم تعجبى به هو نفسه، أليس كذلك؟".

"أجل، كنتُ أشعر بأنه شخص مثير للرعب".

قال المفتش فى لطف:

"إلا أنك لا تعرفين سببًا خاصًا لأن تخافى منه".

رفعت إليه الآنسة ميريديث عينين رائقتين وقالت:

"سببًا خاصًا؟ أوه، كلا".

"جيد جدًا. وفيما يتعلق بالليلة، هل حدث أن غادرت مكانك؟".

"لا أعتقد ذلك. أوه، نعم. ربما أكون قد غادرت مكانى مرة واحدة؛ لقد درتُ حول المائدة لكى أنظر إلى ما فى أيدى اللاعبين".

"إلا أنك كنت أمام مائدة اللعب طوال الوقت؟".

"نعم".

"هل أنت متأكدة من ذلك يا آنسة ميريديث؟".

احمرت وجنتا الفتاة بحرارة، قبل أن تقول:

"كلا... كلا. أعتقد أننى تجولت فى المكان قليلاً".

"صحيح. اعذرينى يا آنسة ميريديث، ولكنك يجب أن تحاولى أن تقولى الحقيقة. أنا أعرف أنك متوترة، وعندما يشعر الإنسان بالتوتر، يميل إلى... حسنا، يميل إلى أن يقول الأشياء بالطريقة التى يريدها أن تبدو عليه، إلا أن ذلك لا يهم فى النهاية. لقد تجولتِ فى المكان، ولكن هل ذهبتِ فى اتجاه السيد شايتانا؟".

صمتت الفتاة لدقيقة قبل أن تقول:

"حقيقة، لا أتذكر".

"حسنا، لنقل إنك ذهبتِ اتجاهه. والآن، هل تعرفين شيئًا عن الآخرين؟".

هزت الفتاة رأسها نفيًا، وقالت:

"لم أر أيًّا منهم من قبل".

"ماذا تعتقدين بشأنهم؟ هل هناك قتلة محتملون بينهم؟".

"لا أصدق ذلك، فقط لا أصدق ذلك ـ لا يمكن أن يكون الرائد ديسبارد، ولا يمكننى أن أصدق أن يكون الطبيب، رغم كل شىء؛ فالطبيب يمكنه أن يقتل أى إنسان بطريقة أسهل. بدواء؛ أو أى شىء من هذا القبيل".

"إذن، إذا ما حاولنا اختيار أى شخص، فأنت تعتقدين أنه السيدة لوريمر".

"أوه، لا. لا يمكن. أنا متأكدة من أنها ليست القاتلة. إنها امرأة رائعة ومن الممتع أن تلعب معها الورق ـ إنها جيدة جدا، ولا يمكن أن تجعلك تشعر بالتوتر وأنت فى صحبتها؛ فهى لا

تركز على أخطاء الآخرين".

قال المفتش: "ولكنك تركتها للنهاية".

"لأن الطعن بالسكين يبدو أسلوبًا يلائم النساء أكثر".

وقام المفتش باتل بحيلته السحرية، فتراجعت الآنسة ميريديث للوراء، وقالت:

"أوه، مرعب. هل ينبغى علىّ أن ألمسه؟".

"أريدك أن تفعلى ذلك".

راقبها وهى تأخذ الخنجر الصغير بحذر شديد، فيما تقلصت ملامح وجهها فى اشمئزاز، وقالت:

"بهذا الشىء... بهذ...".

قال المفتش فى استمتاع: "يمكن أن يتوغل فى الجسد كما يتوغل فى قطعة من الزبد، وأى طفل يمكن أن يرتكب الجريمة به".

اتسعت عيناها فى ذعر وثبتتهما على عينيه وقالت: "هل تقصد... هل تقصد أننى ربما أكون قد ارتكبتُ هذه الجريمة؟ ولكننى لم أفعل ذلك. أوه، لم أفعل ذلك. ولماذا أفعل ذلك؟".

قال المفتش: "هذا ما نحاول أن نعرفه. ما هو الدافع؟ لماذا يقوم أحد الأشخاص بقتل السيد شايتانا؟ لقد كان شخصًا مظهريًا إلا أنه لم يكن خطرًا، وذلك على حد علمى".

فكر المفتش باتل وهو يراقبها: هل انحبس نفسها قليلاً ـ هل ارتفع صدرها قليلاً؟

وأكمل كلامه متسائلاً: "ألم يكن مبتزًا على سبيل المثال، أو شيئًا من هذا القبيل؟ وعلى أية حال يا آنسة ميريديث، لا يبدو

عليك أنك فتاة تخفى أسرارا سيئة فى حياتها".

ولأول مرة منذ دخلت الحجرة، ابْتسمَتْ، وقد شعرت بالاطمئنان بسبب طريقته الودية، وقالت:

"لا، ليست لدىّ أية أسرار ـ ليست لدىّ أية أسرار على الإطلاق".

"لا تقلقى يا آنسة ميريديث، سوف نعود فنلقى عليك بعض الأسئلة الأخرى كما أتوقع، ولكن ذلك لن يخرج عن إطار الروتين".

ونهض.

"والآن يمكنك الذهاب، وسوف يجد لك الشرطى سيارة أجرة، ولا تجعلى ما جرى يحرمك من النوم. خذى قرصين من الأسبرين".

وأشار إليها بأنه يمكنها أن تغادر، وبعدما استدار، قال له الكولونيل ريس فى صوت خفيض خبيث:

"أيها المفتش، لم أكن أعتقد أنك مخادع بارع بهذه الطريقة! لقد كان أسلوبك الأبوى رائعًا".

"لا داعى للتلاعب بها يا سيدى الكولونيل؛ فقد تكون طفلة مسكينة قتلها الخوف ـ وفى هذه الحالة سيكون التلاعب بها قسوة، وأنا لستُ قاسيًا، ولن أكون ـ أو قد تكون ممثلة صغيرة بارعة، ولا ينبغى أن نذهب أبعد من ذلك، إذا كنا لن نبقيها نصف الليلة هنا".

تنهدت السيدة أوليفر، وجرت بيديها على شعرها، حتى أعطاها مظهر المرأة السكيرة، ثم قالت:

"هل تعلمون! أعتقد أننى بدأت الآن أصدق أنها هى من فعل ذلك! من حسن الحظ أننى لم أكتب قصة مثل هذه؛ فالقراء لا يحبون أن تكون الفتيات الصغيرات الجميلات هن القاتلات. وعلى الرغم من ذلك، أعتقد أنها هى من فعلها. ماذا تعتقد يا سيد بوارو؟".

"أنا؟ لقد اكتشفتُ اكتشافًا".

"فى سجلات الورق مرة أخرى".

"لقد قلبت الآنسة ميريديث ورقة التسجيل، وسجلت الأرقام على ظهرها".

"وماذا يعنى ذلك؟".

"يعنى ذلك أنها اعتادت على الفقر أو أنها صاحبة عقلية اقتصادية".

قالت السيدة أوليفر: "ولكنها ترتدى ثيابًا فاخرة".

صاح المفتش باتل: "أدخِلوا الرائد ديسبارد".

الفصل ٧

القاتل الرابع

دخل ديسبارد الحجرة بخطوات رشيقة سريعة، وهى الخطوات التى ذكرت بوارو بشىء ما أو بشخص ما.

قال المفتش: "عذرا لأننا تركناك تنتظر كل هذا الوقت أيها الرائد ديسبارد، لكننى كنتُ أريد أن أجعل النساء ينصرفن مبكرًا".

"لا تعتذر، فأنا أتفهم ذلك".

جلس ونظر فى تساؤل إلى المفتش، فبدأ الأخير أسئلته قائلا:

"ما درجة معرفتك بالسيد شايتانا؟".

قال ديسبارد فى برود: "لقد قابلته مرتين فقط".

"مرتين فقط؟".

"هذا كل شىء".

"ومتى حدث ذلك؟".

"قبل شهر كنا معا فى حفل عشاء فى نفس المنزل، ثم دعانى إلى حفل ساهر بعدها بأسبوع".

"حفل ساهر هنا؟".

"نعم".

"وفى أى مكان فى المنزل أقيم الحفل ـ فى هذه الحجرة أم فى حجرة الاستقبال؟".

"فى كل الحجرات".

"هل ترى هذا الشىء الملقى هناك؟".

ومن جديد، أظهر المفتش الخنجر الصغير.

التوت شفتا الرائد ديسبارد قليلًا، قبل أن يقول:

"لا. لم ألاحظه فى المرة السابقة، ولم أقرر أن بإمكانى استخدامه فى المستقبل".

"ليس هناك داعٍ للقفز فوق الأحداث أيها الرائد ديسبارد".

"اغفر لى ذلك، لكن التلميح كان فى منتهى الوضوح".

ساد الصمت لبرهة قبل أن يواصل المفتش استجوابه قائلًا:

"هل لديك أية دوافع لكراهية السيد شايتانا؟".

"كل الدوافع".

صاح المفتش فى اندهاش: "ماذا؟".

فقال ديسبارد: "الكراهيته، وليس لقتله ـ ليس لدىَّ أدنى رغبة فى أن أقتله، إلا أننى كنتُ سأستمتع بضربه، لكن للأسف، فات الأوان الآن".

"ولماذا كنتَ تريد أن تضربه أيها الرائد ديسبارد؟".

"لأنه من أولئك الحقراء الذين ينبغى أن نضربهم بقسوة ـ عندما كنت أراه، كنت أشعر دومًا بالغثيان".

"هل تعرف أى شىء عنه ـ أعنى شيئًا يتعلق بكونه سيئ السمعة؟".

"كان يتأنق فى ارتداء ثيابه بصورة مبالغ فيها، وكان يطيل

من شعره كثيرًا، وكان يضع العطور بإفراط".

أشار المفتش بإصبعه السبابة قائلًا: "ومع ذلك، قبلتَ دعوته على العشاء؟".

قال ديسبارد فى أسلوب جاف: "لو كان يتعين علىّ ألا أحضر حفلات عشاء إلا فى منازل أولئك الذين أحبهم، فأظن أنى لن أخرج من منزلى إلا قليلًا يا سيدى المفتش".

فقال المفتش مخمنًا: "أنت تحب المجتمع، ولكنك لا توافق على ما يجرى فيه؟".

"أحبه على فترات قصيرة ـ أحبه عندما أعود من الأدغال إلى الحجرات المضاءة والنساء اللواتى يرتدين ثيابا جميلة. وأحب الرقص والمرح ـ نعم، أستمتع بذلك كله — لفترة من الوقت، ولكن الزيف الذى يسود جنبات المجتمع يجعلنى أشعر بالغثيان، وسرعان ما تنطفئ رغبتى فى المجتمع من جديد".

"لا ريب أنك تعيش حياة خطرة أيها الرائد ديسبارد؛ تلك الحياة التى تتنقل فيها فى تلك الأماكن الموحشة".

هز ديسبارد كتفيه، وابتسم ابتسامة خفيفة، وقال:

"لم يعشِ السيد شايتانا حياة خطرة، إلا أنه مات، بينما أنا لا أزال حيًّا أرزق".

فقال المفتش فى لهجة ذات معنى: "ربما كانت حياة السيد شايتانا أخطر مما تظن".

"ماذا تعنى؟".

قال المفتش: "لقد كان الفقيد شخصًا متطفلاً نوعًا ما".

"هل تقصد أنه كان يحب التدخل فى حياة الآخرين ـ وأنه

اكتشف بعض الأسرار؟".

"أعنى بالفعل أنه ربما كان شخصًا من ذلك النوع الذى يتطفل - إممم - حسنًا، على النساء".

عاد الرائد ديسبارد إلى الخلف فى مقعده وضحك فى استمتاع ولكن فى غير مبالاة، قبل أن يقول:

"لستُ أعتقد أن النساء يتعاملن مع مثل هذا الدجل بأى نوع من الجدية".

"ما تصورك عن الشخص الذى قتله أيها الرائد ديسبارد؟".

"حسنًا، أعرف أننى لم أفعلها، وكذلك الآنسة الصغيرة ميريديث، ولا أتخيل أن تقوم السيدة لوريمر بارتكاب الجريمة - فهى تذكرنى بواحدة من عماتى اللواتى يَخَفْن الله. مما يترك لدينا السيد الطبيب".

"هل يمكنك أن توضح لى تحركاتك أنت والآخرين هذه الليلة؟".

"لقد قمتُ من مكانى مرتين، الأولى لكى أحضر مطفأة سجائر، وكذلك حركت الأخشاب قليلًا فى النار - والثانية لإحضار كأس من الشراب...".

"متى؟":

"لستُ متأكدا. ربما كانت المرة الأولى فى حوالى العاشرة والنصف، والثانية فى الحادية عشرة، إلا أن ذلك يبقى محض تخمين. وقد ذهبت السيدة لوريمر إلى المدفأة مرة، وقالت شيئًا ما للسيد شايتانا، ولكننى فى الواقع لم أسمع إجابته

ولكننى وقتها لم أكن ألقى بالًا. وقد تجولت الآنسة ميريديث فى الحجرة قليلًا، وذهبت قرب المدفأة، أما روبرتس فكان كثير الجلوس والقيام، فقد نهض ثلاث أو أربع مرات".

قال المفتش مبتسمًا: "سأسأل سؤال السيد بوارو: كيف تراهم كلاعبى ورق؟".

"الآنسة ميريديث لاعبة جيدة، أما روبرتس فيخاطر فى اللعب قليلًا، وهو يستحق من الخسارة أكثر مما خسر بالفعل. ولكن السيدة لوريمر لاعبة رائعة بالفعل".

استدار المفتش لـ بوارو قائلًا له:

"هل تريد أن تسأل عن أى شىء آخر يا سيد بوارو؟".

هز بوارو رأسه بالنفى.

أعطاهم ديسبارد عنوانه فى ألبانى، وتمنى لهم ليلة طيبة وغادر الحجرة.

وبينما كان يغلق الباب خلفه، قام بوارو بحركة بسيطة، فسأله المفتش قائلًا:

"ما هذا الذى فعلته؟".

قال بوارو: "لا شىء - لقد خطر ببالى أنه يتحرك مثل النمر - نعم، تمامًا كالنمر - برشاقة وسلاسة النمر".

قال المفتش: "حسنًا". وجال ببصره فى رفاقه الثلاثة سائلًا إياهم: "من منهم الذى فعلها؟".

الفصل ٨
مَن منهم القاتل؟

دار المفتش باتل نظراته بين وجوه الجالسين، ولم يجب عن سؤاله إلا شخص واحد، فقد اندفعت السيدة أوليفر، والتى لا تتردد أبدا فى أن تعبر عن وجهة نظرها، فى الكلام قائلة:

"إما الفتاة أو الطبيب".

نظر المفتش إلى الشخصين الآخرين فى تساؤل. إلا أن كلا الرجلين لم يكن لديه ما يقوله، فهز الكولونيل ريس رأسه نافيا، فيما تشاغل بوارو فى فرد أوراق سجلات نتائج اللعب.

قال المفتش مفكرًا: "أحدهم فعلها. أحدهم يكذب دون شك ولكن مَن منهم؟ ليس الأمر سهلا، كلا، ليس سهلا".

ثم صمت لدقيقة أو اثنتين، قبل أن يقول:

"بالنظر إلى ما قالوه، يرى الطبيب أن ديسبارد هو من فعلها، وديسبارد يعتقد أن الطبيب هو الذى فعلها، وتقول الآنسة ميريديث إن السيدة لوريمر فعلتها، بينما لم تتهم السيدة لوريمر أحدًا بأنه فعلها! لا شيء يضىء الطريق".

قال بوارو: "ربما لا".

ألقى عليه المفتش نظرة خاطفة قائلًا:

"هل تعتقد أن هناك شيئًا ما يضىء لنا الطريق؟".

لوح بوارو بيده فى الهواء وقال:

"أمر بسيط جدًّا ـ لا شىء أكثر! لا شىء تبنى فوقه".

فاستمر المفتش قائلا:

"ألن تقولا أيها السيدان فيم تفكران...؟".

قال ريس فى جفاء: "لا يوجد دليل".

تنهدت السيدة أوليفر فى ازدراء لمثل هذا التحفظ وقالت: "أوه، هذا ما تقصده!".

قال المفتش: "لننظر إلى الاحتمالات المتاحة: أعتقد أن الطبيب يأتى على رأس القائمة، فهو نوع مريب من البشر، وهو أيضًا يعرف المنطقة المناسبة فى الجسم ليضرب فيها. ولكن فيما عدا ذلك، لا يوجد شىء ضده. بعده يأتى ديسبارد: فهو رجل يتمتع بثبات أعصاب كبير، وتعوّد على اتخاذ قرارات فورية، ويعتبر نفسه وهو وسط المخاطر أنه فى بيته ـ لكن ماذا عن السيدة لوريمر؟ إنها تتمتع أيضا بقدر لا بأس به من ثبات الأعصاب، كما أنها من ذلك النوع من النساء اللواتى لديهن سر فى حياتهن، بل إنها تبدو وكأنها سيدة خبرت المشكلات. ولكن من ناحية أخرى، يمكننى أن أطلق عليها سيدة ذات مبادئ، وهى من ذلك النوع الذى يمكن أن يتولى إدارة مدرسة للفتيات، وليس من السهل تخيلها وهى تطعن أى شخص بالسكين. إنها تبدو سيدة عادية المظهر، بل أقرب إلى الفتاة الخجول، إلا أن المرء لا يعرف أى شىء عنها، كما سبق أن قلت".

قال بوارو: "إننا نعرف أن شايتانا يؤمن بأنها ارتكبت جريمة قتل".

قالت السيدة أوليفر فى تأمل: "قناع الملاك يخفى ملامح الشيطان".

قال الكولونيل ريس للمفتش متسائلا: "وإلى أين يقودنا ذلك أيها المفتش؟".

"هل تعتقد أن كل ما قلناه تخمين غير مُجْدٍ يا سيدى؟ ينبغى علينا أن نضع الفروض والتخمينات فى مثل هذه القضية".

"أليس من الأجدى محاولة اكتشاف أى شىء دفين فى حياة هؤلاء الأشخاص؟".

ابتسم المفتش قائلا:

"أوه، سوف نقوم بالكثير من الجهد فى هذا الاتجاه، وأعتقد أنك تستطيع أن تساعدنا بالتأكيد".

"بالطبع، ولكن كيف؟".

"فيما يتعلق بالرائد ديسبارد، فهو يغادر البلاد كثيرًا إلى أمريكا الجنوبية وشمالى أفريقيا، ولديك وسائل تستطيع من خلالها أن تعرف الكثير عن هذه الأماكن، ويمكنك أن تحصل على معلومات عنه".

هز ريس رأسه موافقًا، وقال:

"سيتم إنجاز المهمة، وسأحصل على المعلومات المتاحة".

صاحت السيدة أوليفر: "أوه. لدىّ خطة ـ نحن الآن أربعة، ولدينا أربعة ـ من الشرطة السرية كما يمكنك أن تقول ـ وهناك أربعة منهم! ما الحال إذا ما راقب كل منا شخصًا منهم، وهو ما يمكن أن يدعم افتراضاتنا بشأنهم! سيقوم الكولونيل ريس بمراقبة الرائد ديسبارد، ويقوم المفتش باتل بمراقبة الدكتور روبرتس، وأنا سأتولى أمر آن ميريديث، بينما يتولى السيد بوارو أمر السيدة لوريمر ـ على أن يتبع كل

منا الخطة التى نضعها معا!".

هز المفتش رأسه نافيًا بشكل قاطع، وقال:

"لا يمكننا القيام بذلك على الإطلاق يا سيدة أوليفر. فهذه القضية يتم التحقيق فيها بشكل رسمى كما ترين. وأنا المسئول، وعلىّ أن أقوم بالتحريات فى كل الاتجاهات. وبالإضافة إلى ذلك، لا يزال الأمر محض افتراضات، وهناك اثنان منا لم يعلنا عن موقفهما؛ فالكولونيل ريس لم يقل إنه يشك فى ديسبارد، ومن المحتمل ألا يراهن السيد بوارو على السيدة لوريمر".

تنهدت السيدة أوليفر قائلة:

"لقد كانت خطة جيدة"، وعادت تتنهد فى أسف، وهى تتابع قائلة: "محكمة تماما"، ثم تهللت أساريرها قليلا، وهى تردف: "إلا أنك لا تمانع فى أن أقوم ببعض التحريات لحسابى الشخصى، أليس كذلك؟".

قال المفتش فى بطء: "كلا. لا أستطيع أن أقول إننى أعارض ذلك، ففى الواقع، إنه خارج نطاق سلطتى أن أعارض قيامك بذلك؛ فكونك أحد المدعوين لهذا الحفل يعطيك الحق بصورة طبيعية فى القيام بأية تحريات تشبع فضولك أو تفرضها عليك اهتماماتك - إلا أننى أريد أن أوضح لك، يا سيدة أوليفر، أنه يجب عليك أن تكونى أكثر حذرًا".

قالت السيدة أوليفر: "سأكون التكتم بعينه - لن أنبس ببنت شفة مما قيل هنا، أى شىء..."، ثم صمتت فى ضعف.

قال هيركيول بوارو: "لا أعتقد أن المفتش باتل قد عنى ما

تقولينه؛ إنه يعنى أنك سوف تتعاملين مع شخص ارتكب، وفق أفضل المعلومات المتاحة لدينا، جريمتى قتل؛ شخص لن يتورع عن ارتكاب جريمة قتل ثالثة إذا ما شعر بأن الأمر ضرورى".

نظرت إليه السيدة أوليفر فى تفكير، قبل أن تبتسم ابتسامة ودية جذابة، مثل طفل صغير مشاكس، وأخيرًا قالت وهى تقتبس العبارة المشهورة لرجال التحريات:

"لقد تم تحذيرك، شكرا لك يا سيد بوارو، سأنتبه لما أنا مقدمة عليه، إلا أننى لن أبعد عما يجرى".

انحنى بوارو فى احترام، وقال:

"اسمحى لى بأن أقول إنك الروح الرياضية ذاتها، يا سيدتى".

قالت السيدة أوليفر وهى تجلس فى مقعدها مستقيمة، فى لهجة تشبه اجتماعات مجالس إدارة الشركات: "سوف نتبادل كل المعلومات التى نتوصل إليها، ولن يحتفظ أى منا بمعلومات لنفسه، إلا أننا سنتميز، بالطبع، بين المعلومات وبين استنتاجاتنا وانطباعاتنا".

تنهد المفتش قائلًا:

"هذه ليست قصة بوليسية يا سيدة أوليفر".

قال ريس:

"من الطبيعى أن يتم تقديم كل المعلومات إلى الشرطة".

قال ذلك بأفضل ما لديه من "أسلوب مهنى أمنى"، وأضاف وفى عينيه لمعة بسيطة: "وأنا متأكد من أنك ستلعبين بروح رياضية يا سيدة أوليفر - القفاز الملوث، والبصمات على

الأسطح الزجاجية، وبقايا الورق المحترق لدى المفتش باتل".

هزت رأسها فى تصميم.

ونهض ريس قائلًا للمفتش باتل:

"سوف أتحرى عن ديسبارد كما طلبتَ، ولكن قد يستغرق الأمر بعض الوقت. هل هناك شىء آخر يمكننى القيام به؟".

"لا أعتقد ذلك. شكرا لك يا سيدى. أليست لديك أية ملاحظات؟ سأقدر أى شىء من هذا القبيل".

"إممم. حسنًا، بإمكانى أن أبحث عن أى أمور تتعلق باعتداءات بإطلاق النار والتسميم والحوادث، ولكننى أتوقع أنك ستقوم بتحريات عن هذه الأمور بنفسك".

"لقد كتبت ملاحظة بذلك بالفعل".

"يا لك من رجل رائع يا سيدى المفتش. إنك لن تحتاج إلى أن أعلمك مهامك. طاب مساؤك يا سيدة أوليفر، طاب مساؤك يا سيد بوارو".

وبعد أن هز رأسه محييا المفتش، غادر ريس الحجرة.

تساءلت السيدة أوليفر: "من هو؟".

قال المفتش باتل: "إنه رجل صاحب سجل رائع فى العسكرية. وقد سافر كثيرًا جدًّا، ولا توجد إلا أجزاء قليلة فى العالم لا يعرفها".

قالت السيدة أوليفر: "أعتقد أنه من المخابرات، وأعرف أنك لا تستطيع أن تؤكد لى ذلك؛ إلا أنه لم يكن ليشارك فى الاستجواب الليلة ما لم يكن رجل مخابرات بالفعل؛ فهناك أربعة مجرمين فى مواجهة أربعة من الشرطة السرية -

سكوتلانديارد والمخابرات والتحقيق الشخصى وكتابة القصة البوليسية. فكرة رائعة".

هز بوارو رأسه نافيًا وقال:

"أنت مخطئة يا سيدتى - إنها فكرة غبية جدًا؛ لقد أخذ النمر حذره، وانطلق هاربا فى رشاقة".

"النمر؟ لماذا النمر؟".

قال بوارو: "أعنى القاتل".

قال المفتش فى فظاظة: "وما هو الطريق الصحيح من وجهة نظرك يا سيد بوارو؟ هذا سؤال. كذلك أريد أن أعرف أيضا تصورك بشأن نفسية هؤلاء الأربعة. فأنت تبدى اهتمامًا كبيرًا بهذه النقطة".

قال بوارو وهو لا يزال يعمل على فرد أوراق سجلات اللعب:

"أنت محق: فالأشياء النفسية عامل مهم، ونحن نعلم طبيعة الجريمة من خلال الطريقة التى تم ارتكابها بها؛ فإذا ما كان لدينا شخص لا يستطيع من الناحية النفسية أن يرتكب الجريمة بالطريقة التى تم ارتكابها بها، فيمكننا بذلك أن نستبعد هذا الشخص من حساباتنا. إننا نعرف شيئًا ما بشأن هؤلاء الأشخاص، ولدينا انطباعنا الخاص بشأنهم، ونعرف الأسلوب الذى اختاره كل منهم لحياته، كذلك نعرف شيئًا ما عن طريقة تفكيرهم وشخصياتهم، وذلك من خلال ما عرفناه عنهم كلاعبى ورق، ومن خلال دراسة خطوط يدهم فى تلك السجلات ــ ولكن يا للأسف! ليس من السهل

على الإطلاق إصدار حكم قاطع؛ فهذه الجريمة تتطلب جرأة وثبات أعصاب إنه شخص يقبل القيام بالمخاطرة. حسنا لدينا الدكتور روبرتس ـــ مخادع ويلعب بأسلوب المغامرة وهو شخص يتمتع بثقة كاملة فى قدرته على تجاوز المخاطر وتتناسب طبيعته النفسية تمامًا مع الجريمة، وربما يقول قائل إن ذلك يلغى تلقائيًا الآنسة ميريديث من حساباتنا. فهى جبانة وتخشى المخاطرة فى اللعب، وهى حريصة واقتصادية وفطنة وتفتقد للثقة فى النفس، وهى آخر نوع يمكنه أن يقوم بعمل يتطلب جرأة ومخاطرة شديدة ـ إلا أن الشخص الجبان يمكنه أن يرتكب جريمة ما بدافع الخوف؛ فالشخص الخائف المتوتر يمكنه أن يصبح شخصًا محبطًا، أى يمكنه أن يتحول إلى فأر وُضِعَ فى موقف يتطلب المواجهة وذلك بعدما حُوصر فى أحد الأركان. فإذا ما كانت الآنسة ميريديث قد ارتكبت جريمة فى الماضى، وإذا كانت تؤمن بأن السيد شايتانا يعلم بالظروف التى أحاطت بهذه الجريمة، وأنه سوف يقدمها إلى العدالة، فسوف يثير الهلع جنونها، ولن تدخر وسعًا فى سبيل الدفاع عن نفسها؛ أى أننا سنواجه النتيجة نفسها، إلا أن الدافع سيكون مختلفا ـ فهو ليس أعصابًا باردة ولا جرأة ولكنه الإحباط والذعر. والآن لننتقل إلى الرائد ديسبارد، وهو شخص هادئ واسع الحيلة، ويمكنه أن يفكر فى القيام بأمر خطير إذا ما شعر بأنه ضرورى، لكنه فى البداية سيوازن بين الإيجابيات والسلبيات وبعدها يقرر ما إذا كانت هناك فرصة حقيقية فى صالحه أم لا ـ وهو من ذلك النوع من الرجال الذى

يفضل القيام بالفعل على عدم القيام به، وهو من النوع الذى لا يتوانى عن الأعمال الخطرة إذا ما شعر بأن هناك فرصة جيدة للنجاح إذا ما قام بها. وفى النهاية، لدينا السيدة لوريمر، وهى سيدة عجوز وإن كانت لا تزال تتمتع بسيطرة كاملة على حواسها وملكاتها. وهى سيدة هادئة، ولديها عقل رياضى حسابى، وربما كانت أفضل عقل من بين العقول الأربعة. إننى أعترف بأنه إذا ما كانت السيدة لوريمر هى من ارتكب الجريمة، فلسوف تكون جريمة مع سبق الإصرار. وإننى أستطيع أن أتخيلها وهى تخطط للجريمة فى بطء ودقة، وهى تتأكد من أنه لا توجد ثغرات فى خطتها؛ ولهذا السبب، تبدو لى أكثر بعدًا عن دائرة الاتهام من الثلاثة الآخرين ـ إلا أنها تبدو الشخصية الأكثر سيطرة، ومهما فَعَلَتْ فإنها من المرجح جدا أن تقوم بذلك دون أية أخطاء ـ إنها سيدة ذات كفاءة كبيرة".

ثم صمت للحظة، وبعدها أردف:

"حسنًا،، هذه وجهة نظر، ولكنها لن تساعدنا كثيرًا؛ فهناك طريقة واحدة فقط للتعامل مع هذه الجريمة، وهى الرجوع إلى الماضى".

تنهد المفتش مغمغمًا:

"لقد قلتها بنفسك".

قال بوارو: "كان السيد شايتانا، يعتقد أن كل واحد من الأربعة قد ارتكب جريمة قتل، فهل كان لديه دليل؟ أم أن الأمر كان تخمينًا؟ لا يمكننا القول، إلا أننى أعتقد أنه من غير المحتمل أن يكون لديه أدلة على الجرائم الأربع...".

قال المفتش وهو يهز رأسه موافقًا: "إننى أتفق معك فى هذا الرأى، وأعتقد أن فى الأمر كثيرًا من المصادفة".

"أعتقد أن الأمر يمكنه أن يكون قد تم بهذه الطريقة ـ لقد تم ذكر جريمة قتل أو نوع معين من جرائم القتل، ولم السيد شايتانا تعبيرًا على أحد الوجوه، وكان سريعًا فى التقاط التعبير وكذلك فى فهم معناه. ولقد أغراه ذلك لكى يجرى ـ لاستكشاف الموضوع برفق من خلال مجموعة من الحوارات تبدو فارغة المضمون ـ وكان متيقظًا لأى تعبير يوحى بالخوف والتحفظ والرغبة فى تحويل المحادثة لموضوع آخر. أوه، لقد تم الأمر بسهولة. فإذا ما شككتَ فى سر ما، فليس هناك ما هو أسهل من أن تؤكد شكوكك؛ فكل مرة تصيب فيها كلماتك هدفًا سوف تلاحظ ذلك، إذا ما كنتَ تركز على ذلك الشىء".

قال المفتش وهو يهز رأسه: "إنه ذلك النوع من اللهو الذى كان يسر صديقنا الراحل كثيرا".

"يمكننا أن نفترض أن هذا هو السياق الذى تم به الأمر فى حالة أو أكثر، وربما يكون قد حصل على دليل ما فى حالة أخرى، وقام بمتابعته ـ ولكننى أشك فى أنه كان لديه، فى أى من الحالات، ما يكفى من الأدلة لكى يتوجه بها للشرطة".

قال المفتش: "أو ربما لم يكن الحال هكذا؛ ففى كثير من الأحوال تكون هناك أعمال قذرة، مما يجعلنا نشك فى وجود خيانة ما بين طرفين، إلا أننا لا يمكن أن نثبت ذلك، وعلى أية حال، لقد اتضح السياق: الآن يتعين علينا أن نحاول استكشاف ماضى كل أولئك الأشخاص، وأن نلاحظ أى حالات وفاة قريبة

شيء قد تكون ذات دلالة. إننى أتوقع أن تكون قد لاحظتَ، مثلما لاحظ الكولونيل ريس، ما قاله السيد شايتانا فى العشاء".

غمغمت السيدة أوليفر: "طائر أسود".

"إنها إشارة فى منتهى الدقة للسم، لحادثة، لفرصة يتحينها طبيب، لحوادث إطلاق نار. لن أندهش إذا ما علمتُ أنه وقّع تصريح قتله بهذه الكلمات".

قالت السيدة أوليفر: "لقد كانت لحظة صمت بشعة".

قال بوارو: "نعم. لقد كان لهذه الكلمات وقع فى نفس أحد الأشخاص ـ شخص حسب أن شايتانا يعلم أكثر مما يجب، يظن ذلك الشخص أن فى هذه الكلمات بداية النهاية ـ لقد حسب أن الحفل عبارة عن عرض ترفيهى دراماتيكى قام شايتانا بترتيبه بشكل يؤدى إلى اعتقال القاتل باعتباره ذروة الاحتفال! نعم، كما تقول، لقد وقَّع تصريح قتله بهذه الكلمات؛ عندما وضع لضيوفه شركًا بهذه الكلمات".

ساد الصمت للحظة، قبل أن يقطعه المفتش وهو يقول متنهدًا:

"ستكون قضية طويلة، ولن يمكننا الوصول إلى ما نريد الوصول إليه فى لحظة، وينبغى علينا أن نتحلى بالحرص. إننا لا نريد أن يشك أى من الأربعة فيما نفعل؛ فكل الاستجوابات التى نقوم بها ينبغى أن تبدو وكأنها تركز على جريمة القتل هذه. ولا ينبغى أن يكون هناك أى شك فى أن لدينا فكرة ما عن دافع الجريمة. إن أكثر الأمور صعوبة فى هذا السياق هو أننا ينبغى علينا أن نقوم بالتحقيق فى أربع جرائم وقعت فى

الماضى - لا جريمة واحدة فقط".

اعترض بوارو قائلًا:

"لم يكن صديقنا شايتانا معصومًا من الخطأ، فربما يكون قد أخطأ".

"بشأن الأربعة؟".

"لا، لقد كان أكثر ذكاءً من ذلك".

"هل تقول إن الخطأ والصواب لهما نسب متساوية فى كل الحالات؟".

"ولا حتى ذلك. أعتقد أن الصواب قد جانبه فى حالة واحدة من الأربع".

"برىء واحد وثلاثة مذنبين؟ إن هذا الأمر سيئ بما يكفى، والأكثر سوءا هو أننا حتى فى حال وصولنا إلى الحقيقة، فإن ذلك قد لا يساعدنا؛ فحتى إن كان أحدهم قد قتل جدته بدفعها من أعلى السلم منذ عشرين عامًا، فإن ذلك لن يساعدنا الآن".

قال بوارو مشجعا إياه: "نعم، نعم. سيكون ذلك مفيدا لنا، أنت تعرف ذلك، كما أعرفه أنا".

هز المفتش رأسه موافقًا، وقال:

"أعلم ما تقول - نفس الأسلوب".

قالت السيدة أوليفر: "هل تقصد أن الضحية السابقة لقيت مصرعها طعنا بخنجر أيضا؟".

قال المفتش وهو يستدير إليها: "ليس بنفس الطريقة تمامًا، إلا أننى لا أشك فى أنها ستكون جريمة من نفس النوع بصفة

عامة - ربما تختلف التفاصيل، إلا أن الخطوط العريضة أسفل تلك التفاصيل متشابهة، إنه أمر غريب، إلا أن الجانى يكشف نفسه دومًا بهذه الطريقة".

قال هيركيول بوارو: "إن الرجل بطبعه مخلوق غير مبتكر".

قالت السيدة أوليفر: "لكن النساء قادرات على تقديم عدد غير محدود من التنويعات لنفس الأمر، أنا شخصيًّا لن أرتكب نفس النوع من الجرائم مرتين".

سألها المفتش: "ألا تكتبين نفس النوع من الحبكات القصصية فى كل مرة؟".

غمغم بوارو قائلًا: "مثل روايتى جريمة اللوتس، ودليل الشمعة".

نظرت إليه السيدة أوليفر وعيناها تشعان بالتقدير، وقالت:

"منتهى الروعة منك - منتهى الروعة منك! لأن هاتين القصتين كانتا بهما نفس الحبكة، ولكن أحدًا غيرك لم يلحظ ذلك. لقد كانت إحداهما تتناول سرقة ملفات من حفل غير رسمى فى عطلة نهاية الاسبوع بمجلس الوزراء، والثانية كانت تتناول جريمة قتل فى كوخ أحد زارعى المطاط فى بورنيو".

قال بوارو: "إلا أن الفكرة الرئيسية التى كانت القصتان تدوران حولها كانت واحدة - واحدة من أكثر حبكاتك دقة حيث يقوم زارع المطاط بترتيب تمثيلية تنتهى بقتله، كذلك يقوم رئيس الوزراء بترتيب عملية وهمية لسرقة أوراق مكتبه، وفى اللحظة الأخيرة يأتى أحد الأشخاص ويقوم بتحويل الخداع

إلى حقيقة".

قال المفتش فى لطف: "لقد استمتعتُ بآخر قصصك؛ تلك التى أُطلِقَ فيها النار على كل قادة الشرطة فى نفس الوقت. لقد أخطأت فى تفصيلة أو اثنتين فيما يتعلق بآليات العمل الرسمى، وأعلم أنك تتحرين الدقة، لذلك فقد تساءلتُ عما إذا...".

قاطعته السيدة أوليفر قائلة:

"فـى الواقـع، أنا لا أهتـم تمامًـا بالدقة، إذ مـن هو ذلك الشخـص الدقيق؟ لا أحـد فى هذه الأيام يتمتـع بالدقة، فإذا مـا كتب أحد المحررين أن فتاة جميلة فى الثانية والعشرين من عمرها قد ماتـت مختنقة بالغاز، بعدما تطلعت للبحر، وقامت بتوديـع بوب ـ كلبها الـ "لابرادور" الأثير ـ فهل سيهتم أحد بما إذا كانت الفتاة تبلغ من العمر ٢٦ عاما، أو بأن مسكنها لم يكن على الشاطئ، أو أن الكلـب كان من فصيلة "سيليهام تيرير" ويدعـى "بونى"؟ إذا ما كان الصحفى يقوم بذلك، فلست أرى أنـه من المهم أن أخلط بين أنواع السلاح التى يستخدمها رجال الشرطة بأن أقول مسدسًا عاديًّا بدلًا من أن أقول مسدسًا آليًّا، وأن أقول رسمًا بيانيًّا وأنا أعنى خريطة، وأن أستخدم نوعًا من السـم يتيـح لك ألا تقـول إلا جملة واحدة أثناء آخـر أنفاسك. إن مـا يهـم بالفعل هو كـثرة الجثث! فإذا مـا انخفضت درجة التشويق فى الرواية إلى حد ما، فإن بعض الدماء تكفى لإنعاش الأحـداث؛ وذلك بـأن ينوى أحد الأشخاص أن يقول شيئا ما، فيمـوت قبل أن يتكلـم! هذا هو الأمر المهـم. إن كل كتبى تسير

على هذا النسق ـ مع اختلاف الأساليب، بالطبع. ويحب الناس السم الذى ليس له أثـر، ومحققى الشرطة الأغبياء، والفتيات اللواتـى يُعلَّقـنَ فى الأسقف مـع فتح أسطوانـات الغاز أو صب الماء عليهن ـ وهـى طريقة صعبة جدا للقتل فـى الواقع وبطل يستطيع التخلص مـن كل شىء ومن ٣ إلى ٧ أشرار بضربة يد واحـدة. لقد كتبتُ ٣٢ رواية حتـى الآن، وكلها بالطبع تسير فى نفـس الإطار فى الواقع، وفق ما يبدو أن السيد بوارو قد لاحظه ولم يلاحظـه غيره ـ إلا أننى لم أنـدم على شىء إلا على جعلى المحقـق بطل الروايات شخصًا فنلنديًّا؛ فأنا لا أعرف شيئًا عن الفنلنديـين، وأتلقى خطابات مـن فنلنديين يوضحون لى أمورًا من المستحيل على البطـل أن يقولها أو يقوم بهـا. ويبدو أنهم يقـرءون القصـص البوليسية كثيرًا فـى فنلندا. إننـى أعتقد أن لديهـم شتاءً طويـلًا لا تسطع فيه الشمس. أمـا فى بلغاريا ورومانيـا، فلا يبدو أنهم يقرءون على الإطلاق، لذلك يبدو أنه كان من الأفضل لى أن أجعله بلغاريًّا".

وصمتت قبل أن تواصل:

"آسفة. فأنا ثرثارة، وهذه جريمة حقيقية". وأشرق وجهها وهى تتابع: "أليست فكرة جيدة فى ألا يكون أى منهم هو الذى قتله؟ ماذا عن أنه دعاهم كلهم ثم انتحر على سبيل المزاح لكى يصنع جوًّا من الارتباك".

هز بوارو رأسه موافقًا وقال:

"حـل مقبـول ومحكـم، وساخـر. ولكـن للأسـف، لم يكن السيـد شايتانا من هذا النوع من النـاس، فقد كان مغرمًا كثيرًا

بالحياة".

قالت السيدة أوليفر ببطء: "لا أعتقد أنه كان شخصًا لطيفًا".

قال بوارو: "كلا. لم يكن شخصًا لطيفًا، ولكنه كان على قيد الحياة، وهو الآن ميت، وكما قلتُ من قبل، لدىّ رؤية برجوازية لجرائم القتل ـ فأنا لا أقرها".

وأضاف فى هدوء:

"ولذلك فإننى مستعد للدخول إلى قفص النمر...".

الفصل ٩

الدكتور روبرتس

"صباح الخير سيدى المفتش".

قالها الدكتور روبرتس، وهو ينهض من مكانه مادًا يدًا كبيرة وردية اللون تفوح بخليط من رائحة الصابون الجيد والقليل من الفنيل. وتابع قائلاً:

"كيف تسير الأمور؟".

نظر المفتش باتل حوله فى حجرة الاستشارات المريحة، قبل أن يقول:

"حسنا يا دكتور روبرتس. إذا أردتَ أن نتكلم بدقة، فإن الأمور لا تسير، فهى لا تزال فى مكانها".

"لا يوجد الكثير فى الصحافة، وهو ما أسعدنى كثيرًا".

"*موت مفاجئ للسيد المعروف شايتانا فى حفل عشاء فى منزله*. إنهم لم يتناولوا أكثر من ذلك فى الصحافة حتى الآن. نحن لدينا تقرير الطب الشرعى ـ وقد أعددتُ تقريرا بما تم العثور عليه ـ وهو ما قد يثير اهتمامك...".

"هذا لطف منك. سيبدو الأمر ... حسنًا ... مثيرًا للاهتمام".

ثم أعاد التقرير إلى المفتش.

قال المفتش باتل: "لقد استجوبنا محامى السيد شايتانا، وعرفنا مفردات وصيته، ولا يوجد بها شىء مهم. يبدو أن

لديـه أقارب فى سوريا، كمـا أننا عاكفون علـى فحص أوراقه الخاصة".

ثم سأل المفتش نفسه: تُرى هل تخيلت ذلك؟

أم أن وجه السيد روبرتس الواسع المحلوق بعناية قد توتر قليلًا ـ تخشَّب قليلًا؟

قالَ الدكتور روبرتس: "وبعد؟".

قال المفتش وهو يراقبه: "لا شىء".

لم تكن هناك تنهيدة ارتياح، أو أى شىء واضح من هذه التعبيرات، إلا أن الطبيب بدا أكثر استرخاء فى مقعده، وقال:

"ولذلك جئتَ إلىّ؟".

"ولذلك، كما تقول، جئتُ إليك".

ارتفع حاجبا الطبيب قليلًا، والتقت عيناه الماكرتان بعينى المفتش قبل أن يقول:

"أنت تريد أن تفحص أوراقى الخاصة، أليس كذلك؟".

"هذه فكرتى".

"هل لديك إذن تفتيش؟".

"كلا".

"حسنًا، أعتقد أنه يمكنك أن تحصل على واحد بسهولة. ولذلك لن أعقد الأمور. صحيح أنه من غير اللطيف أن يكون المرء متهمًا فى جريمة قتل، إلا أننى لا أستطيع أن ألومك على ما هو واضح أنه مهمتك".

قال المفتش فى اعتراف بالجميل: "شكرا لك يا سيدى إننى أقدِّر لك تعاونك كثيرًا جدًّا إذا أمكننى ذلك. وأتمنى أن يكون

الجميع على نفس القدر من العقلانية".

قال الطبيب فى مزاج رائق: "ما لا يمكن مداواته، يجب احتماله".

وأردف قائلًا:

"لقد انتهيت من الكشف على مرضاى هنا. والآن، أنا مطلق السراح. سوف أترك لك المفاتيح، وأخبر السكرتيرة ويمكنك أن تتجول كما يحلو لك".

قال المفتش: "هذا لطف منك. ولكننى أريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة قبل أن ترحل".

"بشأن الليلة الماضية؟ لقد قلتُ لك فى الواقع كل ما أعرف".

"لا. ليس بشأن الليلة الماضية. ولكن بشأنك أنت".

"حسنـا أيهـا المفتـش؛ اسـأل كمـا تشـاء. ماذا تريـد أن تعرف؟".

"أريد رصدا دقيقا لمسار حياتك يا دكتور روبرتس: الميلاد، الزواج، وما إلى ذلك".

قال الطبيب فى لهجة جافة: "وكأننا عدنا إلى الحضانة نلعب لعبة من صاحب الشخصية؟ إن مسار حياتى مستقيم وسليم. أنا رجل من شروفشاير، وُلدت فى لَدلو، وكان أبى يعمل طبيبًا هناك، وقد مات وعمرى ١٥ عامًا. تعلمتُ فى شروزبرى، والتحقت بمهنة الطب مثلما فعل أبى من قبلى. وأنا رجل متدين ـ ولكنك تستطيع أن تعرف كل التفاصيل الخاصة بمهنتى الطبية، كما أتوقع".

"نعم يا سيدى، فقد فحصتُ أوراقك الطبية. هل أنت ابن وحيد، أم أن لك أشقاء أو شقيقات؟".

"أنا ابن وحيد، مات أبواى، ولستُ متزوجًا، هل يفى ذلك بالغرض؟ لقد جئتُ إلى هنا لتأسيس عيادة مشتركة مع الدكتور إيمر، وقد تقاعد قبل ١٥ عاما، ويعيش فى أيرلندا، ويمكننى أن أعطيك عنوانه إذا أردتَ. وأنا أعيش هنا مع طاه، وساقية وخادمة. وتأتى السكرتيرة يوميًّا، وأحقق دخلا جيداً، ولا أقتل إلا عددًا قليلاً من مرضاى - هل هذه المعلومات كافية؟".

ابتسم المفتش وقال:

"هـذه معلومـات شاملـة يـا دكتـور روبرتـس، وأنـا سعيد لأنك تتمتع بحسن الدعابة. والآن، سوف أسألـك سؤالاً واحدًا إضافيًّا".

"أنا رجل فى منتهى الأخلاق يا سيدى المفتش".

"أوه، ليس هذا مقصدى. لا، لقد كنتُ أريد فقط أن أطلب منك أن تخبرنى بأسماء أربعة من أصدقائك المقربين، الذين تعرفهم منذ سنوات - نوع من المرجعيات، إذا ما كنتَ تدرك ما أقصده".

"نعـم، أعتقـد ذلـك. والآن، دعنـى أرَ. أتفضّـل أشخاصًا موجودين فى لندن الآن؟".

"سيجعل ذلك الأمر أسهل علىّ، إلا أنه لا يهم".

فكـر الطبيـب لدقيقـة أو اثنتـين، بعدهـا كتـب أربعة من الأسمـاء والعناوين بقلمه الحبر على قطعة من الورق ودفع بها على سطح المكتب إلى المفتش، قائلا له:

"هل يكفى هؤلاء؟ هؤلاء هم أفضل من يمكننى أن أفكر فيهم من وحى اللحظة".

قرأ المفتش باتل الأسماء وهز رأسه فى رضا، ووضع الورقة فى أحد جيوبه الداخلية وقال:

"إنها مسألة استبعاد لا غير؛ فكلما حذفتُ اسم أحد الأشخاص من القائمة بسرعة، كان ذلك أفضل لأولئك المعنيين بالأمر. علىّ فقط أن أطمئن إلى أنك لم تكن على خلاف مع السيد شايتانا، وأنك ليس لك معه ارتباطات خاصة أو مشروعات تجارية، مما قد يجعل من الممكن أن يكون قد لحق بك ضررًا فى وقت ما، الأمر الذى جعلك تحمل له الضغينة. ربما أصدقك عندما تقول إنك لم تكن تعرفه إلا معرفة سطحية، ولكن الأمر ليس مقصورًا على تصديقى لك. يبقى علىّ أن أقول إننى متأكد".

"أوه، أنا أفهم تمامًا ما تقول - عليك أن تعتبر الجميع كاذبين حتى يثبت أنهم يقولون الحقيقة. ها هى مفاتيحى أيها المفتش: هذه هى المفاتيح الخاصة بأدراج المكتب - وهذه هى الخاصة بالحجرة نفسها - والصغير هو مفتاح دولاب السموم. تأكد من أنك أغلقته ثانيةً. ربما كان من الأفضل أن أخبر السكرتيرة بوجودك".

وضغط على مفتاح فى مكتبه.

وتقريبًا فى نفس الوقت، انفتح الباب ودخلت امرأة شابة تبدو عليها أمارات الكفاءة والمقدرة وقالت:

"هل تستدعينى يا دكتور روبرتس؟".

"هـذه الآنسة بيرجس - وهـذا هو المفتش باتـل من شرطة إسكوتلانديارد".

ألقت الآنسة بيرجس نظرة باردة على المفتش، وكأنها تقول:

"يا إلهى، أى نوع من الحيوانات هذا؟!".

قال روبرتس:

"سأكون سعيدًا يا آنسة بيرجس إذا ما أجبتِ عن أية أسئلة يطرحها عليك المفتش، وإذا أعطيته ما قد يحتاج إليه من المساعدة".

"بالتأكيد، إذا ما طلبتَ ذلك يا دكتور".

قال روبرتس وهو ينهض: "حسنا، سأرحل. هل وضعت المورفين فى حقيبتى؟ سأحتاجه لحالة لوكهارت؟".

كان يسير فى سرعة وهو لا يزال يتكلم والآنسة بيرجس تتبعه.

ثم عادت بعد دقيقة أو اثنتين لتقول:

"هلا ضغطتَ الجرس عندما تحتاج إلىّ أيها المفتش؟".

شكرها المفتش، وقال إنه سيفعل ذلك عندما يحتاج إليها، وبدأ فى العمل.

كانـت بحثه دقيقًـا ومنهجيًـا، على الرغم مـن أنه لم يكن يحـدوه أى أمـل فـى أن يجد شيئًـا ذا أهمية. لقـد كان إذعان روبرتـس كافيـا لاستبعـاد كل احتمال فـى العثور علـى شىء، فالسيـد روبرتـس لم يكن غبيا، وقـد كان مـدركًا أن التفتيش قـادم، وبالتالى تعين عليه أن يقوم ببعض الإجراءات. ولكن مع

ذلك، فقـد كانت هناك فرصة ضئيلة فـى أن تقع عينا المفتش على طرف المعلومة التى يسعى وراءها، بالنظر إلى أن روبرتس لا يعرف السبب الحقيقى وراء التفتيش.

فتح المفتش الأدراج المغلقـة، وقـام بالتفتيش فـى كل العلب النفيسـة المقفولـة، وتفحص دفـتر الشيـكات وقـام بتقديـر الفواتير التـى لم يتم دفعها - وكتـب ملاحظات بشأن طبيعـة تلك الفواتير، كما دقق فى دفـتر آخر للشيكات، كذلك تفحص الملاحظات التى يكتبهـا روبرتس عن الحالات الطبية. بصفة عامة، لم يـترك أية وثيقة مكتوبة إلا وفحصها. وكانت الحصيلـة هزيلـة جـدًا. بعد ذلـك، ألقـى نظرة علـى دولاب السمـوم، وكتب ملاحظات بشأن شـركات الأدوية التى يتعامل معهـا روبرتس وطريقة الدفع وأعاد غلق الدولاب، ثم توجه إلى المكتـب. وكانت الأشياء الموجودة علـى طاولة المكتب ذات طابع شخصـى، ولم يجد المفتش أى شـىء ذا قيمة فيما يبحث عنه، هز رأسه وجلس على مقعد الطبيب ودق الجرس.

ظهرت الآنسة بيرجس فى سرعة محببة:

طلب منها المفتش باتل فى تهذيب أن تجلس، ثم أخذ يدرسها قليلًا قبل أن يقرر الأسلوب الذى سيتعامل به معها. شعر فورًا بأنها تتخذ منه موقفًا عدائيًّا، ولم يعرف ما إذا كان من الأفضل أن يحاول أن يستفزها لكى يدفعها للكلام حتى خارجة عن شعورها من خلال زيادة مستوى العدائية، أم يحاول أن يتبع أسلوبًا أهدأ فى الكلام.

وفى النهاية، قال: "أعتقد أنك تعرفين عما يدور ذلك كله

يا آنسة بيرجس؟".

قالت الآنسة بيرجس فى اختصار: "لقد أخبرنى الدكتور روبرتس".

قال المفتش: "الأمر كله بسيط".

قالت الآنسة بيرجس: "حقا؟".

"حسنا، إنه أمر بشع، أربعة أشخاص متهمين وأحدهم هو الذى فعلها، وكل ما أريد أن أعرفه هو هل رأيت السيد شايتانا على الإطلاق؟".

"أبدًا".

"ألم تسمعى مطلقًا الدكتور روبرتس وهو يتكلم عنه؟".

"إطلاقًا - كلا، لقد أخطأت، فقبل أسبوع، طلب منى الدكتور روبرتس أن أكتب فى أجندته موعد حفل عشاء السيد شايتانا - فى الساعة ٨,١٥ من مساء الثامن عشر من الشهر الجارى".

"وكانت هذه أول مرة تسمعين فيها باسم السيد شايتانا؟".

"نعم".

"ألم تقرئى هذا الاسم من قبل فى الجرائد؟ إنه يظهر غالبًا فى صفحة المجتمع".

"لدىّ أشياء أكثر أهمية من قراءة صفحة المجتمع".

قال المفتش فى لطف: "أتوقع ذلك. أوه، أتوقع ذلك".

وأردف قائلًا: "حسنًا. هذا كل ما فى الأمر. هؤلاء الأربعة يعترفون بأن معرفتهم بالسيد شايتانا كانت معرفة سطحية، إلا

أن واحدًا منهم كان يعرفه بدرجة تكفى لأن يقتله. إن مهمتى هى أن أعرف من الذى قتله من بين هؤلاء الأربعة".

ساد صمت حرج لفترة قصيرة، وبدا أن الآنسة بيرجس غير مهتمة على الإطلاق بالمهمة المكلف بها المفتش، ولكن كانت مهمتها أن تطيع أوامر مخدومها والتى تقتضى بأن تجلس فى مكانها وتستمع إلى ما يقرر المفتش أن يقوله وتجيب عن أية أسئلة مباشرة يقرر أن يطرحها عليها.

وعلى الرغم من أن المفتش كان يجد صعوبة فى اختيار كلماته إلا أنه قال: "تعلمين يا آنسة بيرجس أننى أتشكك فيما إذا كنت ستقدرين نصف الصعوبات التى نمر بها فى مهمتنا. حسنا، يقول الناس أشياء، وعلى الرغم من أننا ربما لا نصدق أيا مما قالوه، فإننا يجب أن نكتبه كله، ويبدو هذا الأمر ملحوظا بصفة خاصة فى هذه القضية. إننى لا أريد فى كلامى أن أبدو متحيزًا ضد بنات جنسك من النساء، إلا أن المرأة عندما تفقد أعصابها، ينزلق لسانها قليلًا، وتلقى الاتهامات بصورة عشوائية وتبدأ فى الإشارة بإصبع الاتهام إلى هذا وذاك وتلك، وتبدأ فى ذكر مختلف الفضائح التى وقعت، والتى لا يكون لها أية علاقة بهذه القضية".

سألته آنسة بيرجس: "تعنى أن امرأة من أولئك الأشخاص الأربعة قد قالت أشياء ضد الدكتور؟".

قال المفتش بحذر: "على وجه التحديد لم تقل شيئًا، ومع ذلك، فأنا ملزم بأن آخذ ملاحظات عن كل شىء، وخصوصًا الظروف المريبة التى صاحبت وفاة أحد المرضى. قد يكون

الأمـر كله كلامًـا فارغًـا، وأشعر بالخجـل مـن أن أثير ضيق الطبيب بسؤاله عن ذلك".

قالت آنسة بيرجس فى غضب: "أعتقد أن أحدهم قد سمع بقصة السيدة جريفز. تبدو الطريقة التى يتكلم بها الناس عما يعرفون ـ دون النظر إلى طبيعة ما يتكلمون عنه ـ أمرًا مخجلًا. إن كثيرًا من النساء العجائز يفكرن بهذه الطريقة: فيعتقدن أن أحدًا دس لهن السم ـ من أقربائهن أو خدمهن بل وحتى أطبائهن. لقد تعاقب على علاج السيدة جريفز ٣ أطباء قبل الدكتور روبرتس، ولكن بعد أن بدأت نفس المخاوف تهاجم السيدة جريفز إزاء الدكتور روبرتس، قام بتسليم مسئولية الإشراف عليها إلى الدكتور لى؛ فهذا هو التصرف الوحيد الذى يمكن القيام به فى مثل تلك الحالات. ومن بعد الدكتور لى، جاء الدكتور ستيل، وبعده الدكتور فارمر حتى ماتت المسكينة العجوز".

قال المفتش: "يشعر المرء بالدهشة من الكيفية التى تتحول بها الأشياء الصغيرة إلى قصة. عندما يستفيد أحد الأطباء من وفاة أحد المرضى، يخرج علينا شخص ما بقصة خبيثة فلماذا لا ينبغى لأية مريضة تعترف بالجميل أن تترك شيئًا ما ولو كان كبيرًا لطبيبها المعالج؟".

قالت الآنسة بيرجس: "إن الأمر دائماً ما يتعلق بالأقارب فإننى أعتقد أن الموت هو الشىء الوحيد الذى يمكنه أن يُظهر الوضاعة من النفس الإنسانية ـ كالصراع على مَن يئول إليه الميراث، قبل أن يبرد جثمان المتوفى. لحسن الحظ أن الدكتور

روبرتس لم يمر بمشكلات من هذا النوع، وهو يقول دائما إنه يأمل ألا يترك له مرضاه أى شىء. أعتقد أنه ذات مرة آل إليه ميراث عبارة عن خمسين جنيها وعصوين للتعكز وساعة ذهبية، ولكن لا شىء غير ذلك".

قال المفتش وهو يتنهد: "حياة صعبة هى حياة أصحاب المهن: فالمرء فيها دومًا عرضة للابتزاز، وأكثر الأشياء براءة قد تودى بهم فى بعض الأحيان إلى الفضائح، حتى إنه على الطبيب تجنب الظهور بمظهر الشرير ـ وهذا يعنى أن حواسه يجب أن تكون يقظة وحادة على الدوام".

قالت الآنسة بيرجس: "كثير مما تقوله صحيح؛ فالدكتور يلقى الكثير من النساء الهستيريات".

"النساء الهستيريات. هذا صحيح. لقد فكرتُ فى أن الأمر كله يعود إلى النساء الهستيريات".

"أعتقد أنك تقصد السيدة كرادوك".

قال المفتش وهو يتظاهر بالتفكير: "انتظرى لثوانٍ ـ لقد كان ذلك منذ ٣ سنوات؟ لا، أكثر".

"أعتقـد أن ذلـك كان من ٤ أو ٥ سنـوات: لقد كانت سيدة غير طبيعية من الطراز الأول! وشعرت بالسعادة عندما تركت البلاد وكذلك شعر الدكتور روبرتس. لقـد قصت على زوجها أكثر الأكاذيب إثـارة للرعب ـ وكلهن يفعلـن ذلك، بالطبع. يا للرجل المسكين! لم يكن يتصرف علـى طبيعته ـ وبدأ يمرض. إصابات بالجمـرة الخبيثـة، كمـا تعلـم، جـراء فرشـاة حلاقة ملوثة".

قال المفتش كاذبًا: "لقد نسيت هذه القصة".

"بعدها، غادرت السيدة كرادوك البلاد، وماتت بعد فترة قليلة؛ لقد كانت نوعًا سيئًا من النساء ـ مجنونة رجال".

قال المفتش: "أعرف هذا النوع ـ إنه نوع خطر يجب على الطبيب أن يحتاط منه. أعتقد أننى أذكر المكان الذى ماتت فيه بالخارج".

"مصر، حسبما أعتقد، لقد أصيبت بتسمم فى الدم وهو مرض محلى معد".

قال المفتش: "إنه موقف صعب آخر بالنسبة لطبيب"، ثم توقف قبل أن يتابع قائلًا: "أن يتهم بقتل أحد مرضاه بالسم فيما يكون الفاعل هو أحد أقرباء المريض، ما الذى يجب أن يفعله فى هذه الحالات؟ أن يبقى واثقًا ـ أو على الأقل أن يغلق فمه. فإذا ما اختار الحل الثانى، ستترتب بعض التداعيات السلبية على ذلك إذا ما تكلم أحد بصورة غير لائقة فيما بعد. إننى أتساءل عما إذا كان الدكتور روبرتس قد مر بشىء مثل هذا أم لا".

قالت الآنسة بيرجس مفكرة: "لا أعتقد أنه مر بذلك، لم أسمع بشىء مثل هذا من قبل".

"سيكون من المثير أن نعرف من وجهة النظر الإحصائية كم مريضًا يتوفى لطبيب واحد خلال عام؟ فعلى سبيل المثال، أنت مع الدكتور روبرتس منذ عدة سنوات...".

"سبع".

"سبع سنوات. حسنا، اذكرى لى رقمًا تقريبيًا عن حالات

الوفاة التى وقعت بين مرضى الدكتور روبرتس".

كانت الآنسة بيرجس قد صارت الآن أكثر هدوءًا وأقل تشككًا، وقالت وهى تفسح لنفسها وقتا للحساب: "من الصعب القول إنها سبع حالات أم ثمان ـ بالطبع، لا أستطيع أن أتذكر على وجه التحديد ـ ولكننى لا أستطيع أن أقول ٣٠ مثلًا طيلة هذه المدة".

قال المفتش فى صدق: "إذن، يمكن القول إن الدكتور روبرتس أكثر كفاءة من كثير من الأطباء الآخرين. وأعتقد أيضا أن معظم مرضاه من الطبقة العليا، والذين يمكنهم أن ينفقوا المال على علاج أنفسهم".

"إنه طبيب مشهور جدًا، ويتسم بالكفاءة فى التشخيص".

تنهد المفتش، وقال وهو ينهض:

"أخشى أننى سرحت بعيدًا عن مهمتى الأصلية وهى أن أجد رابطًا بين الدكتور روبرتس وذلك المدعو السيد شايتانا هل أنت متأكدة من أنه لم يكن أحد مرضى الدكتور؟".

"متأكدة".

فقال لها المفتش: "ولا تحت اسم آخر؟"، ثم أعطاها صورة وقال لها: "هل تعرفين هذا الشخص؟".

"يا له من شخص مسرحى المظهر. لا. لم أره من قبل على الإطلاق".

تنهد المفتش قائلًا: "حسنا. هذا يكفى. أنا متأكد من أننى أشهد للدكتور بأنه كان لطيفًا فى كل شىء يتعلق بهذه القضية. أخبريه بذلك، حسنا؟ وأخبريه بأننى سوف أنتقل إلى رقم ٢،

إلى اللقاء آنسة بيرجس، وشكرًا على المساعدة".

وصافحها وغادر المكان. وأثناء سيره فى الشارع، أخرج من جيبه مفكرة وكتب فيها عدة سطور أسفل حرف الراء.

السيدة جريفز؟ غير محتمل.

السيد كرادوك؟

لا يوجد ميراث.

لا زوجة (للأسف)

فحص الوفيات بين المرضى، أمر صعب.

وأغلق المفكرة، ودخل فرع لانكاستر من بنك لندن ووسكس.

وتمكن من مقابلة المدير على انفراد عندما أظهر بطاقته الرسمية:

"صباح الخير يا سيدى. أعتقد أن الدكتور جيفرى روبرتس أحد عملائك".

"تماما أيها المفتش".

"أريد بعض المعلومات عن حساب هذا المحترم عن عام مضى".

"سأرى ما يمكننا مساعدتك به".

ومرت نصف ساعة عصيبة. وفى النهاية، تنفس المفتش الصعداء، وحصل على ورقة عليها أرقام بالقلم الرصاص.

وسأله مدير البنك فى فضول: "هل حصلتَ على ما تريد؟".

"كلا. ليس هناك أى دليل. شكرا لك على أية حال".

فى هذه الأثناء، كان الدكتور روبرتس يقول للآنسة بيرجس - التى كانت تقف خلفه - وهو يغسل يده فى غرفة الاستشارة:

"ماذا عن شرطينا الغبى؟ هل قلب المكان رأسًا على عقب وأنت فى الخارج؟".

قالت الآنسة بيرجس وهو تطبق شفتيها بقوة: "أستطيع أن أقول لك إنه لم يحصل على الكثير منى".

"يا فتاتى العزيزة! لا حاجة بك لئلا تتكلمى - لقد قلتُ لك أن تخبريه بكل ما يريد. وبالمناسبة، ما الذى كان يريد أن يعرفه؟".

"أوه. لقد أخذ يعزف على وتر مستوى معرفتك بالسيد شايتانا - متسائلا عما إذا كان شايتانا قد جاء إلى هنا كمريض تحت اسم مختلف. لقد أرانى صورته - ذلك الشخص المسرحى المظهر!".

"شايتانا؟ نعم. لقد كان مولعًا بالظهور بمظهر الشيطان المصرى. عم سألك أيضًا؟".

"فى الواقع لم يسأل عن الكثير. عدا - أوه نعم، لقد أخبرته بهذا الهراء عن السيدة جريفز - أنت تعرف الطريقة التى كانت تتعامل بها مع الآخرين".

"جريفز؟ جريفز؟ أوه، نعم! جريفز المسكينة! إنها قصة أخرى لطيفة"، وقال وهو يضحك فى استمتاع حقيقى: "إنه أمر لطيف بالفعل".

وبدأ فى تناول طعام الغداء بمزاج رائق.

الفصل ١٠

الدكتور روبرتس (يتبع)

جلس المفتش باتل يتناول طعام الغداء مع السيد هيركيول بوارو.

كان الأول يجلس وقد خفض بصره للأرض، فيما بدا على الأخير التعاطف معه، وقال بوارو فى تفكير:

"إذن، لم يكلل يومك بأى نجاح".

هز المشرف رأسه نافيا وقال:

"يبدو أن العمل فى هذه القضية سيكون صعبًا يا سيد بوارو".

"وما رأيك؟".

"أتقصد الطبيب؟ حسنا، بصراحة أعتقد أن شايتانا كان محقا. إنه قاتل، ويذكرنى بـ ويستواى، وبذلك المحامى الشاب فى نورفولك؛ فله نفس الطابع الودود والثقة فى النفس، وله نفس الشعبية، وكل منهما بارع للغاية ـ كذلك روبرتس. ومع ذلك، فلا يعنى هذا أن روبرتس هو من قتل شايتانا. وفى الواقع، لا أعتقد أنه هو القاتل. فهو يعلم ـ أكثر من غيره من الأشخاص العاديين ـ أن المخاطرة ستكون كبيرة جدا؛ لأن السيد شايتانا قد يستيقظ ويصرخ. لا، لا أعتقد أن روبرتس هو الذى فعلها".

"ولكنك تعتقد أنه قتل شخصا آخر؟".

"من المحتمل أن يكون قد قتل أشخاصًا كثيرين. لقد فعل ويستوى ذلك، إلا أنه سيكون من الصعب إثبات ذلك. لقد اطلعت على مفردات حسابه البنكى - لا شىء مثير للشك فيها - ووجدت أنه لم يتم إيداع مبالغ كبيرة فيه فجأة. وخلال السنوات السبع الأخيرة، لم يحصل السيد روبرتس على أى ميراث من أى منْ مرضاه - سواء كان ذلك الميراث كبيرًا أو صغيرًا، وهذا يلغى احتمال القتل للحصول على مكاسب مباشرة. كما أنه لم يتزوج - وهذا أمر مثير للشفقة - ومن السهل على أى طبيب أن يقتل زوجته. إنه ثرى، ولكنه كافح من أجل الوصول إلى ذلك الثراء".

"يبدو فى الواقع كما لو أنه يحيا حياة لا تشوبها شائبة وأعتقد أنه كذلك بالفعل".

"ربما، ولكننى أميل إلى تصديق الأسوأ".

وتابع قائلًا:

"هناك نوع من الفضيحة فيما يتعلق بإحدى النساء - واحدة من مرضاه - وتدعى السيدة كرادوك؛ وهو أمر أعتقد أنه جدير بالبحث. سوف أكلف أحد الأشخاص بالبحث فى هذا الأمر على الفور. لقد ماتت المرأة بالفعل فى مصر بعد الإصابة بأحد الأمراض المحلية، وبالتالى لا أعتقد أن هناك الكثير مما يقال فى الأمر، إلا أنه من الممكن أن يؤدى ذلك إلى إلقاء الضوء على شخصيته وأخلاقه بصفة عامة".

"هل كانت متزوجة؟".

"نعم. وقد مات زوجها بالجمرة الخبيثة".

"الجمرة الخبيثة؟".

"نعم، كان بالأسواق الكثير من فرش حلاقة الذقن الرخيصة، البعض منها كان مسممًا. لقد كانت هناك فضيحة كبيرة وقتها".

قال بوارو مفكرا: "أمر ملائم".

"هذا ما أعتقده، وخصوصًا لو كان زوجها سيقيم الدنيا ويقعدها - إلا أن كل ذلك لا يعدو أن يكون حدسًا؛ فلا يوجد لأفكارنا أقدام تقف عليها".

"تشجع يا صديقى، فأنا أعرف مقدار صبرك، وفى النهاية، سيكون لأفكارك الكثير من الأقدام لتقف عليها".

قال المفتش مبتسمًا: "وفى النهاية أسقط فى البئر من فرط التفكير فى تلك الأقدام"، واستعاد جديته وهو يسأل بوارو فى فضول:

"وماذا عنك يا سيد بوارو؟ هل ستتدخل فى الأمر؟".

"ربما أتصل أنا أيضا بالدكتور روبرتس".

"كلانا فى نفس اليوم، سيعنى هذا أن ريح الاتهام تتجه نحوه".

"أوه، سأكون فى منتهى الحصافة - لن أفتش فى حياته السابقة".

قال المفتش فى فضول: "أريد أن أعرف على وجه الدقة أى اتجاه ستسلكه. ولكنك لن تقول لى إلا عندما تقرر أنت ذلك".

"إطلاقًا - إطلاقًا. سأقول لك. سوف أتكلم قليلًا عن لعبة الورق - هذا هو كل شىء".

"لعب الورق من جديد. أنت تعزف على نفس الوتر يا سيد بوارو، أليس كذلك؟".

"إننى أجد هذا الموضوع مفيدًا".

"حسنا، فكل إنسان وله ذوقه، وأنا لا أتعامل بهذه الأساليب المزخرفة ـ إنها لا تناسب طبيعتى".

"وما طبيعتك يا سيادة المفتش؟".

أجاب المفتش على الوميض فى عينى بوارو بوميض فى عينيه، قبل أن يقول:

"إننى ضابط صريح وأمين ومتحمس ويقوم بمهامه بأكثر الأساليب جهدًا ـ هذا أسلوبى: لا تكلف ولا زخرفة. فقط العرق والجهد والأمانة، إن أسلوبى بارد وغبى قليلا".

رفع بوارو قدح شرابه، وقال: "أسلوب رائع. لنأمل أن يكلل النجاح مجهودنا المشترك".

فقال المفتش: "أعتقد أن الكولونيل ريس قد يأتى إلينا بشىء ما بشأن ديسبارد، إن لديه الكثير من المصادر الجيدة للمعلومات".

"والسيدة أوليفر؟".

"لست متأكدا من أنها قد تأتى بشىء. إننى أشعر ببعض الإعجاب تجاه هذه المرأة، فعلى الرغم من أنها تقول الكثير من الكلام الفارغ، إلا أن روحها رياضية، ويمكن للنساء أن يعرفن أشياء عن بعضهن البعض مما لا يمكن للرجال أن يعرفوه. ربما تصل إلى شىء مفيد".

انفصل الاثنان: حيث توجه المشرف إلى سكوتلانديارد؛

كى يعطى بعض التعليمات بشأن متابعة بعض الخيوط، أما بوارو فقد توجه إلى ٢٠٠ شارع جلوسستر تراس.

رفع الدكتور روبرتس حاجبيه فى دهشة وهو يحيى ضيفه، قال:

"اثنان من المحققين فى يوم واحد! أعتقد أن الليلة ستنتهى بأن توضع الأصفاد فى يدى".

ابتسم بوارو، قائلًا:

"يمكننى أن أؤكد لك يا دكتور روبرتس أن اهتمامى موزع بالتساوى على أربعتكم".

"هذا شىء تستحق عليه الشكر فى كل الأحوال، هل تدخن؟".

"أستميحك عذرًا، ولكننى أفضل سجائرى الخاصة".

وأشعل بوارو واحدة من سجائره الروسية القصيرة، قبل أن يسأله روبرتس:

"حسنا، ما الذى يمكننى أن أقدمه لك؟".

ظل بوارو على صمته لثانية أو اثنتين، وهو ينفث دخان السجائر، قبل أن يقول:

"هل أنت مراقب جيد للطبيعة الإنسانية يا دكتور؟".

"لا أعلم، ولكننى أعتقد أننى كذلك؛ فالطبيب يجب أن يكون كذلك".

"هذا بالضبط ما أفكر فيه. لقد قلتُ لنفسى: يجب على الطبيب أن يفحص مرضاه وتعبيراتهم ولون بشرتهم وسرعة تنفسهم وأية إشارات أخرى تدل على المرض ـ يلاحظ الطبيب

هذه الأشياء بصورة آلية، وربما دون أن يعى أنه يفعل ذلك. أعتقد أن الدكتور روبرتس هو الرجل الذى سيساعدنى".

"أنا على أتم استعداد للمساعدة. ما المشكلة؟".

أخرج بوارو من حافظة صغيرة أنيقة ثلاثًا من أوراق تسجيل نتائج لعب الورق مطبقة بعناية، قبل أن يقول موضحا:

"هذه هى الجولات الثلاث الأولى من اللعب فى تلك الليلة. هذه هى الأولى بخط الآنسة ميريديث. والآن، يمكنك أن تخبرنى ـ مستعينًا بتلك الوريقات لتحفيز ذاكرتك ـ كيف كان اللعب، وكيف سارت كل يد على المائدة وما هى نتيجتها؟".

حدق روبرتس إليه فى ذهول قبل أن يقول:

"لا بد أنك تمزح يا سيد بوارو. كيف يمكننى أن أتذكر؟".

"ألا تستطيع أن تتذكر؟ سأكون شاكرا لك إذا ما تذكرت. لا بد أن الجولة الأولى قد انتهت بفوز كبير بسبب تشابه الأرقام أو أن الطرف الآخر قد جمع كمية كبيرة من الأوراق فى النهاية".

"دعنى أتذكر. بماذا تحقق أول مكسب فى اللعب؟ نعم أعتقد أنه تحقق بالأوراق البستونى".

"والتوزيعة التالية؟".

"أعتقد أن واحدا منا جمع عددًا كبيرًا من الأوراق ـ ولكن لست أعرف من هو ذلك، ولا كم كان الرقم الذى حققه. بالفعل يا سيد بوارو، لا يمكنك أن تتوقع أن أتذكر ذلك بسهولة".

"ألا يمكنك أن تتذكر أيًا من التوزيعات أو التقسيمات؟".

"كانت معى الخمسة والبنت ـ أتذكر ذلك. لم تكن الأوراق جيدة، وأتذكر أننى سقطتُ فى فخ سخيف فى الورق؛ فلم تكن لدىّ أى من الأوراق الرابحة. أعتقد أننى سحبت السبعة الدينارى، إلا أن ذلك كان لاحقًا".

"هل تتذكر مع من كنت تلعب؟".

"السيدة لوريمر. كانت تبدو متجهمة قليلا. كما أذكر، وأعتقد أن ذلك يرجع إلى أنها لم تكن تحب مخاطرتى فى اللعب".

"ولكن ألا تتذكر كيفية لعب أى من اللاعبين الآخرين؟".

ضحك روبرتس، قبل أن يقول:

"يا سيد بوارو، هل تتوقع بالفعل أن أتذكر؟ ففى البداية، هناك الجريمة ـ التى أطارت أغلب صور اللعب من ذهنى ـ إلى جانب أننى لعبتُ الكثير من الأدوار فى تلك الليلة".

جلس بوارو وقد بدت عليه معالم الاكتئاب والضيق، فقال روبرتس:

"آسف".

لكن بوارو قال فى بطء: "لا يهم ذلك كثيرًا. لقد كنتُ آمل فى أن تستطيع أن تتذكر على الأقل أسلوب لعب واحد أو اثنين من اللاعبين؛ لأننى أعتقد أن ذلك كان من الممكن يساعد فى تذكر مجموعة من الملاحظات الأخرى المهمة".

"ما هى الأشياء الأخرى؟".

"حسنا، يمكنك أن تلاحظ، على سبيل المثال، أن شريكك قد أضاع فرصة سهلة للعب، أو كذلك فعل أحد منافسيك،

وذلك على الرغم من وضوح الأوراق".

اكتسى وجه الدكتور روبرتس بالجدية فجأة، وقال يه... يميل فى مقعده:

"آه. الآن أفهم ما ترمى إليه. اعذرنى. لقد اعتقد... فى البداية أنك تقول كلامًا فارغًا، أنت تعنى أن جري... القتل - ارتكاب الجريمة بصورة ناجحة - ربما يكون قد أ... إلى اختلاف كبير فى طريقة لعب القاتل؟".

هز بوارو رأسه موافقًا، وقال:

"لقد بدأت تفهمنى - سيكون ذلك أول خيط على قدر كبـ... من الأهمية نصل إليه فى هذه القضية، وذلك إذا ما كا... أربعتكم يعرفون أسلوب بعضهم البعض جيدًا، فأى اختلاف أ... خفوت مفاجئ فى العبقرية أو فرصة ضائعة - لا ريب أن ذلك كان سيجذب الانتباه من فوره. ولكن للأسف، كلكم لا تعرفو... بعضكم البعض، وبالتالى لن يكون أى اختلاف فى طريقة اللعب موضع ملاحظة. ولكن فكر يا سيدى الطبيب، أرجوك أن تتذكر. هل تتذكر أية اختلافات - أخطاء فادحة بدأت فى الظهور - فى أى من أداء اللاعبين الآخرين؟".

ساد الصمت لثانية أو اثنتين، قبل أن يهز الدكتور روبرتس رأسه نافيًا ويقول فى صراحة:

"لن يجدى ذلك؛ فلا أستطيع مساعدتك. بكل بساطة، لا أستطيع أن أتذكر. وكل ما أستطيع أن أقوله لك هو ما قلته فى السابق: السيدة لوريمر لاعبة من الطراز الأول، فلم ترتكب أى خطأ يمكن ملاحظته. لقد كانت متألقة من البداية للنهاية.

... كان لعب ديسبارد جيدًا بصفة عامة - إنه لاعب تقليدى، ... حيله فى اللعب تقليدية، فلم يحدث أن خرج على الإطلاق عن قواعد اللعب، ولم يكن يحاول أن يستغل الفرص البعيدة. ... الآنسة ميريديث...."، وتردد قليلًا ولم يكمل كلامه.

استحثه بوارو على الكلام قائلًا: "نعم، ماذا عن الآنسة ميريديث؟".

"لقد ارتكبت أخطاء - مرة أو اثنتين، كما أتذكر - وذلك بالقرب من نهاية الأمسية. ولكن ربما حدث ذلك لأنها أصيبت بالإرهاق؛ فلم تكن لاعبة مخضرمة، كانت يداها تهتزان بعض...".

ثم توقف.

"ومتى اهتزت يداها؟".

"ماذا كان الوقت؟ لا أتذكر... أعتقد أنها كانت عصبية فقط. سيد بوارو، أنت تجعلنى أتصور أشياء".

"أعتذر. هناك شىء آخر أريد مساعدتك فيه".

"نعم؟".

قال بوارو فى بطء:

"إنه أمر صعب، فأنا كما تفهم لا أريد أن ألقى سؤالًا إيحائيًا. فإذا ما قلتُ هل لاحظتَ كذا وكذا - ووضعتُ الأمر كله بين يديك، فوقتها لن تكون إجابتك ذات قيمة كبيرة. سيكون أفضل منك إذا ما وصفتَ لى محتويات الحجرة التى كنتم تلعبون فيها؟".

بدا الذهول الكامل على وجه روبرتس وقال:

"محتويات الحجرة؟".

"إذا تكرمت".

"يا عزيزى، لستُ أدرى من أين أبدأ".

"ابدأ من حيث تشاء".

"حسنًا، كان هناك الكثير من الأثاث...".

"لا، لا، لا، كن محددًا، أرجوك".

تنهد روبرتس، قبل أن يقول بأسلوب مرح مقلدًا طريقة مسئولى المزادات:

"أريكة منجدة بالعاج، وأخرى خضراء اللون. كما كانت هناك أربعة أو خمسة مقاعد، كذلك كان هناك ثمانى أو تسع سجاجيد فارسية، ومجموعة من المقاعد ذات الطراز الإمبراطورى المطلية بالذهب. كذلك كان هناك مكتب من عصر ويليام الثانى ومارى الثانية ـ أشعر وكأننى أحد مسئولى المزادات ـ كذلك كانت هناك خزانة صينية جميلة جدًّا، وبيانو كبير، وكان هناك عدد آخر من قطع الأثاث، لكننى أخشى أننى لم ألحظها. كما كانت هناك ست لوحات مزخرفة بالنقوش اليابانية من الطراز الأول، ولوحات صينية على مرايا. وكذلك ما بين خمسة إلى ستة صناديق من النشوق، وبعض من الحقائب اليابانية الصغيرة المصنوعة من العاج كانت موضوعة وحدها على مائدة. وأعتقد أنه كانت هناك مزهرية من الفضة من عصر تشارلز الأول، وقطعة أو اثنتان من تحف باترسى المطلية بالمينا...".

صفق بوارو قائلًا: "مرحى، مرحى!".

أكمل روبرتس: "واثنتان من الأوانى الإنجليزية القديمة المزينة بالطيور، وأعتقد أنه كان هناك تمثال لـ رالف وود، كما كانت هناك مجموعة من المشغولات الشرقية، وهى مشغولات فضية معقدة. وبعض الجواهر، ولكننى لا أعرف عددها، وبعض المنمنمات فى علبة خشبية، وأعتقد أنها كانت جميلة. لم يكن هذا كل شىء، ولكن هذا ما أستطيع أن أتذكره الآن".

قال بوارو بتقدير كبير: "رائع! إن لك عينين فاحصتين بالفعل".

"هل وصفتُ لك الشىء الذى كان فى ذهنك؟".

قال بوارو: "هذا هو المثير فى الموضوع. لو كنتَ وصفتَ لى ذلك الشىء الذى فى ذهنى، لكنت اندهشت للغاية، ولكننى اعتقدت أنه لن يمكنك أن تتذكره".

"لماذا؟".

التمعت عينا بوارو، وقال:

"... ربما لأنه لم يكن هناك لكى تلاحظه".

حدق إليه روبرتس قبل أن يقول:

"هذا يذكرنى بشىء ما".

"إنه يذكرك بـ شيرلوك هولمز، أليس كذلك؟ والحادثة الغريبة التى وقعت للكلب فى الليل، لأنه لم يعو ليلًا. هذا هو الشىء الغريب! آه، حسنا، أنا لستُ منزهًا عن سرقة الحيل من الآخرين".

"هل تعلم يا سيد بوارو، أنا فى منتهى الحيرة، ولا أعرف ما ترمى إليه".

"هذا رائع فى حد ذاته. وبكل ثقة، هذا هو الشىء الذى يعطينى الطابع الخاص بى".

بعدها، قال بوارو وهو ينهض على قدميه مبتسمًا بينما كان روبرتس لا يزال متحيرا قليلًا:

"يمكنك على الأقل أن تفهم ما أقوله الآن. إن ما قلته سيفيدنى كثيرًا جدًا فى مقابلتى التالية".

نهض الطبيب أيضًا، وقال:

"لا أدرى كيف، ولكننى أثق فى كلمتك بهذا الشأن". وتصافحا.

ونزل بوارو على سلالم منزل الطبيب، وأشار إلى إحدى سيارات الأجرة، وقال للسائق:

"١١١ شارع تشين لاين، تشلسى".

الفصل ١١

السيدة لوريمر

كان المنزل الواقع فى ١١١ تشين لاين صغيرًا، وأنيق المظهر وغاية فى الترتيب، فى شارع هادئ. كان الباب مطليًّا باللون الأسود، بينما كانت السلالم مدهونة باللون الأبيض الناصع. وقد لمع النحاس الذى طُلِيت به قارعة الباب ومقبضه فى أشعة شمس العصر.

فتحت الباب خادمة طاعنة فى السن، وترتدى مئزرًا وقبعة بيضاوين نظيفين.

وقالت مجيبة عن سؤال بوارو: إن سيدتها بالداخل.

وتقدمته على درج ضيق قبل أن تقول:

"ما الاسم يا سيدى؟".

"السيد هيركيول بوارو".

قادته إلى حجرة استقبال ذات شكل حرف"L"، وأخذ بوارو ينظر حوله وهو يدقق فى التفاصيل، كان الأثاث فاخرًا وتم تلميعه جيدًا، وكان من الطراز المفضل لدى العائلات المحافظة، حيث كانت المقاعد والأرائك مغطاة بقماش قطنى مطبوع، كما كانت هناك مجموعة من إطارات الصور الفضية الجميلة. وفيما عدا ذلك، كانت هناك مساحات واسعة من الفراغ والإضاءة، إلى جانب مجموعة جميلة من زهور الأقحوان موضوعة فى إحدى المزهريات الطولية.

ظهرت السيدة لوريمر على الفور لمقابلته.

وصافحته دون أن يبدو عليها أية معالم دهشة لحضوره، وأشارت إلى أحد المقاعد لكى يجلس، وجلست هى وقالت ملاحظة عن جمال الطقس.

بعدها ساد الصمت.

قال هيركيول بوارو: "آمل يا سيدتى أن تغفرى لى زيارتى".

نظرت إليه مباشرة، وقالت: "هل هذه زيارة رسمية؟".

"أعترف بذلك".

"أنت تدرك يا سيد بوارو، كما أعتقد، أننى وإن كنت مجبرة بأن أدلى للمفتش باتل ورجال الشرطة الرسميين بكل المعلومات التى أعرفها، وأقدم لهم الخدمات التى يطلبونها، فإننى غير مضطرة لأن أقوم بنفس الشىء مع المحققين غير الرسميين".

"أدرك هذه الحقيقة يا سيدتى، وإذا ما طلبت منى أن أغادر وقدتنى إلى الباب، فسوف أسير نحوه بكل هدوء".

ابتسمت السيدة لوريمر ابتسامة خفيفة، وقالت:

"لم أصبح مهيأة بعد لأن أذهب إلى ذلك المدى يا سيد بوارو ولكنى سأعطيك عشر دقائق، وبنهاية هذه الدقائق العشر، سأذهب إلى حفل للعب الورق".

"الدقائق العشر ستكون كافية لما أريد. أريدك أن تصفى لى، يا سيدتى، الغرفة التى لعبتم فيها الورق فى تلك الليلة - الغرفة التى قُتل فيها السيد شايتانا".

رفعت السيدة لوريمر حاجبيها وقالت:

"يا له من سؤال إننى! لا أفهم الغرض من ورائه".

"سيدتى، عندما تلعبين الورق، هل يقول لك أحد لماذا لعبت هذه الورقة أو تلك، ولماذا لم تبدلى هذه الورقة بتلك؟ إذا كان الناس يسألونك هذه الأسئلة، فستكون الإجابات طويلة ومرهقة جدًا، أليس كذلك؟".

ابتسمت السيدة لوريمر ابتسامة خفيفة، قبل أن تقول:

"تعنى أنك الخبير فى هذه اللعبة، وأنا المبتدئة. حسنًا"، وفكرت قليلا، ثم قالت: "كانت حجرة كبيرة. وكان بها الكثير من الأشياء الجيدة".

"هل يمكنك أن تصفى لى بعضًا من هذه الأشياء؟".

"كانت هناك بعض المزهريات الزجاجية الحديثة ولكنها كانت جميلة... كذلك أعتقد أنه كانت هناك لوحات صينية ويابانية، وكانت هناك آنية بها مجموعة من زهور التيوليب الحمراء، والتى كان من المدهش وجودها لأنه لم يحن بعد أوان ظهورها".

"ألم توجد أشياء أخرى؟".

"أخشى أننى لم ألحظ أى شىء بالتفصيل".

"الأثاث، ألا تتذكرين لون التنجيد؟".

"لون حريرى، كما أعتقد، هذا كل ما أستطيع أن أقوله".

"ألم تلحظى وجود أية أشياء صغيرة؟".

"أخشى أننى لم أفعل ذلك. كان هناك الكثير من الأشياء - لقد خطر ببالى أن هذه غرفة جامع للتحف".

قال بوارو: "هناك شىء آخر"، وأخرج أوراق نتائج اللعب،

وهو يضيف: "هذه سجلات نتائج الجولات الثلاث الأولى. و... أتساءل عما إذا كنتِ تستطيعين أن تساعدينى فى قراءة هذه السجلات لكى أقوم بترتيب بعض النقاط بشأن اللعب".

قالت السيدة لوريمر، وهى تبدو مهتمة: "دعنى ألقِ نظرة". ثم انحنت على سجلات اللعب، قبل أن تتابع:

"هذه هى الجولة الأولى، والتى لعبتُ فيها مع الآنسة ميريديث ضد الرجلين. لقد لعبنا أول شوط فيها بطريقة بسيطة وأنهيناها بصورة جيدة. أما الشوط الثانى فقد لعب بطريقة أخرى وكان البارز فيه الدكتور روبرتس. وكان فى الشوط الثالث الكثير من المجادلات حسبما أذكر حيث لعبت الآنسة ميريديث مثلى، فيما اختلف عنا قليلًا الرائد ديسبارد، وكان الدكتور روبرتس مغامرًا كبيرًا. ولم تكن الأوراق مواتية مع الآنسة ميريديث، بينما كانت جيدة مع الرائد ديسبارد، كما أظن، وكذلك كانت مع الدكتور روبرتس".

قال بوارو: "رائع! يا لها من ذاكرة!".

استمرت السيدة لوريمر دون أن تعير ما قاله اهتمامًا:

"فى الجولة الثانية، كان ورق الرائد ديسبارد جيدًا، بينما لم يكن معى أى من الورق الرابح، فيما كان ورق الدكتور روبرتس متوسطًا. ولم تقل شريكتى فى اللعب شيئًا، بينما قدم ديسبارد الدعم لشريكه. واستمررنا فى اللعب على هذا المنوال، بعدها قمتُ أنا ببعض الحيل فى اللعب".

وأمسكت السجل الثانى.

وقال بوارو:

"ليس من الصعب أن يدون الرائد ديسبارد نتائجه بنظام الطرح؟".

"أعتقد أن كلا الطرفين كانا يلعبان بطريقة صعبة".

ثم أمسكت السجل التالى، وقالت:

"هذه الجولة كانت أشبه بالمعركة. على ما أذكر. لقد بدأت بهدوء؛ حيث بدأ الرائد ديسبارد والآنسة ميريديث اللعب بهدوء، وبعدها انتقلا إلى أسلوب آخر، ثم حققنا نحن الانتصار فى شوطها الأول، وبعدها حققنا انتصارًا آخر فى الشوط الثانى. بعدها بدأت المعركة، وأخذ الدكتور روبرتس يلعب بأسلوب فيه الكثير من المخاطرة، وأثار ذعر الآنسة ميريديث، وكدنا أن نخسر هو وأنا هذا الدور؛ فلم يكن من المفترض أن يقوم بكل هذه المخاطرة، واستطعنا بما يشبه المعجزة أن نفوز بهذا الدور. إننى لم أره أبدا يلعب بالطريقة التقليدية، فيما كنا نتنقل بين مختلف الطرق ـ لقد كان دورًا مثيرًا بالفعل".

"أفهم ذلك، يبدو الأمر كما لو كان جزءًا من بطولات الجراند سلام ولكن فى الورق وليس التنس. إنه أمر يثير الأعصاب، وأعترف أننى ليس لدىّ القدر الكافى من الأعصاب لكى أحضر لقاءات مثل تلك".

قالت السيدة لوريمر فى حماس: "ولكنك ينبغى ألا تكون كذلك. يجب أن تلعب بالطريقة الصحيحة".

"تقصدين المغامرة فى اللعب؟".

"لا توجد مغامرة إذا ما قمتَ بحركات محسوبة بالورق؛

فينبغى أن يكون هناك يقين حسابى، وللأسف فإن قليلًا من الناس فقط يقومون بحركات محسوبة بالورق، فهم يعرفون فقط الطريقة التى يفتتحون بها اللعب، إلا أنهم لا يستطيعون أن يكملوا اللعب ـ بنفس الطريقة؛ حيث لا يفرقون بين الطريقة المناسبة للعب عندما يكون لديهم ورق رابح ـ وبين الطريقة التى ينْبغى أن يلعبوا بها عندما لا يكون لديهم الورق الرابح، ولكن لا يجب أن أعطيك محاضرة فى طريقة لعب الورق، أو فى الطريقة التى يخسر من يلعب بها يا سيد بوارو".

"أنا متأكد من أن كلامك سيحسن من طريقة لعبى يا سيدتى".

واصلت السيدة لوريمر فحص أوراق سجلات النتائج قبل أن تتابع قائلة:

"بعد أن ذهب الحماس الذى اتسمت به هذه الجولة، كانت الجولة التالية أكثر هدوءًا. هل لديك سجلات الجولة الرابعة؟ آه ـ لقد كانت جولة متراقصة؛ فلم يستطع أى من الطرفين أن يحقق انتصارًا على الآخر".

"يشبه ذلك الوضع الذى انتهت إليه الأمسية".

"نعم، يبدأ المرء اللعب بصورة هادئة، وبعدها تشتعل الأمور".

جمع بوارو السجلات وانحنى محييًا إياها، قبل أن يقول:

"سيدتى، أهنئك. إن ذاكرتك فى اللعب مذهلة ــ إنها مذهلة بالفعل؛ فالمرء يستطيع أن يقول إنك تتذكرين كل ورقة تم تحريكها خلال اللعب!".

"أعتقد أننى بالفعل أتذكر ذلك".

"إن الذاكرة نعمة رائعة، ومع الذاكرة، لا يصبح الماضى ماضيًا. وأعتقد أنه بطريقتك هذه يكون كل ما يحدث فى الماضى واضحًا كأنه بالأمس، أليس كذلك؟".

نظرت إليه بسرعة بعينين واسعتين داكنتين.

لم تدم تلك النظرة أكثر من لحظة قبل أن تعود لطبيعتها كسيدة مجتمع، إلا أن بوارو لم يرتَبْ فى شىء، وصارت هذه النظرة كأنها لم تكن.

بعدها، نهضت السيدة لوريمر، وهى تقول:

"أخشى أنه لم يعد لدىَّ ما يكفى من الوقت. آسفة ـ لكننى لا يجب أن أتأخر".

"بالطبع لا... بالطبع لا. وأعتذر عن تجاوزى الوقت المحدد".

"آسفة لأننى لم أستطع أن أساعدك أكثر من ذلك".

قال هيركيول بوارو: "إلا أنك ساعدتِنى بالفعل".

قالت بتصميم: "أعتقد أننى لم أفعل ذلك كما ينبغى أن يكون".

"كلا، لقد ساعدتنى، وأخبرتنى بالشىء الذى أريد معرفته".

لم تسأله السيدة لوريمر عما يعنيه.

وصافحته فقال لها:

"شكرا لك على صبرك".

فقالت له وهى تصافحه: "أنت رجل رائع يا سيد بوارو".

"أنا فقط مثلما خلقنى الله".

"أعتقد أننا كلنا كذلك".

"ليس كلنا، البعض منا حاول أن يضيف لنفسه مزيدًا فوق ما خلقه الله عليه، مثل السيد شايتانا".

"ماذا تقصد بذلك؟".

"لقد كان لديه ذوق رائع فيما يتعلق بالتحف والطُرَف وكان ينبغى عليه أن يكون سعيدًا بذلك، إلا أنه بدلًا من ذلك أخذ يجمع أشياء أخرى".

"ما نوعية تلك الأشياء؟".

""حسنا ـ لنقل الأشياء المثيرة".

"ولكن ألا تعتقد أن ذلك كان جزءًا من طبيعة شخصيته؟".

هز بوارو رأسه نافيًا فى أسف.

"لقد كان يلعب دور الشرير بكل براعة، إلا أنه لم يكن شخصًا خارقًا، ولكن بصفة عامة، كان رجلًا غبيًا. ولذلك مات".

"لأنه كان غبيًا".

"إن الغباء خطيئة لا تغتفر، ودائما ما يلقى الإنسان العقاب عليها".

ساد الصمت للحظة، قبل أن يقول بوارو:

"يجب أن أرحل، شكرًا جزيلًا على لطفك معى يا سيدتى لن آتى إلا عندما تستدعينى".

رفعت حاجبيها قبل أن تسأله:

"عزيزى سيد بوارو، لماذا تعتقد أنه سيتعين علىّ أن أتصل

ـك؟".

"ربما. إنها فقط فكرة. فإذا ما طلبتنى، سوف آتى. تذكرى لك".

وانحنى من جديد، وغادر الحجرة.

وفى الشارع قال لنفسه: "أنا على حق... أنا متأكد من أننى على حق... يجب أن أكون على حق".

الفصل ١٢

آن ميريديث

خلصت السيدة أوليفر نفسها من مقعد القيادة فى سيارتها ذات المقعدين بصعوبة. وبداية المشكلة هى أن صناع السيارات الحديثة يعتقدون أن من يقودون السيارات لن يكونوا إلا من الفتيات الرشيقات أو الكائنات الخرافية النحيفة التى لن تحشر ركابها بين مقعد وعجلة القيادة. ولكن بالنسبة للسيدات اللواتى فى وسط العمر ويتمتعن بأجساد متوسطة الحجم، فإن الأمر يتطلب مجهودا يفوق القدرة البشرية للخروج من أسفل عجلة القيادة؛ وبعد ذلك، يحين الوقت لكى نقول إن المقعد المجاور لمقعد السائق كان مليئًا بالخرائط وحقيبة يد وثلاث من القصص وحقيبة كبيرة مليئة بالتفاح. كانت السيدة أوليفر من المولعين بالتفاح، وكان من المعروف عنها أنها أكلت خمسة أرطال من التفاح خلال كتابتها لقصة: "الموت فى أنبوب الصرف"، وهو الأمر الذى أدى إلى إصابتها بمغص حاد بعد ساعة وعشر دقائق من حضورها إحدى حفلات الغداء المقامة على شرفها.

وبدفعة قوية أخيرة، وضربة حادة بركبتيها للباب، استطاعت السيدة أوليفر أن تخرج من الباب، وسارت على الطريق الجانبى خارج بوابة ويندون كوتدج، وهى تلقى من حولها لب ثمار التفاح أثناء سيرها.

وتنهدت بعمق، وهى تضع قبعتها الريفية بشكل غير أنيق وتنظر فى رضا إلى الثوب الصوفى الذى تذكرت أن ترتديه. إلا أنها سرعان ما قطبت حاجبيها عندما تذكرت أنها ـ فى لحظة سهو ـ قد ارتدت الحذاء الجلدى ذا الكعب المرتفع، وسارت على الطريق المرصوف بعد أن فتحت بوابة ويندون كوتدج حتى وصلت للباب الرئيسى للمنزل. وقرعت الجرس. ثم طرقت قارعة الباب، والتى كانت على شكل ضفدعة، فسمعت صوتًا لطيفًا يصدر منها.

ولما لم يفتح أحد الباب، أعادت الطرق مجددًا.

وبعد أن مرت دقيقة والنصف، ولم يفتح أحد الباب، قامت السيدة أوليفر بجولة حول المنزل على سبيل الاستكشاف.

كانت هناك حديقة عتيقة الطراز خلف الكوخ، بها الكثير من الزهور ومجموعة من زهور الأقحوان التى كانت لا تزال تكافح للخروج من براعمها ومن وراء الحديقة كان هناك حقل، وخلف الحقل كان هناك نهر، أما عن الطقس، فقد كان دافئًا بالنسبة لشهر أكتوبر.

كانت هناك فتاتان تقطعان الحقل فى طريقهما إلى المنزل الريفى، ولما دخلتا من باب الحديقة، تسمرت أولاهما فى مكانها.

فأسرعت إليهما السيدة أوليفر، وقالت:

"كيف حالك يا آنسة ميريديث؟ مازلتِ تذكرينني، أليس كذلك؟".

مدت الآنسة ميريديث يدها فى سرعة، وقالت: "أوه ـ أوه

بالطبع". وبدت فى عينيها نظرة شرسة مرتبكة إلا أنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها، وتابعتْ قائلة: "هذه صديقتى التى تعيش هنا ـ الآنسة رودا دوز. رودا، أقدم لك السيدة أوليفر".

كانت الفتاة الأخرى طويلة داكنة البشرة، ويبدو عليها الحماس، وقالت فى انفعال:

"هل أنت السيدة أوليفر؟ أريادن أوليفر؟".

قالت السيدة أوليفر: "نعم"، ثم التفتت إلى آن ميريديث وقالت لها: "والآن، دعينا نجلس فى مكان ما؛ لأن لدى الكثير مما أقوله لك يا عزيزتى".

"بالطبع، وسوف نتناول الشاى...".

قالت السيدة أوليفر مقاطعة: "يمكن للشاى أن ينتظر".

تقدمتهما آن ميريديث إلى مكان به أريكة وعدد من المقاعد، وكانت كلها متهالكة. اختارت السيدة أوليفر بشىء من الحذر مقعدًا يبدو أكثر قوة من غيره، وذلك نظرا لخبراتها السابقة غير السارة مع المقاعد الصيفية.

ثم قالت فى حيوية وانطلاق: "والآن يا عزيزتى، لا داعى للمراوغة؛ لنفكر فى جريمة القتل التى وقعت فى تلك الليلة ولنحاول أن نفعل شيئًا".

تساءلت آن فى استغراب: "نفعل شيئًا؟".

قالت السيدة أوليفر: "طبعًا. لا أعرف فيم تفكرين، إلا أننى أعرف تمامًا وبلا أدنى شك من فعلها: إنه ذلك الطبيب. ماذا كان اسمه؟ روبرتس. نعم! روبرتس إنه ذو اسم ويلزى! وأنا لا أثق على الإطلاق بالويلزيين. لقد كانت لدىّ يومًا ما ممرضة

ويلزية أخذتنى إلى هاروجيت، وعادت للمنزل ونسيت كل شيء عنى. إنها لم تكن متزنة على الإطلاق، ولكن دعينا منها. لقد فعلها روبرتس، هذا هو الموضوع، وعلينا أن نوحد أفكارنا معًا لكى نثبت ذلك".

ضحكت رودا دوز فجأة، قبل أن يحمر وجهها خجلًا، وتقول:

"أعتذر يا سيدتى، لكنك تختلفين إلى حد كبير عما تخيلته عنك".

قالت السيدة أوليفر فى صفاء ومرح: "إنه أمر محبط، أليس كذلك؟ لقد اعتدتُ على ذلك، فلا تقلقى. إن ما يجب علينا فعله هو أن نثبت أن روبرتس من فعلها!".

سألت آن: "وكيف ذلك؟".

صاحت رودا دوز: "أوه، لا تكونى انهزامية يا آن. أعتقد أن الآنسة أوليفر رائعة فى هذه الأمور ـ إنها تعرف هذه الأشياء بالطبع، ولسوف تفعل تمامًا مثلما يفعل سفين هيرسون".

قالت السيدة أوليفر وقد تورد وجهها خجلا عندما سمعت اسم محققها الفنلندى الشهير:

"يجب أن نقوم بذلك، ولسوف أقول لك كيف يا طفلتى. فأنت لا تريدين أن يظن الناس أنك أنت من فعلها؟".

قالت آن وقد احمر وجهها: "ولماذا يعتقدون أننى فعلتها؟".

قالت السيدة أوليفر: "أنت تعلمين كيف يتعامل الناس. سوف يتم الاشتباه فى الثلاثة الذين لم يفعلوها تمامًا مثلما يتم الاشتباه فى الذى فعلها".

قالت آن ميريديث فى بطء:

"مازلتُ لا أفهم لماذا جئت إلىّ يا سيدة أوليفر؟".

"لأننى أعتقد أن الاثنين الآخرين ليسا مُهمَّين؛ فالسيدة لوريمر من ذلك النوع من الناس الذى يلعب الورق طيلة اليوم فى نوادى اللعب. إن نساء من هذا النوع يكُنّ مصنوعات من الفولاذ، ويستطعن العناية بأنفسهن تمامًا! وعلى أية حال، فهى متقدمة فى السن. ولا يهم إذا ما اعتقد أحد أنها من فعلها، أما الفتاة فأمرها مختلف، فالحياة لا تزال أمامها".

سألتها آن: "وماذا عن الرائد ديسبارد؟".

قالت السيدة أوليفر: "سحقًا! إنه رجل! وأنا لا أشعر بالقلق على الرجال، فهم يستطيعون الاعتناء بأنفسهم. وإذا سألتنى عنهم، فسأقول لك إنهم يتصرفون بصورة جيدة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الرائد ديسبارد يحيا حياة خطرة، ويحظى بالمرح والمغامرة فى بلاده بدلًا من أن يمرح على نهر إيراوادى ـ أو أعتقد أنه نهر ليمبوبو؟ أنتما تعرفان ما أتكلم عنه، إنه ذلك النهر الأفريقى الأصفر الذى يحبه الرجال كثيرًا. لا، لن أشغل بالى بشأن هذين الشخصين".

قالت آن فى بطء: "إنه عطف منك".

قالت رودا: "لقد كانت الجريمة تصرفًا وحشيًّا. لقد حطمت أعصاب آن يا سيدة أوليفر. إنها حساسة جدا، وأعتقد أنك على حق؛ فمن الأفضل القيام بشىء ما بدلًا من مجرد الجلوس هنا والتفكير فيما حدث".

قالت السيدة أوليفر: "بالطبع سيكون التحرك أفضل. وفى

الحقيقة، لم أواجه فى حياتى جريمة قتل حقيقية من قبل. ولا أعتقد أن جريمة القتل الحقيقية تناسب طريقة كتابتى للقصص، فأنا أحب أن أؤثر فى النتائج - إذا كنتما تفهمان ما أعنى، لكننى لن أدع الموضوع يفلت من يدى، وأترك الرجال الثلاثة الآخرين يستمتعون بالأمر. لقد قلتُ دومًا لو أن امرأة تولت أمر سكوتلانديارد...".

قاطعتها رودا قائلة وقد انفتح فمها: "نعم؟ إذا كنت رئيسة سكوتلانديارد، فماذا كان سيحدث؟".

"كنتُ سأعتقل الدكتور روبرتس على الفور...".

"بهذه البساطة؟".

قالت السيدة أوليفر وهى تتراجع عن تلك المنطقة الخطرة: "ولكن، أنا لستُ رئيسة سكوتلانديارد، أنا مجرد شخص يقوم...".

قالت رودا فى مجاملة مرتبكة: "أوه، أنت لست كذلك".

تابعت السيدة أوليفر قائلة: "والآن، نحن ثلاث محققات، فلْنرَ ما الذى يمكننا أن نفعله إذا ما اتحدت عقولنا فى التفكير".

أومأت آن ميريديث برأسها فى تفكير، ثم قالت: "لماذا تعتقدين أن روبرتس من فعلها؟".

أجابت السيدة أوليفر فى سرعة: "لأنه ينتمى إلى تلك النوعية من الناس".

قالت آن فى تردد: "ولكن ألا تعتقدين أن... ألا يمكن لطبيب أن...؟ أعنى أن السم وسيلة أكثر سهولة بالنسبة له".

"على الإطلاق. إن السم - أو أى مخدر من أى نوع كان - سيشير بأصابع الاتهام إلى أى طبيب على الفور. انظرى كيف يتركون الحقائب التى تحوى المخدرات فى سياراتهم بطول الزمن، وكيف تُسرَق منهم. كلا؛ ولأنه طبيب فلن يفكر فى أى شىء ذى طبيعة طبية".

قالت آن فى شك: "أرى ذلك".

ثم أردفت:

"ولكن لماذا تعتقدين أنه أراد قتل السيد شايتانا؟ هل لديك أية فكرة؟".

"فكرة؟ لدى الكثير من الأفكار - وهذه هى الصعوبة التى تواجهنى دائمًا؛ فأنا لا أستطيع، على الإطلاق، أن أفكر فى خطة واحدة فقط، بل أفكر على الأقل فى خمس خطط معًا، وعلى الدوام أعانى فى حالة الاختيار بينها. يمكننى أن أفكر فى ستة أسباب وجيهة للجريمة، لكن المشكلة أننى لا أعرف أيًا منها السبب الصحيح: لقد كان شايتانا مرابيًا، وكان لديه مظهر مصطنع، وكان روبرتس فى قبضته، وقد قتله لأنه عجز عن الحصول على المال لسداد الدين. أو ربما لأن شايتانا دمر أحد أفراد أسرته، أو ربما لأن روبرتس كان فاسد الأخلاق، وقد علم شايتانا بذلك، أو ربما لأن روبرتس تزوج من إحدى قريبات شايتانا، وبالتالى سوف تئول أموال شايتانا إلى روبرتس من خلالها. أو... كم سببًا قلت؟".

قالت رودا: "أربعة".

"أو ربما كان الأكثر صوابا هو أن نفترض أن شايتانا

علم سرًا ماضى روبرتس. ربما لم تلاحظى ذلك يا عزيزتى ولكن شايتانا قال شيئا غريبا خلال العشاء ـ قبل فترة صمت غريبة".

انحنت آن لتلتقط برقة فراشة، قبل أن تقول: "لا أعتقد أننى أذكر".

سألت رودا: "ماذا قال؟".

"شىء عن ـ ماذا كان؟ ـ حادث ونوع من السموم. ألا تتذكرين؟".

تخشبت يد آن على الجزء المشبك من مقعدها. وقالت فى رباطة جأش: "إننى أتذكر شيئًا من هذا القبيل".

قالت رودا فجأة: "حبيبتى، يجب أن ترتدى معطفًا. تذكرى أننا لسنا فى الصيف. ادخلى وأحضرى معطفًا".

إلا أن آن هزت رأسها بالنفى وقالت:

"إننى أشعر بالدفء".

إلا أنه كانت هناك رجفة فى صوتها وهى تتكلم.

واستمرت السيدة أوليفر فى كلامها قائلة: "أترين نظريتى؟ إننى أجرؤ على القول إن أحد مرضى الطبيب قام بتسميم نفسه عَرَضًا؛ ولكن الحقيقة هى أن الطبيب قد دس له السم بشكل متعمد، وأجرؤ على القول إن الطبيب قتل كثيرين بهذه الطريقة".

احمرت وجنتا آن فجأة، وقالت: "وهل من عادة الأطباء أن يقتلوا مرضاهم بالجملة؟".

قالت السيدة أوليفر فى غموض: "دائما ما يكون هناك سبب".

قالت آن فى ضعف: "أعتقد أن هذه النظرية نوع من العبث إنها عبث ميلودرامى كامل".

صاحت رودا فى لوعة واعتذار: "أوه، آن". ونظرت إلى السيدة أوليفر، بعينيها اللتين تبدوان مثل عينى كلب صغير ذكى، وهى تحاول أن تقول شيئًا، وكانت عيناها تقولان: "حاولى أن تتفهمى حالتها، حاولى أن تتفهمى حالتها".

وقالت رودا فى صدق: "أعتقد أنها فكرة رائعة يا سيدة أوليفر. وأعتقد أن الطبيب يمكنه أن يستخدم مادة لا تترك أثرا. أليس كذلك؟".

قالت آن متعجبة: "أوه!".

استدارت المرأتان الأخريان وتطلعتا إليها، فقالت:

"لقد تذكرتُ شيئا آخر. لقد قال السيد شايتانا شيئًا ما عن الفرص التى يتمتع بها الأطباء فى المعامل ـ لا بد أنه كان يعنى شيئًا ما بذلك".

قالت السيدة أوليفر وهى تهز رأسها بالنفى، وقالت: "لم يكن السيد شايتانا من قال ذلك، وإنما الرائد ديسبارد".

وسمعت صوت خطوات على أرضية الحديقة جعلتها تلتفت إلى مصدرها، وقالت:

"حسنا! الكلام عن الشيطان يجعله يحضر".

كان الرائد ديسبارد يتقدم نحوهم من أحد أركان المنزل.

الفصل ١٣

الزائر الثانى

بدا الرائد ديسبارد مأخوذًا بعض الشىء لمرأى السيدة أوليفر، واحمر وجهه الأسمر، فبدا فى لون القرميد الأحمر، وقد جعله الإحراج يتصرف ببعض الحمق. وتوجه نحو آن قائلاً:

"أعتذر يا آنسة ميريديث عن الدخول دون استئذان، إلا أننى قرعت الجرس دون أن يرد أحد، ولكننى لم آت لشىء محدد؛ فقط كنتُ مارًّا بالجوار، ولو أننى يجب أن أتكلم معك بشأن ما حدث".

قالت آن: "أنا أعتذر عن عدم الإجابة على الجرس، فليست لدينا خادمة ـ فقط سيدة تأتينا كل صباح".

وقدمته إلى رودا.

فقالت رودا باندفاع:

"لنتناول بعض الشاى. لقد بدأ الجو يبرد، ومن الأفضل أن ندخل".

ودخل الجميع إلى المنزل، واختفت رودا داخل المطبخ، فيما قالت السيدة أوليفر:

"إنها مصادفة غريبة أن نلتقى جميعًا هنا".

فقال ديسبارد ببطء: "نعم".

واستقرت عيناه عليها فى تفكير ـ وكانت نظراته تحمل طابعًا تقييميًا.

وقالت السيدة أوليفر، التى بدت مستمتعةً بنفسها لأقصى حد: "ولذلك كان ينبغى أن تكون لدينا خطة تحرك. أقصد فيما يتعلق بجريمة القتل، إن الطبيب هو الذى فعلها بالطبع ألا تتفق معى فى ذلك؟".

"لا يمكننى أن أجزم، فليس لدينا الكثير من المعلومات".

إلا أن ملامح السيدة أوليفر استمرت فى حمل تعبير "تفكير تقليدى لأى رجل!".

وساد جو من الارتباك على الثلاثة، وهو الأمر الذى أحس به السيدة أوليفر، فانتهزت فرصة مجىء رودا بالشاي، ووقفت قائلة إنها يجب أن تكون فى البلدة الآن، وإنه لطف كبير منهم أن يحاولوا استبقاءها، إلا أنها لن تشرب الشاى.

وقالت: "سأترك لكما بطاقتى الشخصية. ها هى، وفيها عنوانى. مرا علىّ عندما تأتيان إلى المدينة، ولسوف نتكلم فى كل شىء، ونرى ما إذا كنا سنقدر على الوصول إلى فكرة إبداعية تساعدنا فى الكشف عن حقيقة الأمور، أم لا".

قالت رودا: "سأصحبك إلى البوابة".

وبمجرد أن بدأتا طريقهما نحو البوابة، حتى جرت آن ميريديث من المنزل ولحقَت بهما، وقالت:

"لقد فكرتُ فى الأمر".

وكان وجهها الشاحب يمتلئ بالتصميم والعزم على غير المعتاد.

"نعم يا عزيزتى؟".

"إنه لطف كبير منك يا سيدة أوليفر أن تتجشمى كل هذا

إلا أننى لن أفعل شيئًا على الإطلاق. أعنى - لقد كان الأمر مثيرًا للرعب، وكل ما أريده الآن هو أن أنسى الأمر كله".

"يا طفلتى العزيزة، السؤال هو: هل سيُسمَح لك بأن تنسى الأمر كله؟".

"أوه، أعرف تمامًا أن الشرطة لن تدع الأمر يمر، ومن المرجح أن يأتوا إلى هنا ويسألونى الكثير من الأسئلة، ولكننى مستعدة لذلك، ولكنى بصفة خاصة، لا أريد أن أفكر فى الأمر مرة أخرى - أو أن يذكرنى به أحدهم بأى شكل. وأنا أجرؤ على القول إننى جبانة، إلا أن هذا شعورى إزاء الموضوع".

صاحت رودا دوز: "أوه، آن!".

ولكن السيدة أوليفر قالت: "يمكننى فهم مشاعرك، إلا أننى لا يمكننى أن أقول بقلب مطمئن إن قرارك حكيم؛ فإذا ما تركنا الشرطة دون أن تسألنا، فلن نصل إلى شىء".

هزت آن ميريديث كتفيها وقالت:

"هل يهم ذلك؟".

صاحت رودا: "يهم؟ بالطبع، يهم. إنه يهم جدا، أليس كذلك يا سيدة أوليفر؟".

قالت السيدة أوليفر فى لهجة جافة: "بالطبع، هناك أهمية للأمر".

إلا أن آن ميريديث قالت فى عناد: "أنا لا أوافق على ذلك - لا أحد ممن يعرفوننى سيفكر فى أننى من فعلها، إن الوصول للحقيقة من مهام الشرطة".

قالت رودا: "أوه يا آن، أنت جبانة".

قالت آن: "هذه مشاعرى"، ورفعت يدها وتابعت قائلة: "شكرا لك يا سيدة أوليفر. إنه تصرف رائع منك أن تهتمى بالأمر!".

قالت السيدة أوليفر فى مرح: "بالطبع، إذا ما كانت هذه مشاعرك، فلا يوجد ما يقال. ولكننى لن أتكاسل بأية حال. إلى اللقاء يا عزيزتى، وابحثى عنى فى لندن، إذا ما قررت أن تغيرى رأيك".

وصعدت داخل سيارتها، وأدارتها، وانطلقت بها وهى تلوح بيد مرحة للفتاتين.

إلا أن رودا اندفعت فجأة وراء السيارة، ووقفت على الجزء المرتفع المجاور لباب السيارة، وقالت للسيدة أوليفر وقد تقطعت أنفاسها:

"بشأن ما قلته ـ عن زيارتك فى لندن: هل كنت تقصدين آن وحدها، أم أنا أيضا؟".

أوقفت السيدة أوليفر السيارة، وقالت: "أعنى كلتيكما بالطبع".

"أوه، شكرا. لا تتوقفى. أنا... ربما... ربما أمر بك يومًا ما. هناك شىء ما... لا، لا تتوقفى، سأقفز".

ولما قفزت، لوحت بيدها للسيارة مودعة، وجرت عائدة إلى البوابة؛ حيث كانت آن تقف.

وما أن وصلت حتى قالت آن: "ما الذى...؟".

إلا أن رودا سألتها فى حماس: "أليست امرأة لطيفة؟ إننى أستلطفها، إنها ترتدى جوارب قديمة. هل لاحظت ذلك؟ أنا

متأكدة من أنها ستكون غاية فى البراعة. من الضرورى أن تكون كذلك إذا كانت قادرة على كتابة كل تلك الكتب. سيكون الأمر لطيفًا إذا ما استطاعت أن تصل للحقيقة، بينما تعجز الشرطة ويعجز الجميع عن الوصول إليها".

سألتها آن: "لماذا جاءت إلى هنا؟".

"حبيبتى ـ لقد أخبرَتْك ـ".

ند عن آن حركة تدل على عدم الصبر، وقالت:

"يجب أن نذهب. لقد... لقد تركناه وحيدًا".

"الرائد ديسبارد؟ آن، إنه وسيم جدًّا، أليس كذلك؟".

"أعتقد أنه وسيم".

وسارتا فى الممر معا.

وكان الرائد ديسبارد يقف عند المدفأة، وقد أمسك قدح الشاى فى يده.

وقاطع آن وهى تعتذر له عن تركه وحيدًا، وقال:

"آنسة ميريديث، أريد أن أوضح لماذا حضرتُ إلى هنا فجأة".

"أوه... ولكن...".

"لقد قلتُ إنه حدث أن كنتُ مارًّا من هنا، إلا أن ذلك لم يكن صحيحًا تماما. لقد جئتُ إلى هنا عن عمد".

قالت آن فى بطء: "كيف عرفتَ عنوانى؟".

"لقد حصلتُ عليه من المفتش".

ولما رأى أنها جفلت قليلاً من الاسم، تابع قائلاً:

"المفتش باتل فى طريقه إلى هنا الآن. فقد حدث أن رأيته

فى بادنجتون، فاستقللت سيارتى وجئتُ إلى هنا على الفور عالمًا أننى أستطيع أن أسبق القطار بسهولة".

"ولكن لماذا؟".

تردد ديسبارد قليلًا قبل أن يقول:

"لا أريد أن أكون وقحًا ـ إلا أننى لدى انطباع بأنك، ربما تكونين من أولئك اللواتى يُطْلَقُ عليهن "وحيدات فى العالم"".

قالت رودا: "أنا معها".

ألقى ديسبارد نظرة سريعة على رودا، التى بدا عليها الإعجاب بذلك الشاب اللطيف الواقف بجوار المدفأة، وتابع كلامه بسرعة. كان يبدو عليهما أنهما يلائمان بعضهما البعض، آن وديسبارد.

وقال ديسبارد فى مجاملة: "أنا متأكد من أنها لن تجد صديقة وفية أفضل منك. ولكن ما خطر ببالى أنه فى لحظات معينة، فإن النصيحة من شخص حصيف لن تخطئ طريقها بصراحة. هناك شك فى أن الآنسة ميريديث هى التى ارتكبت جريمة القتل. ونفس الأمر ينطبق علىّ وعلى الاثنين الآخرين اللذين كانا فى الحجرة فى تلك الليلة. إن مثل هذا الموقف ليس لطيفا، وله مخاطره وصعوباته التى ربما لا تستطيع شابة بلا خبرة مثلك، يا آنسة ميريديث، أن تتعرف عليها، وفى رأيى الخاص، يجب أن تضعى نفسك بين يدى محامٍ قدير، وربما تكونين قد قمت بذلك بالفعل".

هزت آن ميريديث رأسها بالنفى، وقالت:

"لم أفكر فى ذلك على الإطلاق".

"تماما كما توقعتُ. هل لديك شخص جيد ـ شخص من الفن ـ متاح أمامك؟".

ومرة أخرى، هزت آن رأسها وقالت:

"لم أحتج على الإطلاق لمحام".

قالت رودا: "هناك السيد بيرى، إلا أنه بلغ العام الثانى بعد المائة تقريبًا، وهو أبله".

"إذا ما كنت ستسمحين لى بأن أقدم لك النصيحة يا آنسة ميريديث، فأنصحك بأن تتوجهى إلى ميرين ـ المحامى الخاص بي. إنه من شركة جاكوبز ـ والاسم الفعلى للشركة بل آند جاكوبز؛ إنهم محامو الطبقة العليا، ويعرفون كل حيل رجال الشرطة".

ازداد شحوب آن، وجلست، قبل أن تسأل فى صوت خفيض:

"وهل هذا ضرورى بالفعل؟".

"ينبغى أن أؤكد على ذلك ـ هناك مختلف أنواع الفخاخ فى هذه القضية".

"هل أولئك الأشخاص مرتفعو الأجر؟".

قالت رودا: "هذا لا يهم، سيكون كل شىء على ما يرام، أيها الرائد ديسبارد. أعتقد أن كل ما تقوله صحيح تمامًا. يجب أن تلقى آن الحماية".

قال ديسبارد: "ستكون أتعابهم، حسبما أعتقد، معقولة"، وأضاف فى جدية: "أعتقد أنها ستكون خطوة إيجابية يا آنسة ميريديث".

قالت آن فى بطء: "جيد جدًا. سأقوم بذلك ما دمتَ تعتقد أن ذلك مهم".

"جيد".

قالت رودا فى دفء: "أعتقد أن ذلك لطف منك أيها الرا ديسبارد ـ منتهى اللطف فى الواقع".

وقالت آن: "شكرا لك".

وترددَتْ قبل أن تقول:

"هل قلتَ إن المفتش باتل سيأتى إلى هنا؟".

"نعم، ولكن لا يجب أن تتوترى لذلك. إنه أمر لا مفر منه".

"أوه، أعلم. وفى الواقع، كنتُ أنتظره".

فاندفعت رودا قائلة: "حبيبتى المسكينة... إن هذا الأمر يقتلها. إنه عار ـ وليس من العدل فى شىء".

فقال ديسبارد:

"أتفق معك: فتوريط فتاة شابة فى مثل هذا الأمر عمل وحشى، إذا ما أراد أحد أن يطعن شايتانا بسكين، كان عليه أن يختار وقتًا آخر أو مكانًا آخر".

فسألت رودا فى هدوء:

"ومن تعتقد أنه فعلها؟ الطبيب روبرتس، أم السيدة لوريمر؟".

تحرك شارب ديسبارد بفعل ابتسامة شاحبة، قبل أن يقول:

"من الممكن أن يكون أنا من فعلها".

صاحت رودا قائلة: "أوه، لا، فـ آن وأنا نعرف أنه لا يمكن أن

يكون أنت من فعلها".

نظر إلى كلتيهما بعينين عطوفتين، ثم قال فى نفسه:

طفلتان لطيفتان مليئتان بالإيمان والثقة بصورة تلمس القلوب. كائن صغير لطيف هى آن ميريديث! لا يهم، سوف يساعدها ميرمين على تخطى هذه المحنة. أما الأخرى، فهى مقاتلة، وقد تشكك فى أنها كانت ستنهار مثل صديقتها إذا ما كانت قد وقعت فى نفس المأزق. فتاتان لطيفتان. ولسوف يرغب فى معرفة المزيد عنهما.

دارت هذه الأفكار فى رأسه، قبل أن يقول فى صوت مرتفع:

"لا تأخذى الأمور بالظواهر يا آنسة دوز، فأنا لا أرى الحياة الإنسانية على ذلك القدر من القيمة التى يراها كثير من الناس به. وأنا لا أدرى سر كل هذه الجلبة الهستيرية بشأن وفيات حوادث الطرق، على سبيل المثال. الإنسان دوما فى خطر ـ من المرور، ومن الجراثيم، ومن ألف شىء، وسوف يموت المرء بأسلوب أو بآخر. فى رأيى أنه فى اللحظة التى تبدئين فيها الاهتمام بنفسك وترفعين شعار "الأمان أولاً"، فربما تكونين قد بدأت تموتين أيضا".

صاحت رودا: "أنا أتفق معك، وأعتقد أن المرء يجب عليه أن يعيش فى ظروف خطرة ـ فإذا ما واتت أحد الفرصة لكى يحيا فى هدوء، فهذا من حسن حظه. ولكن الحياة ـ إجمالًا ـ خطرة جدًا".

"لكن لها لحظاتها".

"نعم، بالنسبة لك؛ فأنت تذهب إلى الأماكن غير المطروقة وتهاجمك النمور وتطلق النار على الأشياء المختلفة وتتغذى البراغيث والنمل فى أصابع قدميك وتلدغك الحشرات، وكل تلك الأمور غير المريحة، ولكنها مثيرة فى الوقت نفسه".

"حسنا. إن الآنسة ميريديث لديها موضوعها المثير الخاص بها أيضا، ولكننى لا أعنى بالطبع أنه فى كل مرة تجلسين فى غرفة سوف ترتكب جريمة قتل".

إلا أن رودا قالت متنهدة:

"بالطبع هذا أمر سخيف، إلا أنه مثير أيضا! ولكننى لا أعتقد أن آن ترى هذا الجانب فى الموضوع. أتعلم، أعتقد أن السيدة أوليفر تشعر بالإثارة حتى النخاع لأنها كانت متواجدة فى تلك الليلة".

"أوه...؟ صديقتك البدينة التى تكتب القصص عن ذلك البطل الفنلندى ذى الاسم الذى يصعب نطقه. هل تحاول أن تجرب حل الألغاز البوليسية فى الواقع؟".

"إنها تريد ذلك".

"حسنا، لنتمنَّ لها الحظ الحسن - سيكون من الممتع أن تتجاوز المفتش باتل وشركاه".

سألته رودا فى فضول: "كيف يبدو المفتش باتل؟".

قال الرائد ديسبارد فى أسى:

"إنه رجل ماكر بصورة غير طبيعية - رجل ذو قدرات خاصة".

قالت رودا: "أوه! لقد قالت آن إنه يبدو غبيًا".

"أعتقد أن ذلك واحد من أساليب الخداع التى يتبعها. إلا أننا يجب ألا نرتكب أية أخطاء، فالمفتش ليس غبيًا".

نهض، قبل أن يقول:

"حسنا، يجب أن أرحل. لا يبقى إلا شىء واحد فقط أريد قوله".

نهضت آن أيضا، وقالت:

"نعم؟"، قالتها وهى تمد له يدها.

توقف ديسبارد للحظة، محاولاً أن ينتقى كلماته بعناية، وأمسك بيدها دون أن يفلتها، ونظر فى عينيها الواسعتين الجميلتين الرماديتين قبل أن يقول:

"لا تتضايقى منى، إننى فقط أريد أن أقول: من الطبيعى أن يكون هناك شىء فى علاقتك بالسيد شايتانا لا تريدين أن يخرج للعلن: فإذا كان الأمر كذلك، فلا تغضبى أرجوك"، وشعر وهو يتابع كلامه بالجذبة التلقائية ليدها من يده: "لن ترتكبى أية مخالفة قانونية إذا ما رفضتِ الإجابة عن أى سؤال يوجهه لك المفتش إلا فى حضور المحامى الخاص بك".

"لا يوجد أى شىء... أى شىء... أنا بالكاد كنت أعرف هذا الرجل المتوحش".

قال ديسبارد: "آسف، ولكن كان ينبغى أن أقول ذلك".

قالت رودا: "هذا صحيح تمامًا. آن لا تعرفه تقريبًا، كما أنها لم تستلطفه، رغم أنه كان يقيم حفلات رائعة جدًا".

قال ديسبارد فى تجهم: "يبدو أن هذا كان المبرر الوحيد لوجود السيد شايتانا فى الدنيا".

قالت آن فى صوت بارد:

"يستطيع المفتش أن يسألنى ما يريد؛ فليس لدىَّ أى شىء أخفيه... أى شىء".

قال ديسبارد فى تهذيب شديد: "سامحينى من فضلك".

نظرت إليه، وأخذ غضبها فى التلاشى، وابتسمت ـ وكانت ابتسامة شديدة العذوبة، ثم قالت:

"لا مشكلة؛ فأنا أعرف أنك كنتَ تقصد خيرًا".

ومدت له يدها من جديد، فصافحها وقال:

"أنت تعرفين أننا فى نفس القارب، ويجب أن نكون رفاقًا...".

كانت آن هى من سارت معه إلى البوابة، وعندما عادت كانت رودا تنظر من النافذة وتصفر. واستدارت عندما دخلت صديقتها الحجرة، وقالت:

"إنه جذاب بدرجة غير معقولة يا آن".

"إنه لطيف، أليس كذلك؟".

"إنه أكثر من لطيف... لقد شعرتُ بانجذاب شديد إليه. لماذا لم أذهب أنا إلى ذلك العشاء اللعين بدلًا منك؟ لقد أعجبتنى الإثارة ـ الإحساس بأن الدائرة تضيق من حولى ـ تخيلى ظلال المشنقة...".

"لا، لن تفعلى ذلك. أنت تتكلمين كلامًا فارغًا يا رودا".

كان صوت آن حادًا، ثم هدأ قبل أن تقول:

"لقد كان لطيفًا منه أن جاء إلى هنا، بالنسبة لغريب، وذلك من أجل فتاة لم يلتق بها إلا مرة واحدة".

"أوه، لقد وقع فى غرامك. من المعروف أن الرجال لا يظهرون العطف دون أن يكون هناك مقابل. فلم يكن ليأتى إلى هنا، إذا ما كنتِ حولاء أو كان وجهك مغطى بالبثور؟".

"ألا تعتقدين ذلك؟".

"لا أعتقد ذلك يا صديقتى البلهاء؛ فالسيدة أوليفر ليست لها مصلحة تجعلها تهتم بالقضية".

قالت آن فى لهجة قاطعة: "أنا لا أستلطف تلك المرأة. ولدىَّ شعور غير طيب تجاهها... إننى أتساءل عن السبب الحقيقى وراء مجيئها؟".

"إنه الشك الطبيعى فى بنى جنسها. إلا أننى أجرؤ على القول إن الرائد ديسبارد كان يريد الوصول إلى نقطة معينة".

صاحت آن فى حرارة: "لا أعتقد أنه قد أتى من أجل ذلك".

ثم احمر وجهها عندما ضحكت رودا دوز.

الفصل ١٤

الزائر الثالث

وصل المفتش باتل إلى ولنفورد فى حوالى السادسة، حيث كان ينوى معرفة كل ما يستطيع معرفته من معلومات عن الآنسة ميريديث من خلال التحدث مع محترفى النميمة ومروجى الشائعات بالقرية، قبل أن يقابل الآنسة وجهًا لوجه.

لم يكن من الصعب أن يكتشف المفتش مثل هذه المعلومات حيثما وجدت، وعلى الرغم من ذلك، فقد أعطى المفتش الكثير من الانطباعات المختلفة عن وظيفته ودوره فى الحياة، من غير أن يلزم نفسه بأية تعهدات.

فلربما قال شخصان، على الأقل، بثقة إنه معمارى إنجليزى جاء ليبحث عن جناح جديد يضيفه إلى المنزل، ومن وجهة نظر أخرى قد تتخيل أنه أحد هؤلاء الذين لا يشغلون بالهم إلا بقضاء العطلات الأسبوعية، ويبحث عن منازل مؤثثة، وقد يقول شخصان آخران بلهجة الواثق إنه ممثل إحدى الشركات الخاصة بصالات التنس.

وقد كانت المعلومات التى جمعها المفتش إيجابية للغاية.

"منــزل وندون؟ نعم، هــذا صحيح ـ على طريــق مارلبور. يستحيل أن تخطئه. نعم، فتاتان ـ الآنسة دوز والآنسة ميريديث. إنهما آنستان لطيفتان جدًا ـ فى منتهى الطيبة والهدوء".

"هــل حضرتــا إلى هنا منــذ سنــوات؟ آه، لا، ليس كل هذه

الفترة. ليس أكثر من سنتين. لقد حضرتا فى أواسط شهر سبتمبر؛ حيث قامتا بشراء المنزل من السيد بيكرز جيل والذى لم يمكث فيه طويلا، بعد وفاة زوجته".

لم يسمع أبدا المخبر السرى الخاص بالمفتش باتل بحضورهما من نورثمبرلاند، حيث اعتقد أنهما قدمتا من لندن، والفتاتان محبوبتان من الجيران، على الرغم من أن بعض الأشخاص المحافظين ولا يعتبرون أنه من السليم أن تعيش امرأتان بمفردهما فى منزل - لكنهما كانتا غاية فى الهدوء، ولا ترتادان مثل هذا النوع من الحفلات اللاهية. كانت الآنسة رودا هى الأكثر حيوية، والآنسة ميريديث كانت الأكثر هدوءا. نعم، كانت الآنسة دوز هى من تقوم بدفع الفواتير؛ فقد كانت هى من تحصل على المال.

وفى النهاية قاده بحثه حتما إلى السيدة آستويل - والتى تعمل خادمة لدى الشابتين فى منزل وندون.

كانت السيدة آستويل سيدة ثرثارة.

"حسنا، لا يا سيدى. لا أعتقد أنهما يرغبان فى بيعه - ليس بهذه السرعة؛ فقد حصلتا عليه منذ عامين فقط. وقد عملت لديهما منذ البداية، نعم، يا سيدى. إن مواعيد عملى اليومى من الساعة الثامنة حتى الثانية عشرة. إنهما مهذبتان جدًا وحلوتا المعشر، ودائما تتضاحكان وتمرحان، وليستا متكبرتين على الإطلاق".

"حسنا، بالطبع، لا يمكننى التأكد من أنها هى الآنسة دوز التى تقصدها، يا سيدى - أقصد أنها من نفس العائلة. أعتقد

أن مسقط رأسها هو مدينة ديفونشير؛ فهى تتلقى بعض علب الزبد التى ترسل إليها من هناك، وتقول إنها تذكرها بالوطن؛ لذلك أعتقد أن الأمر ينبغى أن يكون كذلك.

"كما قلت، يا سيدى، من المحزن للكثير من الفتيات أن يقمن بكسب عيشهن بأنفسهن هذه الأيام. إن هاتين الفتاتين لا يمكن وصفهما بالثريتين، لكنهما تعيشان حياة سعيدة جدا. وبالطبع فإن الآنسة دوز هى من تحصل على المال. والآنسة آن صديقتها، نوعا ما، وأعتقد أنه يمكنك القول بأن المنزل ملك للآنسة دوز.

"لا أستطيع الحديث بصورة دقيقة عن موطن الآنسة آن - لقد سمعتها تذكر جزيرة ويت، وأنا أعلم أنها لا تحب شمال إنجلترا، وكانت مع الآنسة رودا فى ديفونشير، حيث سمعتهما تتضاحكان وتتحدثان عن التلال وعن الشواطئ والكهوف الجميلة".

واستفاضت فى الحديث. وبين الفينة والأخرى، كان المفتش باتل يسجل ما تقوله على شكل ملاحظة عقلية. وأخيرًا، قام بتسجيل كلمة أو اثنتين مبهمتين فى دفتره الصغير.

فى الثامنة والنصف من هذه الليلة، سار المفتش باتجاه باب منزل وندون.

فتحت له الباب فتاة سمراء، ترتدى فستانا من الكريتون. قال المفتش: "هل تعيش الآنسة ميريديث هنا؟".

بدا باردا بشدة وعديم الإحساس.

"نعم، إنها هنا".

"أود أن أتحدث إليها من فضلك، أنا المفتش باتل".

تلقى المفتش فى الحال نظرة حادة.

قالت رودا دوز، وهى تتراجع فى الممر: "تفضل".

كانت آن ميريديث تجلس على كرسى مريح بالقرب من المدفأة، وتتناول القهوة. كانت ترتدى بيجامة مزخرفة من قماش الكريب الخفيف.

قالت رودا، موضحة هوية الضيف: "إنه المفتش باتل".

وقفت آن وتحركت فى اتجاه المفتش، ثم صافحته.

قال المفتش: "لقد تأخرت قليلًا عن الميعاد بسبب مكالمة هاتفية، لكنى كنت أتمنى أن أجدك هنا - يبدو كأنه يوم جميل".

"هل لك فى تناول القهوة أيها المفتش؟ فلتحضرى قدحًا آخر يا رودا".

"إنه لطف منك يا آنسة ميريديث".

قالت آن: "نحن نعتقد أننا نحضّر قهوة طيبة جدًّا".

أشارت إلى الكرسى، حيث جلس المشرف عليه. وأحضرت رودا القدح، وقامت آن بسكب القهوة. كان هناك صوت طقطقة يصدر من المدفأة، وكانت الزهور فى المزهرية تضفى انطباعًا خلابًا أحس به المفتش.

كان الجو لطيفًا ودودًا حيث بدت آن هادئة وعلى سجيتها، فى حين ظلت الفتاة الأخرى تحدق نحو المفتش بتفرس شديد.

قالت آن: "لقد كنا فى انتظارك".

بدت نبرتها موبخة كما لو كانت تقول: "لماذا تجاهلتنى؟".

"آسف يا آنسة ميريديث؛ فقد كان علىَّ تأدية الكثير من الأعمال".

"وهل كانت النتائج مرضية؟".

"ليس بالضبط - لكن كان يجب تأدية كل شىء. كان علىّ مقابلة الطبيب روبرتس لكى يدلى بأقواله. ونفس الشىء بالنسبة للسيدة لوريمر، والآن قد أتيت لأفعل نفس الشىء معك يا آنسة ميريديث".

ابتسمت آن قائلة: "أنا مستعدة".

قالت رودا: "وماذا عن الرائد ديسبارد؟".

قال المفتش: "آه، لن أغفل عنه - أعدك بذلك".

جلس يتناول القهوة ونظر باتجاه آن.

جلست آن باعتدال على الكرسى، ثم قالت: "أنا مستعدة تمامًا، أيها المفتش. ما الذى تود معرفته منى؟".

"تقريبا كل شىء عنك يا آنسة ميريديث".

قالت آن ضاحكة: "أنا شخصية محترمة جدًّا".

قالت رودا: "لقد كانت دائمًا تعيش حياة خالية من المشاكل، وأستطيع أن أشهد بذلك".

قال المفتش مبتهجًا: "حسنا، جميل جدًا. فأنت إذن تعرفين الآنسة ميريديث منذ فترة طويلة؟".

قالت رودا: "لقد كنا فى المدرسة معًا، من فترة طويلة كما أعتقد. أليس كذلك يا آن؟".

قال المفتش: "من فترة طويلة، تستطيعان تذكرها بالكاد، كما أظن، والآن، يا آنسة ميريديث، أخشى أن أسئلتى ستتحول

لمثل هذه الخانات التى تملئينها من أجل إعداد جواز السفر الخاص بك".

قالت آن: "لقد ولدت........".

قاطعتها رودا قائلة: "لوالدين فقيرين شريفين".

رفع المشرف يده مستنكرا.

ثم قال: "من فضلك لا تقاطعيها يا آنسة".

قالت آن بجرأة: "رودا، عزيزتى، إن الأمر لجاد".

قالت رودا: "آسفة".

"والآن، يا آنسة ميريديث، أين ولدت؟".

"فى كويتا بالهند".

"آه، كان والدك عسكريًا؟".

"نعم، كان أبى الرائد جون ميريديث. وقد توفيت والدتى عندما كنت فى الحادية عشرة، ثم تقاعد والدى عندما أصبحت فى الخامسة عشرة، وذهب ليعيش فى تشيلتونهام، ومات عندما أصبحت فى الثامنة عشرة ولم يترك لى أى أموال".

أومأ المفتش برأسه فى تعاطف، ثم قال:

"أعتقد أنها كانت صدمة بالنسبة لك".

"نعم، كانت صدمة شديدة. دائما ما كنت أعى أننا لم نكن أثرياء، لكن ألا أجد أى مال نهائيًا، فهذا مختلف".

"وماذا فعلت يا آنسة ميريديث؟".

"كان علىّ الالتحاق بوظيفة، لذلك لم أنل قسطًا كافيًا من التعليم، ولم تكن لدىّ المهارة ـ لم أكن أعلم شيئًا عن الكتابة

أو الاختزال، أو أى شىء. وقد وجدت لى أحد الصديقات فى تشيلتونهام وظيفة مع أصدقاء لها ـ كانت مهمتى العناية بطفلين صغيرين والمساعدة فى أعمال المنزل بصفة عامة".

"وما اسم هذه العائلة؟".

"السيدة إيلدن، منزل آل لارشينر، قرية فينتور. وقد مكثت هناك حوالى عامين، ثم سافرت عائلة إيلدن خارج البلاد، فذهبت إلى السيدة ديرنج".

قاطعت رودا قائلة: "عمتى".

"نعم، لقد وجدت لى رودا وظيفة. كنت غاية فى السعادة. واعتادت رودا الحضور بين الحين والآخر، وكنا نقضى وقتًا ممتعًا معًا".

"ماذا كان دورك هناك ـ مرافقة؟".

"نعم ـ شىء من هذا القبيل".

قالت رودا: "يمكن القول إنها كانت بستانية تحت التدريب".

ثم أردفت شارحة: "كانت عمتى إيميلى متيمة بالبساتين، وكانت آن تقضى معظم وقتها فى الاعتناء بها وتنظيفها من الحشائش".

قال المفتش: "ثم تركت السيدة ديرنج؟".

"لقد كانت صحتها تسوء، وكان لا بد لها من الحصول على ممرضة".

قالت رودا: "وقد كانت مصابة بالسرطان، وكانت تتناول السكنات والأدوية المشابهة".

استطردت آن قائلة: "كانت طيبة جدًا معى ـ لقد حزنت

عليها كثيرًا".

قالت رودا: "كنت أبحث عن منزل ريفى، وكنت أرغب فى الحصول على من يشاركنى فيه؛ حيث تزوج والدى مرة أخرى - ولم يكن أسلوبه مثاليًا على الإطلاق، فطلبت من آن الحضور هنا للإقامة معى، وهى هنا معى منذ ذلك الحين".

قال المفتش: "حسنًا، تبدو بالفعل حياة بلا مشاكل. فلنتحقق من التواريخ - لقد كنت مع السيدة إيلدن لمدة عامين، كما قلت بالمناسبة، ما هو عنوانها الآن؟".

"إنها فى فلسطين؛ حيث تولى زوجها أحد المناصب الحكومية هناك - لست متأكدة من مسمى المنصب".

"آه، جيد، أستطيع أن أعرفه. وبعد ذلك ذهبت إلى السيدة ديرنج؟".

قالت آن بسرعة: "قضيت معها ثلاث سنوات. وعنوانها فى مارش دين - ليتل هامبرى - ديفون".

قال المفتش: "فهمت، لذا فأنت الآن فى الخامسة والعشرين يا آنسة ميريديث. والآن يبقى شىء إضافى، وهو اسم وعنوان الزوجين اللذين تعرفا عليك وعلى والدك فى تشيلتونهام".

أخبرته آن بذلك.

"الآن، فيما يتعلق بالرحلة إلى سويسرا - حيث قمت بمقابلة السيد شايتانا. هل ذهبت وحدك هناك - أم كانت الآنسة دوز معك؟".

"لقد ذهبنا هنالك معًا، والتحقنا بآخرين - كان هناك حفل من ثمانية أشخاص".

"أخبرينى عن مقابلتك للسيد شايتانا".

قطبت آن حاجبيها. ثم قالت:

"ليس هناك ما يمكننى الحديث عنه - كان فقط هناك. لقد تعرفنا عليه بالطريقة التى تتعرف بها على أشخاص فى الفندق. وقد حصل على الجائزة الأولى فى حفل الأزياء التنكرية، حيث تنكر فى صورة شخص شرير".

تنهد المفتش. ثم قال:

"نعم، لطالما كانت تلك شخصيته المفضلة".

قالت رودا: "كان يتصرف بطريقة طبيعية جدًا، ولم يكن مضطرًا للتصنع".

نظر المفتش للفتاتين.

ثم قال: "أيكما كانت تعرفه أكثر؟".

ترددت آن، بينما أجابت رودا:

"كانت كلانا تعرفه بنفس القدر - وهى معرفة سطحية إذا كنت تفهم ما أعنيه كما ترى، فقد كان هناك حشد متواجد من أجل مسابقة عن التزحلق، وكنا نمارس الجرى فى أغلب الأيام والرقص معًا فى المساء - غير أن شايتانا بدا أكثر انبهارًا بـ آن، وكان يبالغ فى محاولات التقرب منها ومجاملتها بشتى الطرق، حتى إننا كنا نغيظها بذكر اسمه".

قالت آن: "أنا فقط ظننت أنه فعل ذلك لمضايقتى؛ لأننى لم أكن أستلطفه، وأعتقد أنه كان يستمتع عندما يشعرنى بالإحراج".

قالت رودا ضاحكة: "لقد أخبرنا آن أنه سيصبح زواجًا ثريًا

ولطيفًا بالنسبة لها؛ فكانت تستشيط غضبًا من حديثنا".

قال المفتش: "ربما، هل لك أن تعطينى أسماء الأشخاص الآخرين الذين حضروا معك الحفلة؟".

قالت رودا: "لست من الأشخاص الذين يثقون بالآخرين. هل تعتقد أن كل الحديث الذى كنا نقوله لك الآن كان كذبًا محضًا؟".

لمعت عينا المفتش، ثم قال:

"على أية حال، سوف أتأكد من أنه ليس كذلك".

قالت رودا: "أنت رجل شكّاك".

وقامت بتسجيل بعض الأسماء فى ورقة ثم سلمته إياها.

نهض المفتش، ثم قال:

"جيد، شكرًا جزيلًا يا آنسة ميريديث، وكما تقول الآنسة دوز، يبدو أنك قد عشت حياة بلا مشاكل. لا أعتقد أن هناك داعيًا للقلق. لقد كان من الغريب تغير أسلوب السيد شايتانا تجاهك! لا تؤاخذينى على سؤالى، لكن هل طلب منك السيد شايتانا الزواج - أو هل ضايقك بمجاملات من نوع آخر؟".

قامت رودا بدور المساعد حيث قالت: "إنه لم يحاول إغواءها، إذا كان هذا هو ما تقصده".

قالت آن على استحياء:

"ليس ثمة شىء من هذا القبيل - لقد كان دائمًا شديد الأدب والتمسك بالشكليات. فقط كان أسلوبه المعقد هو ما يشعرنى بالارتباك".

"ألم تكن هناك أشياء قالها أو ألمح إليها؟".

"نعم - على الأقل - لا، لم يحاول التلميح بأى شىء على الإطلاق".

"اعذرانى، فعادة ما يفعل زير النساء أشياء من هذا القبيل. حسنًا، طاب مساؤك يا آنسة ميريديث. شكرًا كثيرًا لك، كانت القهوة ممتازة. طاب مساؤك يا آنسة دوز".

قالت رودا بينما استدارت آن عائدة إلى الحجرة بعد أن قامت بغلق الباب الأمامى خلف المفتش:

"انتهى الموضوع، وبصورة غير مربكة. لقد كان رجلًا طيبًا أبويًا، ومن المؤكد لم يشك فيك فى النهاية. لقد انتهى كل شىء على أفضل مما توقعت".

جلست آن وهى تتنهد، ثم قالت:

"لقد كان حقًا شيئًا يسيرًا، وقد كان من السخيف أن أشعر بالخوف إلى هذا الحد - لقد ظننته سيحاول أن يخيفنى مثلما يفعل رجال التحقيقات فى المسرحيات".

قالت رودا: "لقد بدا رقيقًا. لقد كان متأكدًا من أنك لست من نوع النساء القاتلات".

ترددت برهة ثم قالت:

"أخبرينى يا آن، إنك لم تذكرى شيئًا عن وجودك فى كروفت وايز. هل نسيت ذلك؟".

قالت آن بهدوء:

"لم أر من فائدة من ذكر ذلك؛ فقد قضيت هناك فقط ثلاثة شهور، ولم يسأل أحد عن وجودى هناك. كان بإمكانى الحديث عن هذه الفترة إن كانت مهمة؛ لكننى كنت متأكدة

من العكس، دعينا من هذا الموضوع".

"معك حق".

نهضت رودا ثم أدارت جهاز الراديو.

انساب صوت أجش يقول:

"لقد استمعتم لتوكم إلى مسرحية: "لماذا تخبرينى بالأكاذيب يا عزيزتى"؟".

الفصل ١٥

الرائد ديسبارد

خرج الرائد ديسبارد من فندق ألبانى، واتجه فورًا إلى شارع ريجينت ستريت، ثم قفز داخل حافلة.

كان الوقت هو وقت الهدوء بالنسبة لفترة الصباح - حيث كانت مقاعد قليلة جدًا فى الحافلة مشغولة. فاختار ديسبارد مقعدًا أماميًّا وجلس فوقه.

كان ديسبارد قد قفز داخل الحافلة أثناء سيرها، ثم توقفت الحافلة، واستقلها بعض الركاب، ثم بدأ السير فى اتجاه شارع ريجينت ستريت.

صعد راكب آخر إلى الحافلة، متوجهًا للأمام وجلس على المقعد المقابل فى الجانب الآخر.

لم يلاحظ ديسبارد القادم الجديد، غير أن صوتًا ظهر بعد دقائق قليلة يسأل فى تردد:

"يا له من منظر جميل للندن، أليس كذلك؟ إن الشخص يستطيع مشاهدته من أعلى الحافلة؟".

أدار ديسبارد رأسه، وبدا مشدوهًا للحظات، ثم استرخى وجهه، وقال:

"لا تؤاخذنى يا سيد بوارو، لم أكن أعلم أنه أنت. نعم، كما قلت، يستطيع المرء النظر من أعلى للتمتع بمشهد العالم من هنا. وعلى الرغم من ذلك، فمن الأفضل النظر من خلال كل

هذه النوافذ".

تنهد بوارو، ثم قال:

"ليس دائمًا، فعندما يكون الطقس ممطرًا لن يكون هذا ممتعًا، خاصة عندما تكون الحافلة ممتلئة من الداخل وغالبًا ما يكون الطقس ممطرًا فى هذه البلدة".

"الأمطار؟ الأمطار لا تسبب أى ضرر لأى إنسان".

قال بوارو: "إنك مخطئ، فقد تتسبب أحيانًا فى تعثر الإنسان بسبب امتلاء الشوارع بماء المطر".

ابتسم ديسبارد قائلًا:

"أرى أنك تؤمن بضرورة ارتداء الملابس الثقيلة يا سيد بوارو".

كان بوارو بالفعل يرتدى ملابس ثقيلة تحسبًا لمواجهة تقلبات الخريف ـ كان يرتدى معطفًا ثقيلًا وكوفية.

قال ديسبارد:

"غريب جدًّا أن نتقابل بهذه الطريقة".

لم يلحظ الابتسامة التى تظهر وراء الكوفية. فلم يكن ثمة شىء غريب فى اللقاء. لقد تأكد بوارو من الوقت الذى سيغادر فيه ديسبارد مسكنه، ووقف ينتظره. ولم يكن بوارو مغامرًا لكى يثب إلى الحافلة خلف ديسبارد، فقد أسرع خلفه إلى محطة الحافلات، وحجز مقعده من هناك.

أجاب بوارو قائلًا:

"صحيح. فنحن لم نتقابل منذ ذلك المساء فى منزل السيد شايتانا".

سأله ديسبارد: "ألن تشارك فى هذه القضية؟".

قال بوارو، بينما كان يحك أذنه بخفة:

"إننى سوف أكتفى بالتفكير؛ فالجرى هنا وهناك، والقيام بالتحريات وإجراء التحقيقات لا يناسب سنى، ولا طبعى، ولا شخصيتى".

رد ديسبارد فجأة قائلًا:

"تفكير؟ إيه، حسنا، ربما كنت تتصرف على نحو أسوأ؛ فهناك الكثير من الصراعات هذه الأيام، فإذا هدأ الناس، وفكروا فى الشىء قبل الشروع فى فعله، لتضاءلت المعاملات الخشنة أو سوء الفهم بين الناس".

"هل هكذا نهجك فى الحياة، أيها الرائد ديسبارد؟".

قال الآخر ببساطة: "عادة ـ إننى أومن بالشعار القائل: حدد موافقك، وحدد مسارك، وزِن المزايا والعيوب، ثم اتخذ قرارك وجاهد من أجله".

ثم شد على فمه

فقال بوارو: "وبعد ذلك، لن يثنيك أحد عن طريقك، أليس كذلك؟".

"أوه، لم أقل هذا؛ فلا فائدة من التعنت بغباء. فلو ارتكبت خطأ، اعترف به".

"لكنى أتخيل أنك لا تخطئ عادة، أيها الرائد ديسبارد".

"كلنا نخطئ، يا سيد بوارو".

قال بوارو ببرود قاس ـ ربما بسبب استخدام الرائد ديسبارد لضمير الجمع: "بعضنا يرتكب أخطاءً أقل من الآخرين".

نظر ديسبارد إليه، مبتسمًا قليلًا، ثم قال:

"هل سبق لك أن فشلت فى شىء يا سيد بوارو؟".

قال بوارو بوقار: "كانت آخر مرة منذ ثمانية وعشرين عاما، وحتى فى تلك المرة، كانت هناك ظروف ـ لكن ليس هذا مهمًّا الآن".

قال ديسبارد: "يبدو رقمًا قياسيًّا جميلا". ثم أضاف: "وماذا عن موت شايتانا؟ لم تحص هذا، كما أعتقد؛ لأنه لم يكن من مهام عملك الرسمية".

"إنها ليست من مهام عملى، لكنها تجرح كبريائى رغم ذلك، أنا أعتبرها وقاحة، كما تفهم، أن ترتكب جريمة قتل أمامى ـ من قبل شخص يسخر من قدرتى على حلها".

قال ديسبارد بجفاء: "ليس أمامك أنت وحدك، بل أيضا أمام مفتش من قسم التحقيقات الجنائية".

قال بوارو بجرأة: "إنه على الأرجح خطأ جسيم، ربما يبدو المفتش الأمين العادل باتل متبلدًا، لكن عقله ليس كذلك، على الإطلاق".

قال ديسبارد: "أنا أتفق معك؛ فالتبلد مصطنع ـ إنه ضابط ماهر جدًّا ومتمكن".

"وأعتقد أنه نشيط جدًّا فى هذه القضية".

"آه، إنـه نشيـط بالقدر الكافـى. هل ترى ذلـك الشخص اللطيـف ذا الملامـح العسكرية الـذى يجلس فى أحـد المقاعد الخلفية؟".

نظر بوارو فوق كتفه:

"لا يوجد أحد هنا سوانا".

"أوه، حسنًا، إنه هنا ـ إنه يتتبعنى دائمًا، وهو مخبر كفء للغاية. وهو يتفنن فى تغيير مظهره، أيضا، من وقت لآخر".

"آه، لكن هذا لن يخدعك. فلك نظرة شديدة السرعة والدقة".

"أنـا لا أنسـى وجـه شخـص ـ حتى لـو كان غـير مميز الملامح ـ وهذا أكثر مما قد يقوله أغلب الناس".

قال بوارو: "إذن، فأنت الشخص الذى أحتاج، يا لها من فرصة أن أقابلك اليوم! أنا أحتاج لشخص ذى عين ثاقبة وذاكرة قوية. ولسوء الحظ، فكلتا الميزتين شديدة الندرة. لقد طرحت على دكتور روبرتس سؤالاً، ولم أحصل على نتيجة. وحدث نفس الشىء بالنسبة للسيدة لوريمر. والآن، سوف أحاول، وأرى ما إذا كنت سأحصل على ما أريده: عد بذهنك للوراء، حيث الحجرة التى كنتم تلعبون فيها الورق فى منزل السيد شايتانا، وأخبرنى بما تتذكره منها".

بدا ديسبارد مرتبكًا، ثم قال:

"لم أفهم بالضبط".

"صفْ لى الحجرة ـ الأثاث، والأشياء التى كانت بها".

قالَ ديسبارد بهدوء: "أنا لا أركز كثيرًا على هذا النوع من الأشياء؛ فقد كانت حجرة من النوع التقليدى ـ بالنسبة لى. لم تكن حجرة رجل على الإطلاق لقد كانت بها العديد من الزخارف، والحرير، والممتلكات الشخصية ـ نوع من الحجرات يناسب شخصية رجل مثل شايتانا".

"لكن بالتفصيل.......".

هز ديسبارد رأسه بالنفى.

وقال: "أخشى أننى لم ألاحظ......لقد كانت لديه بعض السجاجيد الجميلة: اثنتان منها من بخارى، وثلاث أو أربع من إيران، مكتوب عليها همدان وتبريز. وكان هناك رأس ظبي أفريقي ـ لا، لقد كان فى البهو. مكتوب أسفلها إنها من رولاند، كما أتوقع".

"ألا تعتقد أن السيد شايتانا كان يحب الخروج واصطياد الحيوانات المفترسة؟".

"ليس هو. أنا أراهن أنه لم يكن يفقه شيئًا سوى اللعب. ماذا كان هناك أيضا؟ أعتذر لإحباطك، لكننى لا أستطيع تذكر أكثر من ذلك. كانت هناك كمية من التحف زهيدة القيمة والتى كانت تزدحم بها الطاولات. والشيء الوحيد الذى لاحظته كان تمثالاً مبتهجًا. يمكننى القول إنه من جزيرة إيستر أيلاند. لقد كان خشبه مصقولاً بعناية، ولم تعد عين المرء تقع على الكثير من هذه الأنواع. كانت هناك أمتعة من بلاد الملايو أيضا ـ وأخشى أننى لن أستطع مساعدتك بأكثر من ذلك".

قال بوارو فى خجل: "لا مشكلة".

ثم استطرد:

"أتعلم! إن للسيدة لوريمر ذاكرة حديدية مذهلة! إنها يمكنها أن تخبرنى بنتائج اللعب وأحداث كل دور تقريبًا ـ لقد كان شيئًا مدهشًا".

هز ديسبارد كتفيه غير مبالٍ، ثم قال:

"هكذا تكون بعض النساء؛ لأنهن يلعبن جيدًا طوال اليوم، كما تتصور".

"ألا تستطيع فعل ذلك، إيه؟".

هز الآخر رأسه بالنفى، ثم قال:

"أنا أتذكر فقط دورين اثنين ـ أحدهما عندما اقتربت من إحراز الفوز، فقام روبرتس بخداعى حتى جعلنى أنسحب أمامه. ورغم أنه ارتكب خطأً ساذجًا، إلا أننا لم نستطع الانتباه إليه. يا له من حظ سيئ. أذكر أيضا دورًا ثانيًا، حيث كان اللعب يسير بصورة سيئة أيضا".

"هل تلعب الورق كثيرًا، أيها الرائد ديسبارد؟".

"أنا لا ألعب بانتظام، على الرغم من أنها لعبة جيدة".

قال بوارو متأملًا:

"لست أعتقد أن السيد شايتانا قد شارك فى أى لعبة ورق".

قال ديسبارد بحدة:

"هناك فقط لعبة واحدة شارك شايتانا فى لعبها، بإصرار".

"وما هى؟".

"لعبة التفتيش فى حياة الآخرين".

صمت بوارو لحظة، ثم قال:

"هل هذا ما تعرفه عنه؟ أم أن هذا فقط مجرد تخمين؟".

احمر وجه ديسبارد ثم قال:

"أتعنى أن المرء لا يجب أن يقول شيئًا بغير دليل كالنص

الدينى؟ أنـا أفترض أن كلامـى صحيـح. حسنا، إنـه مقنع بالدرجة الكافية، وأنا أعلم ذلك. وعلى الجانب الآخر، لست مؤهلا للاستعانة بنص دينى لأثبت صحة كلامى؛ فمثل هذه المعلومات حصلت عليها بصورة شخصية".

"تعنى أن الأمر له علاقة بالنساء؟".

"نعـم، فالسيـد شايتانـا كان - مثـل الكلب القـذر، يفضل التعامل مع النساء".

"أتعتقد أنه كان مبتزًّا؟ يا له من شىء مثير!".

هز ديسبارد رأسه بالنفى، ثم قال:

"لا، لا لقد أسأت فهم كلامى - لقد كان شايتانا مبتزًّا بطريقة ما، لكنه لم يكن من معتادى الابتزاز أو محترفيه؛ فلم يكن يلهث وراء المال. لقد كان مبتزًّا معنويًّا، لو كان هناك شىء كهذا!".

"وما الذى كان يحصل عليه من وراء ذلك؟".

"كان الأمـر يسعـده كثيرًا: هذا هو الوصـف الوحيد الذى يمكننى استخدامه. لقد كان يستمتع برؤيته للآخرين يرتجفون ويتراجعون. وأعتقد أن ذلك كان يقلل إحساسه بالنقص ويجعله يشعر بأنه أكثر إنسانية، وكان يعطيه وضعية فعالة أمام النساء. لقد كان يفضل التلميح بأنه يعلم كل شىء - وعليهن أن يخبرنه بالكثير من الأشياء التى ربما لم يكن يعرفها، وكان ذلك يزيد من إحساسه بالفكاهة، ثم يتبختر بطريقته الشيطانية ويغذى إحساسه القائل: أنا أعلم كل شىء! أنا شايتانا العظيم! لقد كان الرجل قردًا".

قال بوارو بهدوء: "هل تعتقد أنه قد أخاف الآنسة ميريديث بهذه الطريقة؟".

قال ديسبارد: "الآنسة ميريديث؟ لم أكن أفكر فيها، وهى ليست من ذلك النوع الذى قد يخاف من رجل مثل شايتانا".

"عذرًا. هل قصدت السيدة لوريمر".

"لا، لا، لا. لقد أسأت فهمى - لقد كنت أتكلم بصفة عامة؛ لأنه ليس من السهل أن تخيف السيدة لوريمر، كما أنها ليست من النساء اللواتى قد تتخيل احتفاظهن بسر إجرامى. لا، لم أكن أفكر فى أى شخص بعينه".

"إذن، فقد كنت تشير إلى أسلوبه بشكل عام؟".

"بالضبط".

قال بوارو بهدوء: "لا يوجد شك فى أن من تطلق عليه لقب الوضيع عادة ما تكون لديه المهارة على فهم النساء؛ فهو يعلم كيف يقترب منهن، وكيف يستخرج منهن الأسرار.........".

ثم توقف.

انطلق ديسبارد قائلاً بفارغ الصبر:

"يا له من شىء سخيف! لقد كان الرجل دجالاً - أى أنه لم يكن يمتلك أى مهارة حقيقية، ولا تزال النساء يخشينه، بكل سخافة".

ونهض فجأة قائلاً:

"ويحـى! لقد تجـاوزت محطتى. وقـد كنـت مستمتعًا جدًّا بمناقشتنا. الوداع يا سيد بوارو - انظر إلى الخلف وسوف ترى شبحى الوفى يغادر الحافلة عندما أغادرها".

هرول إلى الوراء ثم نزل السلالم. رن جرس المحصل، وتـ
تعالى صوت الفرامل قبل أن تتوقف الحافلة.

نظر بوارو أسفل إلى الشارع، ملاحظا ديسبارد الذى كان يمشى بخطى واسعة للخلف بطول الرصيف. ولم يأبه بالنظر إلى الشخص الذى يلاحقه؛ فقد هناك شىء ما يثير انتباهه.

ثم تمتم محدثا نفسه:

"يقول إنه لم يقصد إحدى السيدات على وجه الخصوص، إننى أتساءل عما إذا كان ذلك صحيحًا".

الفصل ١٦

شهادة إلزى بات

اعتاد رفاق الرقيب أوكونور فى سكوتلاند يارد أن يلقبوه بـ ساحر الخادمات.

كان الرجل وسيمًا جدًا بدون أدنى شك؛ فقد كان طويلًا، معتدل القامة، وذا أكتاف عريضة، ولكن لم تكن ملامحه الجذابة المتناسقة هى أكثر ما يجذب إليه الفتيات بقدر ما كانت تلك النظرة الجريئة الوقحة التى تطل من عينيه الواسعتين. ومن المؤكد أن الرقيب أوكونور يستطيع التوصل إلى الحقائق، وبسرعة.

كان شخصًا نشيطًا سريع الحركة، لدرجة أنه فى أربعة أيام فقط، بعد جريمة قتل شايتانا، كان يجلس على أحد المقاعد الثلاثية الرخيصة لمتابعة مسرحية ويلى نيلى ريفيو إلى جانب الآنسة إلزى بات ـ الخادمة السابقة للسيدة كرادوك، والمقيمة فى المنزل رقم ١١٧ شمالى شارع أودلى ستريت.

شرع الرقيب أوكونور فى الهجوم الكبير، وذلك وفق ما سبق أن خطط له، فقال: "إن أداء هذا الممثل يذكرنى بالطريقة التى كان يتصرف بها أحد مدرائى القدامى، والذى كان اسمه كرادوك، وكان شخصا غريبًا للغاية".

قالت إلزى: "كرادوك؟ لقد كنت فى السابق مع عائلة كرادوك".

"مصادفة غريبة ! أنا أتساءل عما إن كانوا نفس العائلة؟".

قالت إلزى: "كانوا يعيشون فى شارع نورث أودلى ستريت وكانوا فى طريقهم للانتقال إلى لندن عندما تركتهم".

قال أوكونور بحزم: "نعم، أعتقد أن رئيسى فى العمل كان يعيش فى شارع نورث أودلى ستريت. لقد كانت السيدة كرادوك شخصية مهذبة".

رفعت إلزى رأسها بصورة مفاجئة ثم قالت:

"إننى لم أستطع الصبر عليها؛ فقد كانت دائمًا ما تتصيد الأخطاء وتتذمر، وتجعلنى أشعر بأننى لا أفعل أى شىء صحيح".

"وقد نال زوجها نصيبه من شكواها وتذمرها، أليس كذلك؟".

"كانت دائمًا تشكو من أنه لا يهتم بها ـ وأنه لا يفهمها وكانت دائما تتحدث عن مدى سوء صحتها، وكانت تلهث وتتأوه. وإذا سألتنى، فسأخبرك بأنها لم تكن مريضة على الإطلاق".

ثنى أوكونور ركبتيه، ثم قال:

"لقد تذكرت الآن ـ ألم يكن هناك علاقة بينها وبين أحد الأطباء؟ كان شخصا بدينًا أو ما شابه؟".

"هل تعنى الدكتور روبرتس؟ لقد كان رجلًا لطيفًا ومهذبًا".

قال الرقيب أوكونور: "أنتن يا معشر الفتيات، كلكن متشابهات".

"عندما يتعرض أحد الرجال لمأزق، تجد الفتيات يلتففن حوله ـ إننى أعرف نوعية هذا الرجل".

"كلا، فهو ليس من ذلك النوع الذى كنت تتحدث عنه ـ لم يكن خطأه، أن تقوم السيدة كرادوك باستدعائه دائما، أليس كذلك؟ ماذا كان بإمكانه أن يفعل؟ إذا سألتنى، فهو لم يكن يهتم بها على الإطلاق، إلا كمريضة عنده فقط. لكنها لم تكن تتركه وشأنه"

"يبدو كلامك منطقيًا يا إلزى. أتمانعين فى أن أناديك باسم إلزى؟ إننى أشعر كأننى كنت أعرفك طوال حياتى".

"رفعت إلزى رأسها إلى أعلى وقالت: "ولكنك لا تعرفنى على الإطلاق ".

ألقى نظرة سريعة نحوها، ثم قال: "حسنًا يا آنسة بات وكما كنت أقول، يبدو كلامك منطقيًا. لكنى أعتقد أن الزوج كان يتصرف معها بحدة وشراسة، أليس كذلك؟".

ردت إلزى قائلة: "لقد رأيته منزعجًا جدًا فى إحدى المرات. لكننى أعتقد أنه كان مريضًا وقتها، وتوفى بعدها بقليل، كما تعلم".

"أذكر ذلك ـ لقد توفى بسبب مرض غريب، أليس كذلك؟".

"عدوى ظهرت فى اليابان ـ وقد أصيب بها بسبب فرشاة حلاقة جديدة اشتراها، إنه شىء رهيب ألا يكون الناس على درجة كافية من الحرص والاهتمام، أليس كذلك؟ وأنا لم أهتم بشراء أى شىء يابانى من وقتها".

قال الرقيب أوكونور مرائيا: "اشتر البريطانى، هذا هو

شعارى. لقد كنت تقولين إن السيد كرادوك قد تشاجر مع الطبيب".

أومأت إلزى رأسها فى إيجاب، وبدت مستمتعة بذكر فضائح ماضية: "لقد حدثت بينهما مشادة كبيرة، وتبادلا العبارات الغاضبة والجارحة - على الأقل هذا ما فعله السيد كرادوك؛ أما الطبيب فكان هادئا واكتفى بالرد بعبارات مثل "هذا هراء"، و"ما الذى أدخل هذه الأفكار فى رأسك؟"".

"أظن أن هذا قد حدث بالمنزل؟".

"نعم. لقد أرسلت السيدة كرادوك فى طلب الطبيب، وكانت تتجادل هى وزوجها، ثم حضر الطبيب روبرتس فى أثناء هذه المناقشة، ثم اتجه السيد كرادوك نحوه".

"ماذا قال بالضبط؟".

"حسنا، لم يكن من المفترض أن أسمع شيئًا. لقد جرى كل شىء بداخل حجرة السيدة، وقد ظننت أن شيئًا ما قد حدث؛ لذا التقطت سلة المهملات وصعدت على السلالم - لم أكن لأدع حديثهما يفوتنى بهذه البساطة".

اتفق الرائد أوكونور مع وجهة نظرها بحماس يعكس كم أنه محظوظ لكونه قد اقترب من إلزى بصورة غير رسمية. ولو أنه حقق معها بصورة رسمية، بصفته الشرطى أوكونور، فإنها كانت ستقسم بأنها لم تسمع أى شىء على الإطلاق.

استكملت إلزى: "كما قلت، كان الطبيب روبرتس هادئا جدًا، وكان السيد كرادوك يصيح بحدة".

قال أوكونور - محاولاً الاقتراب مجددًا من النقطة

الجوهرية: "ماذا كان يقول؟".

قالت إلزى مبتهجة: "كان يهينه ويهزأ به".

"ماذا تقصدين؟".

ثم قال لنفسه: ألا تستطيع تلك الفتاة أن تذكر الكلمات التى سمعتها دون مبالغة بلاغية؟

قالت إلزى: "حسنا، لم أفهم الكثير مما سمعت؛ فقد كان هناك العديد من الكلمات الطويلة التى على شاكلة: "تصرف غير مهنى" و"استغلال" وما إلى ذلك - وقد سمعته يقول بأنه سوف يتسبب فى شطب اسم الطبيب روبرتس من السجلات الطبية. هل هذا ممكن؟ هل يستطيع أن يفعل هذا؟".

قال أوكونور: "هذا صحيح؛ فله أن يتقدم بشكوى إلى المجلس الطبى".

"نعم، لقد قال شيئًا مثل ذلك، بينما كانت السيدة تتحول إلى ما يشبه الهيستيريا، وهى تقول: "أنت لم تهتم بى أبدا. أنت تهملنى. أنت تتركنى وحدى"، كما سمعتها تقول إن الطبيب روبرتس كان ملاكًا طيبًا معها.

"وقتها اتجه الطبيب والسيد إلى غرفة تغيير الملابس، وأغلقا باب حجرة النوم - سمعت ذلك - وقال الطبيب بصراحة تامة:

"عزيزى، ألا تدرك هستيرية زوجتك؟ إنها لا تعرف ما تقول. دعنى أطلعك على الحقيقة، لقد كانت حالتها مرهقة وشديدة الصعوبة، وكنت سأنفض يدى منها منذ فترة طويلة لو كنت أرى أن ذلك القرار سوف ينشو... يتو- ما هى تلك الكلمة

ـ آه، تذكرت؛ يتوافق مع واجباتى كطبيب. هذا ما قاله. وقال شيئا ما عن عدم تجاوزه للحدود بين الطبيب والمريض. وقد استطاع تهدئة السيد كرادوك قليلًا، ثم قال عندئذ:

"سوف تتأخر عن مكتبك ويحسن بك الذهاب الآن. لكن فكر فى الأمور بهدوء، أنا متأكد من أنك سوف تدرك أن المسألة برمتها ما هى إلا شىء تافه. سوف أغسل يدىّ هنا. قبل أن أتحول لحالة أخرى. والآن، فكر فى الأمر مليًا يا عزيزى. إننى أؤكد لك أن كل ما حدث كان نتيجة لأوهام زوجتك المضطربة". فقال السيد كرادوك: "لا أعلم ماذا أقول".

"ثم خرج ـ وبالطبع كنت أنظف بقوة ـ لكنه لم يلحظنى على الإطلاق. وأعتقد أنه بدا مريضًا بعد كل ذلك. وكان الطبيب يُصفّر بابتهاج بينما كان يغسل يديه فى حجرة خلع الملابس حيث توفرت فيها المياه الباردة والساخنة. ثم خرج فى الحال بحقيبته وتحدث معى بابتهاج وبرقة، كما كانت عادته دائمًا ثم هبط الدرج، هادئًا ومسرورًا ومرحًا كعادته. لذلك، كما ترى، فأنا متأكدة من أنه لم يرتكب خطأ على الإطلاق ـ كل شىء حدث بسببها".

"وبعدها أصيب كرادوك بالجمرة الخبيثة؟".

"نعم، أعتقد أنه أصيب به فى ذلك الحين. ومرضته السيدة كرادوك بإخلاص شديد، لكنه توفى. ووضعت أكاليل الزهور فوق نعشه".

"وبعد ذلك؟ هل حضر الطبيب روبرتس إلى المنزل مرة أخرى؟".

"لا، لم يفعل، أيها الفضولى! أنت تنقم عليه ـ لقد أخبرتك أنه لم يكن له يد فيما حدث. ولو كان هناك شىء ما بالفعل، لكان قد تزوجها بعد وفاة السيد كرادوك، أليس كذلك؟ ولكنه لم يفعل أبدًا، لأنه لم يكن رجلاً أحمق. وقد فهم ألاعيب وحيل السيدة جيدًا؛ فقد كانت معتادة على الاتصال به، لكنه لم يكن موجودًا فى كل مرة تتصل فيها بعيادته. بعدها باعت السيدة المنزل، وتم إبلاغنا جميعا بذلك، ثم سافرت إلى مصر".

"ولم تشاهدى الطبيب روبرتس خلال كل هذه الفترة؟".

"كلا. لكن سيدتى قابلته؛ حيث ذهبت إليه من أجل أن يعطيها هذا الـ ـ ما اسمه؟ التطعيم ضد حمى بالتيفود. ثم عادت وهى تتألم من موضع التطعيم. ولو كنت ستسألنى، فأنا أظن أنه قد أوضح لها أنه ليس هناك شىء بينهما؛ فلم تتصل به ثانية، وسافرت مبتهجة جدا ومعها الملابس الجديدة الجميلة ـ ملابس ذات ألوان براقة، على الرغم من أن ذلك كان فى أواسط فصل الشتاء، لكنها قالت إن الجو سيكون مشمسًا وحارًّا فى مصر".

قال أوكونور: "هذا صحيح ـ أحيانا يكون الطقس هناك شديد الحرارة، سمعت ذلك. وقد ماتت هناك ـ أعتقد أنك على علم بذلك؟".

"لا، فى الواقع لا أعلم، حسنًا، تخيل هذا! ربما كانت حالتها أسوأ مما اعتقدت. يا للمسكينة".

ثم تنهدت، مضيفة:

"إننى أتساءل ماذا فعلوا بكل هذه الملابس الجميلة! لقد

فقدوا حياتهم، فلن يستطيعوا ارتداءها مرة ثانية".

قال الرقيب أوكونور: "أعتقد أن تلك الملابس كانت ستبدو مثيرة عليك".

قالت إلزى: "يا لك من وقح!".

قال الرقيب أوكونور: "حسنًا، لن أجرحك بوقاحتى أكثر من ذلك: علىّ أن أذهب الآن لكى أنجز أحد الأعمال الخاصة بشركتى".

"هل ستغيب؟".

قال الرقيب: "ربما أسافر للخارج".

تدلى وجه إلزى وفكرت فى أنه على الرغم من عدم إلمامها بقصيدة اللورد بيرون الشهيرة: "لم يسبق لى أن أحببت غزالاً جميلا" إلا أنها كانت تعبر عن شعورها آنذاك. ثم قالت:

"من المضحك أن كل الأشخاص الجذابين لا يبقون لفترة طويلة. أوه، حسنًا، لكن هناك دائمًا صديقى فريد".

وكم كانت فكرة مُرْضية أن يكون تأثير دخول الرقيب أوكونور فى حياة إلزى لن يدوم طويلاً ـ فلربما يكون فريد هو الرجل المناسب فى النهاية!

الفصل ١٧

شهادة رودا دوز

خرجت رودا دوز من دبينهام. ثم وقفت شاردة على الرصيف. ظهرت الحيرة بقوة على وجهها الذى كان معبرا؛ حيث كانت تظهر عليه كل العواطف ـ حتى العابرة منها بصورة سريعة متغيرة.

كان وجهها يقول بوضوح تام:

"هل أفعل ذلك أم لا؟ أود أن .... لكن ربما........ يحسن ألا أفعل...".

قال لها الحاجب راجيًا: "تاكسى، يا آنسة؟".

هزت رودا رأسها بالنفى.

وقفت سيدة بدينة تحمل حزمة كبيرة، يبدو على وجهها تعبير: "التسوق مبكرًا من أجل أعياد رأس السنة" لكن رودا كانت لاتزال تقف متسمرة، وتحاول الوصول إلى قرار.

وظلت تتنازعها الأفكار غير المنتظمة واللانهائية:

"لماذا يجب علىّ ذلك، على أى حال؟ لقد طلبت منى أن ... لكن ربما يكون هذا هو ما تقوله لكل الناس... إنها لا تقصد أن يؤخذ كلامها على محمل الجد.... حسنا، رغم ذلك، فإن آن لا تريدنى. لقد أكدت بصورة كاملة أنها سوف تذهب مع الرائد ديسبارد إلى المحامى وحدها... ولماذا لا تفعل ذلك؟ أقصد أن ذهاب ثلاثة أشخاص أمر غير مستحب...... فى الحقيقة

ليس هذا من شأنى.... لا يبدو الأمر وكأننى أردت بالتحديد رؤية الرائد ديسبارد.... نعم، إنه لطيف..... لكننى أعتقد أنه وقع فى حب آن. إن الرجل لا يتحمل الصعاب من أجل امرأة ما لم يكن مغرمًا بها........ أقصد أن الأمر لا ينبع من العطف فقط....".

ارتطمْ الساعى بها، وقال لائمًا إياها: "لا تؤاخذينى يا آنسة".

قالت رودا: "أوه، يا إلهى! لا يمكننى الوقوف هنا طول اليوم لمجرد أننى حمقاء ولا أستطيع اتخاذ قرار... أظن أن هذا المعطف والتنورة سيكونان جميلين إلى حد بعيد، إننى أتساءل عما إذا كان اللون البنى أكثر عملية من اللون الأخضر؟ لا، لا أعتقد ذلك. حسنًا، هل علىّ الذهاب أم لا؟ تعد الساعة الثالثة والنصف وقتًا مناسبًا تمامًا ـ أعنى، لا يبدو الأمر وكأننى أتسول من أجل الطعام أو أيا من هذا. ربما أذهب وأفكر، على أية حال".

اندفعت عبر الطريق، متجهة نحو اليمين، ثم إلى اليسار نحو شارع هارلى ستريت، وفى النهاية توقفت عند الوحدات السكنية التى كانت تصفها دائما السيدة أوليفر بمرح بأنها "كلها تقع حول مستشفى الأمراض العقلية".

فكرت رودا قائلة: "حسنا، لا أظن أنها ستأكلنى" ثم اندفعت بجرأة نحو أحد المبانى.

كانت شقة السيدة أوليفر فى الطابق العلوى، حيث قام خادم، يرتدى زيًا رسميًا، باصطحابها إلى الطابق العلوى، ثم

اتجه إلى اليسار حيث ظهرت سجادة جديدة أنيقة فى الخارج أمامها باب أخضر لامع.

فكرت رودا قائلة: "إنه شىء مرعب! إنه أسوأ من أطباء الأسنان. لكن يجب أن أكمل ما جئت من أجله".

ضغطت على الجرس وقد احمر وجهها من شدة الخجل.

قامت خادمة عجوز بفتح الباب.

سألتها رودا: "إذا سمحت، هل السيدة أوليفر موجودة؟".

أفسحت لها الخادمة، فدخلت رودا، إلى حيث حجرة الاستقبال. ثم قالت الخادمة:

"من فضلك، ما اسمك حتى أخبرها به؟".

"أوه ـ الآنسة دوز ـ رودا دوز".

انسحبت الخادمة. وبعد مرور دقيقة وخمس وأربعين ثانية ـ مرت على رودا كما لو كانت مائة عام ـ عادت الخادمة، ثم قالت:

"هل لك فى الدخول من هذا الطريق يا آنسة؟".

اشتد احمرار وجه رودا وهى تتبع الخادمة، ثم فتح باب طول الممر، حول إحدى الزوايا. دخلت بانفعال نحو ما بدا فى عينيها المذهولتين، فى البداية، كغابة أفريقية!

طيور ـ مجموعات من الطيور، ببغاوات، طيور مفردة، طيور غير معروفة حتى فى أوساط المهتمين بها، متزاوجة داخل وخارج ما يبدو كأنه غابة بدائية. وفى وسط هذا الجمع من الطيور والحياة النباتية، لمحت رودا مائدة مطبخ متهالكة، توجد عليها آلة كاتبة، ومجموعات من النسخ المطبوعة المبعثرة

حول الأرض، والسيدة أوليفر، ذات الشعر الأشعث، تجلس على كرسى لا يبدو متماسكًا للغاية.

قالت السيدة أوليفر: "عزيزتى، كم هو جميل أن أقابلك". قالتها ويدها ملطخة بالكربون، بينما كانت تحاول بيدها الأخرى أن ترتب شعرها، الأمر الذى كان مستحيلًا تمامًا.

سقطت حقيبة أوراق، كانت تلمس مرفقها، من على المكتب فتدحرج التفاح منها على طول أرض الحجرة.

قالت السيدة أوليفر: "لا تبالى، يا عزيزتى، لا تهتمى فسوف يقوم أحد بالتقاطها حالا".

نهضت رودا وهى تلهث، وفى حوزتها خمس تفاحات.

قالت السيدة أوليفر: "أوه، شكرا لك - لا، ليس علىّ إعادتها مرة أخرى إلى الحقيبة. أظن أن بها ثقوبًا. ضعيها على رف الموقد. هذا صحيح. والآن اجلسى ودعينا نتحدث".

قبلت رودا الجلوس على كرسى متهالك، وحدقت نحو مضيفتها، ثم قالت لاهثة:

" أنا آسفة جدا. هل أقاطعك، أو أى شيء من قبيل هذا؟".

قالت السيدة أوليفر: "نعم، فعلت، ولم تفعلى. فكما ترين أنا أعمل، لكن بطل قصتى - هذا الفنلندى المثير - قد تسبب فى إرباك نفسه. لقد وصل إلى بعض الاستنتاجات الماهرة مع طبق من الفاصوليا الخضراء، واكتشف الآن بعض السموم المميتة فى حشوة إوزة العيد والتى تكونت من المريمية والبصل، وقد تذكرت لتوى أن موسم الفاصوليا الخضراء قد انتهى بانتهاء

وقت العيد".

قالت رودا وقد حبست أنفاسها بسبب دخولها عالم القصص البوليسية الإبداعى بهذا العمق:

"ربما تكون معلّبة".

قالت السيدة أوليفر بلهجة يملؤها الشك: "بالطبع، ربما تكون كذلك. غير أن هذا قد يفسد الأمر. إننى أهتم دائما بالتعمق فى علم دراسة الأشجار وما إلى هذا. يكتب القراء إلى ويقولون إننى حصلت على الزهور الخطأ وجمعتها معا. لكن هذا لا يهم - وعلى أية حال، توجد كلها مجمعة فى متجر لندن".

قالت رودا بإخلاص: "بالطبع، ليست هذه مشكلة. أوه، لا بد أنه شيء رائع أن تقومى بالكتابة، يا سيدة أوليفر".

فركت السيدة أوليفر جبهتها بإصبعها الملوث بالكربون، ثم قالت:

"لماذا؟".

قالت رودا وقد أدهشها السؤال: "أوه، لأنه لابد وأن يكون أمرًا رائعًا أن تجلسى وتكتبى كتابًا كاملا".

قالت السيدة أوليفر: "ليس الأمر بهذه الصورة، فعلى الشخص أن يفكر - كما تعلمين، ودائما ما يكون التفكير مملًا. وعليك أن تقومى بالتخطيط. وهنا تقعين فى ورطة بين الحين والآخر، ويراودك الشعور بأنك لن تخرجى أبدا من هذه الفوضى - لكنك تفعلين! فالكتابة لا تكون ممتعة بالضرورة دائما - إنها عمل شاق، مثل أى شيء آخر".

قالت رودا: "لا تبدو مثل أى عمل عادى".

قالت السيدة أوليفر: "ليس بالنسبة لك؛ لأنك لست مجبرة على أدائها! لكنها تبدو كثيرة الشبه بالأعمال العادية بالنسبة لى. فى بعض الأيام، يمكننى فقط المواظبة على الكتابة من خلال أن أردد لنفسى مرات ومرات كمية المال التى قد أحصل عليه من أجل حقوق النشر، وهذا يعطيك الدافع كما تعلمين، وكذلك سوف تتحمسين أكثر عندما تلقين نظرة على دفتر حسابك البنكى وترين كم سحبت من أموال على المكشوف".

قالت رودا: "لم أكن أتخيل أنك تقومين بكتابة كتبك بنفسك؛ فقد ظننت أن لديك سكرتيرًا".

"كانت لدىّ سكرتيرة، وكنت معتادة على التعامل معها وإعطائها الأوامر، لكنها كانت ذات كفاءة عالية لدرجة أحبطتنى. لقد شعرت بأنها تعلم عن اللغة الإنجليزية والقواعد وعلامات التوقف والفواصل أكثر مما أعلمه أنا ـ الأمر الذى جعلنى أشعر بعقدة نقص. ثم حاولت الحصول على سكرتيرة غير مؤهلة تمامًا، لكن ذلك، طبعًا، لم يف بالغرض أيضًا".

قالت رودا: "لا بد أن يكون جميلا أن يكون الإنسان قادرًا على تخيل الشخصيات والمواقف".

ردت أوليفر فى سعادة: "إننى أستطيع دائما تخيل الشخصيات والمواقف، لكن الشىء المرهق هو تدوينها. وأنا دائما أفكر فى أننى قد أنجزت، ولكن عندما أقوم بحساب ما كتبت، أجدنى قمت فقط بكتابة ثلاثين ألف كلمة، بدلا من ستين ألفًا، وبهذا يصبح على أن أدخل جريمة قتل أخرى

وأجعل البطلة تتعرض مرة ثانية للخطف. يا له من شيء ممل بأكمله!".

لم تجب رودا، فقد كانت تحدق إلى السيدة أوليفر، بينما تشعر بذلك التوقير الذى يكنه الشباب للمشاهير، والممتزج بشىء من الإحباط.

سألتها السيدة أوليفر وهى تشير بيدها لأعلى: "هل أعجبك ورق الحائط؟ أنا مغرمة بالطيور لأقصى درجة. يفترض أن تكون أوراق الشجر استوائية؛ فهى تجعلنى أشعر بأن الجو حار، حتى عندما يكون شديد البرودة. إننى لا أستطيع أداء أى شىء إذا لم أشعر بمنتهى الدفء، غير أن سفين هيرسون يقوم بتكسير الثلج فى مغطسه كل صباح".

قالت رودا: "أظن كل ذلك ممتعًا، ومن اللطيف منك أن تقولى إننى لا أعيقك".

قالت السيدة أوليفر: "سنتناول بعضًا من القهوة والخبز المحمص: القهوة شديدة السواد مع الخبز الساخن جدًا ـ هذا فقط ما أستطيع تناوله دائمًا وفى أى وقت".

اتجهت نحو الباب، وفتحته وصاحت. ثم عادت وقالت:

"ما الذى جاء بك إلى المدينة ـ التسوق؟".

"نعم، كنت أقوم ببعض التسوق".

"هل الآنسة ميريديث هنا أيضا؟".

"نعم، لقد ذهبت مع الرائد ديسبارد إلى المحامى".

"المحامى؟".

ارتفع حاجبا السيدة أوليفر فى تساؤل.

"نعم. كما تعلمين، فقد أخبرها الرائد ديسبارد أن عليها توكيل أحد المحامين، لقد كان طيبًا جدًا ـ حقا لقد كان".

قالت السيدة أوليفر: "لقد كنتُ طيبة أيضًا، لكن طيبتى لم يكن لها مردود إيجابى، أليس كذلك؟ فى الواقع، أعتقد أن صديقتك قد امتعضت بشدة من قدومى".

تململت رودا على الكرسى وهى فى شدة الحرج، وقالت:

"أوه، إنها ليست كذلك... بالفعل لم تكن كذلك. لقد رغبت فى الحضور اليوم لسبب واحد ـ لكى أقوم بالشرح ـ فكما تعلمين لقد رأيت أنك فهمت الأمر بصورة خاطئة. لقد بدت آن شديدة الفظاظة، لكنها ليست كذلك حقًا. أعنى أن ذلك لم يكن بسبب حضورك وإنما بسبب شىء قلته".

"شىء قلته؟".

"نعم، ولم تحسى بتأثيره بالطبع، لكنه حدث فقط لسوء الحظ".

"ماذا قلت؟".

"لا أعتقد أنك ستتذكرين. كانت فقط الطريقة التى استخدمتها حيث قلت شيئًا عن الحادثة والسم".

"هل فعلت؟".

"أعلم أنك غالبًا لا تتذكرين الأمر. نعم، كما ترين. لقد مرت آن بتجربة شنيعة ذات مرة؛ حيث كانت فى منزل تناولت فيه امرأة بعض السم ـ أظن أنه كان طلاء قبعة ـ بطريق الخطأ وهى تظنه شيئًا آخر، وماتت. وبالطبع فقد سبب ذلك صدمة شديدة لـ آن، ولم تتحمل التفكير فيما حدث أو الحديث

عنه، وقد ذكرتها كلمتك هذه بالحادث؛ وبالتالى تحول أسلوبها إلى الجفاء والتكبر والحمق. وقد رأيت أنك قد لاحظت ذلك. إننى لم أستطع أن أقول شيئًا أمامها، لكنى أردت أن تعلمى أن الأمر لم يكن كما ظننت، وأنها لم تكن جاحدة".

نظرت السيدة أوليفر إلى وجه رودا المتورد والمتحمس، ثم قالت بهدوء:

"لقد فهمت".

قالت رودا: "إن آن حساسة للغاية. ولا تحسن تمامًا مواجهة الأمور؛ فهى لا ترغب فى الحديث عن أى شىء يزعجها، على الرغم من أن هذا التصرف ليس جيدًا على الإطلاق ـ على الأقل من وجهة نظرى. إن المشكلات والمآسى موجودة فى حياة المرء ـ سواء تحدث عنها أم لا، والتظاهر بعدم وجودها ما هو إلا حيلة جبانة للهروب من المشكلات. إننى شخصيًا أفضل الإفصاح عن كل ما يعتمل بداخلى، مهما كان مؤلمًا أو مزعجًا".

قالت السيدة أوليفر فى هدوء: "آه، لكنك يا عزيزتى مقاتلة بينما صديقتك آن ليست كذلك".

احمر وجه رودا خجلا، ثم قالت:

"إن آن فاتنة".

ابتسمت السيدة أوليفر، ثم قالت:

"لم أقل إنها ليست كذلك. فقط قلت إنها لا تمتلك سمة الشجاعة التى تملكينها أنت".

ثم تنهدت، وقالت بصورة غير متوقعة للفتاة:

"هل تؤمنين بقيمة الصدق أم لا، يا عزيزتى؟".

قالت رودا محدقة: "بالطبع أؤمن بالصدق".

"نعم، تقولينها ـ لكنك ربما لا تفكرين فيها؛ فقد تجرح الصراحة أحيانًا، وتدمر أوهام الإنسان".

قالت رودا: "إننى أفضّل أن أكون صريحة رغم كل شىء".

"أنا أيضا أفضل ذلك، لكنى لا أعتقد أننا على قدر من الحكمة".

قالت رودا بجدية:

"لا تخبرى آن بما قلته لك. هل توافقين؟ فأنا لا أظن أنها ستحب ذلك".

"من المؤكد أننى لن أقوم بمثل هذا الأمر. هل حدث هذا الأمر منذ زمن بعيد؟".

"منذ حوالى أربعة أعوام. من الغريب، أن تحدث الأشياء للناس مرات ومرات. لقد كانت لى عمة دائمة المعاناة، وها هى آن تجمع بين حادثتى موت مفاجئتين ـ وهذا طبعا أسوأ؛ فالقتل يعد شيئًا شنيعًا، أليس كذلك؟".

"نعم، هو كذلك".

وهنا ظهرت القهوة السوداء والخبز المحمص الساخن.

أكلت رودا وشربت باستمتاع طفولى؛ كان أمرًا مثيرًا بالنسبة لها أن تتناول وجبة مع أحد المشاهير.

نهضت رودا عندما فرغت من تناول الطعام، ثم قالت:

"أتمنى ألا أكون قد ضايقتك، هل تمانعين ـ أعنى، هل يزعجك بشدة ـ إذا قمت بإرسال أحد كتبك إلىّ، هل تمانعين

فى التوقيع عليه من أجلى؟".

ضحكت السيدة أوليفر. وقالت:

"أوه، أستطيع أن أقدم ما هو أفضل من هذا لك". ثم فتحت خزانة فى نهاية الحجرة. وقالت: "أيها تفضلين؟ أنا مغرمة بشدة برواية جريمة السمكة الذهبية؛ فهى ليست تافهة أو مرعبة مثل بقية قصص الجريمة التى ألفتها".

وافقت رودا بلهفة، بينما كانت مصدومة لسماع مؤلفة تصف كتبها بمثل هذا الوصف. أخذت السيدة أوليفر الكتاب، وفتحته ثم كتبت اسمها بطريقة مزخرفة أنيقة وسلمته إلى رودا.

"ها هو".

"شكرا جزيلًا. لقد استمتعت بلقائك. أمتأكدة أنك لا تمانعين فى زيارتى لك؟".

قالت السيدة أوليفر: "أنا أريدك أن تفعلى".

ثم أضافت بعد أن صمتت للحظة:

"إنك طفلة جميلة. وداعًا. اعتنِ بنفسك يا عزيزتى".

تمتمت وهى تحدث نفسها أثناء غلق الباب بعد أن خرجت ضيفتها: "لماذا قلت لها ذلك؟".

هزت رأسها، وهى تثير شعرها، ثم عادت إلى بطلها هيرسون الحاذق، واستكملت قصته مع حشوة المريمية والبصل.

الفصل ١٨

جلسة شاى

خرجت السيدة لوريمر من أحد الأبواب فى شارع هارلى ستريت.

وقفت برهة على أعلى الدرج، ثم نزلت ببطء.

ظهر الفضول على وجهها ـ مع مزيج من التصميم الحاد والتردد الغريب، ثم خفضت حاجبيها قليلا، كما لو كانت تركز فى مشكلة عويصة.

وهنا لمحت لتوها آن ميريديث تقف على الرصيف المقابل.

كانت آن تقف محدقة إلى عدد ضخم من الوحدات السكنية على الجانب.

ترددت السيدة لوريمر للحظة، ثم عبرت الطريق، وقالت:

"كيف حالك يا آنسة ميريديث؟".

استدارت آن وقالت:

"أوه، كيف حالك؟".

قالت السيدة لوريمر: "ألا تزالين فى لندن؟".

"لا. أنا هنا الآن، فقط، من أجل أداء بعض الأعمال القانونية".

كانت عيناها لا تزالان شاخصتين نحو الوحدات السكنية.

قالت السيدة لوريمر:

"هل توجد مشكلة؟".

قالت آن بينما بدا عليها الشعور بالذنب:

"مشكلة؟ أوه، لا. لماذا تظنين أن هناك مشكلة؟".

"لقد كنت تنظرين كما لو كنت تفكرين فى عمل شيء ما".

"لم أكن أفكر ـ حسنًا، على الأقل كنت أفكر، لكنه شيء غير مهم، شيء سخيف جدا". ثم ضحكت قليلًا وقالت:

"فقط كنت أفكر فى رؤية صديقتى ـ الفتاة التى أعيش معها؛ فقد دخلت من هناك، فتساءلت عما إذا كانت ذهبت لمقابلة السيدة أوليفر".

"هل تعيش السيدة أوليفر هنا؟ لم أكن أعرف ذلك".

"نعم، وقد جاءت لزيارتنا منذ بضعة أيام، وأعطت عنوانها وطلبت منا الذهاب لرؤيتها. لقد كنت أتساءل عما إذا كانت رودا هى من رأيت أم لا".

"هل ترغبين فى الذهاب هناك لكى تتأكدى؟".

"لا، لا أفضل هذا".

قالت السيدة لوريمر: "تعالى، واشربى معى الشاى هناك مقهى قريب جدًا من هنا".

قالت آن فى تردد: "إنه لطف شديد منك".

سارت آن إلى جانبها فى الشارع ثم تحولتا إلى شارع جانبى، ثم جلستا فى أحد المقاهى وتناولتا الشاى مع الفطائر.

لم تتحدثا كثيرًا؛ فقد كانت كل منهما تجد الراحة فى صمت الأخرى.

وفجأة سألت آن:

"هل حاولت السيدة أوليفر زيارتك؟".

هزت السيدة لوريمر رأسها بالنفى وقالت:

"لم يحاول أحد مقابلتى سوى السيد بوارو".

قالت آن:

"لم أكن أقصد .....".

قالت السيدة لوريمر: "ألم تكونى تقصدين؟ أعتقد أنك قصدت ذلك".

رفعت الفتاة بصرها ـ بسرعة، وفى عينيها الخوف. إلا أن هناك شيئًا ما فى وجه السيدة لوريمر بدا مطمئنًا لها.

ثم قالت ببطء: "لم يحاول مقابلتى".

ساد الصمت وهلة، ثم سألت آن:

"هل حضر المفتش باتل لزيارتك؟".

قالت السيدة لوريمر: "أوه، نعم، بالطبع".

قالت آن فى تردد:

"عن ماذا سألك؟".

تنهدت السيدة لوريمر بسأم ثم قالت:

"أظن أنها الأسئلة التقليدية ـ أسئلة روتينية".

"أعتقد أنه أجرى تحقيقًا مع الجميع".

"أعتقد هذا أيضًا".

سادت فترة أخرى من الصمت، ثم قالت آن:

"هل تعتقدين، يا سيدة لوريمر، أنهم من الممكن أن يجدوا المجرم؟".

ثبتت آن عينيها فى طبقها. ولم تر التعبير الفضولى فى عين السيدة العجوز حينما نظرت إلى رأسها المنحنى لأسفل.

قالت السيدة لوريمر فى هدوء:

"لا أعلم.......".

همست آن:

"إنها مسألة غير لطيفة، أليس كذلك؟".

ظهر على وجه السيدة لوريمر هذا التقييم الغريب ولكن التعاطف ظل موجودًا على وجهها أيضا عندما سألت:

"كم عمرك، يا آن ميريديث؟".

تمتمت الفتاة: "أنا ـ أنا؟ أنا فى الخامسة والعشرين".

قالت السيدة لوريمر: "وأنا فى الستين". ثم استكملت ببطء:

"الحياة لا تزال أمامك......".

ارتجفت آن ثم قالت:

"قد تدهسنى الحافلة وأنا فى طريق العودة للمنزل".

"نعم، هذا صحيح، وربما لا تدهسنى أنا".

قالتها السيدة بطريقة غريبة فنظرت آن نحوها فى دهشة.

قالت السيدة أوليمر: "إن الحياة شاقة، وستعرفين ذلك عندما تصلين إلى مثل عمرى. إنها تحتاج إلى الشجاعة المطلقة والكثير من الجلد. وفى النهاية يتساءل الإنسان: هل كان الأمر يستحق؟".

قالت آن: "أوه، لا تقولى ذلك".

ضحكت السيدة لوريمر، وقد ظهر، من جديد، الجانب المقتدر من شخصيتها:

"إن الحديث عن أشياء كئيبة فى الحياة شىء مبتذل".

ثم قامت باستدعاء النادلة، ودفعت الفاتورة.

وبينما كانتا تمشيان نحو باب المقهى، إذا بسيارة أجرة تتقدم ببطء، فنادت السيدة لوريمر على السائق. ثم سألت آن:

"هل أستطيع مساعدتك؟ سوف أتجه نحو شمال المتنزه".

"لا شكرا؛ فأنا أرى صديقتى تنعطف عند الزاوية. شكرًا جزيلًا لك يا سيدة لوريمر، إلى اللقاء".

ابتعدت السيدة لوريمر، بينما أسرعت آن نحو الأمام.

استنار وجه رودا عندما رأت صديقتها، ثم تحول إلى تعبير خجول قليلًا.

قالت آن:

"رودا، هل كنت عند السيدة أوليفر؟".

"فى الواقع لقد زرتها بالفعل".

"وقد ضبطتك لتوى".

"لا أدرى ما الذى تعنينه بهذه الكلمة. هيا نسر إلى محطة الحافلات ونستقل حافلة. لقد تطورت فى مغامرتك الخاصة مع صديقك الرائد، وأعتقد أنه على الأقل قد دعاك إلى تناول الشاى".

صمتت آن للحظة ـ وكان هناك صوت يرن فى أذنيها.

أردفت رودا: "ألا يمكننا اللحاق بصديقك فى أى مكان ونتناول جميعا الشاى معا؟".

وأجابت آن بسرعة ـ قبل حتى أن تأخذ وقتها فى التفكير:

"أشكرك بشدة، لكن علينا الذهاب لتناول الشاى مع بعض الأشخاص".

كانت كذبة ـ وكذبة سخيفة. وبطريقة غبية تجعل الشخص يقول أول شىء يدور بذهنه بدلاً من أن يعطى لنفسه الفرصة دقيقة أو اثنتين للتفكير. لقد كان من السهل جدا أن تقول "شكرًا، لكن صديقى سوف يذهب لتناول الشاى مع بعض أصدقائه"، إذا لم تكن، تريد أن تتناول رودا الشاى معهما أيضا.

كان أسلوبها فى استبعاد رودا غريبا؛ فقد أرادت بصورة قاطعة، أن تحتفظ بالرائد ديسبارد لنفسها، وكانت تشعر بالغيرة من رودا؛ التى كانت شديدة التألق، وفى أتم الاستعداد للتحدث، يملؤها الحماس والحيوية. لقد بدا على ديسبارد منذ بضعة أيام أنه يستلطف رودا، لكنه أتى من أجل مقابلتها هى ـ مقابلة آن ميريديث. هكذا هى رودا دائمًا. ربما لم تكن تقصد أن تتصرف بهذه الطريقة، لكنها دائمًا ما تضع آن فى الظل وتسرق منها الأضواء. لا، إنها قطعا لم ترد رودا هناك.

لكنها تعاملت مع هذا الأمر بغباء ـ أن ترتبك إلى مثل هذه الدرجة؛ فلو كانت فكرت بطريقة أفضل، لكان من الممكن أن تكون الآن جالسة مع الرائد ديسبارد يتناولان الشاى فى ناديه أو أى مكان آخر.

لقد شعرت بمنتهى الضيق من رودا، وقد كانت رودا

مزعجة. ثم ما الذى كانت تفعله عند السيدة أوليفر؟

قالت آن بصوت مرتفع:

"لماذا ذهبت وقابلت السيدة أوليفر؟".

"حسنا، لقد طلبت منا الحضور".

"نعم، لكنى لا أظن أنها كانت تعنى ما تقول، وأنا أتوقع أنها دائما ما تقول كلاما مثل هذا!".

"لقد كانت تعنى ما قالته ـ كانت لطيفة جدًا بحيث لا يمكن أن يكون هناك من هو ألطف منها، لقد أعطتنى أحد كتبها، انظرى".

لوحت رودا بالجائزة متباهية.

قالت آن متشككة:

"عن ماذا تحدثتما؟ لعلكما لم تتحدثا عنى؟".

"يا لك من مغرورة!".

"هل تحدثت عنى؟ هل تحدثت حول الـ ... جريمة القتل؟".

"لقد تحدثنا عن جرائمها؛ حيث كانت تكتب إحداها حول وجود السم فى البصل والمريمية. إنها إنسانة طبيعية للغاية ـ وقالت إن الكتابة مرهقة جدًا، وتحدثت عن كيفية توظيفها حبكة رواياتها، وقد تناولنا القهوة السوداء والخبز المحمص المدهون بالزبد".

وأنهت رودا حديثها بصيحة انتصار، ثم أضافت قائلة:

"أوه، آن، أتريدين تناول بعض الشاى؟".

"لا، لا أريد. لقد تناولته ـ مع السيدة لوريمر".

"السيدة لوريمر؟ أليست هذه ـ هذه هى من كانت هناك؟".

أومأت آن برأسها فى إيجاب.

"أين عثرت عليها؟ هل ذهبت لمقابلتها؟".

"لا، لقد عثرت عليها فى شارع هارلى ستريت".

"كيف كانت تبدو؟".

"لا أعلم، كانت... كانت غريبة للغاية ـ تختلف تمامًا عن الليلة الماضية".

سألت رودا: "هل مازلت تعتقدين أنها هى من ارتكبت الجريمة؟".

"لا أعلم. دعينا من الحديث عن هذا يا رودا! فأنت تعلمين كم أكره الحديث عن مثل هذه الأشياء".

"حسنا، يا عزيزتى. كيف بدا المحامى؟ فى منتهى الخشونة والرسمية؟".

"كان شديد اليقظة، وكان صارمًا".

"يبدو محاميًا قديرًا ومتمكنًا"، ثم انتظرت قليلًا قبل أن تقول: "كيف كان الرائد ديسبارد؟".

"طيب للغاية".

"لقد وقع فى حبك يا آن. أنا متأكدة من هذا".

"رودا، لا تقولى هذا الكلام التافه".

"حسنا، لسوف نرى".

بدأت رودا تهمهم لنفسها قائلة: "بالطبع، وقع فى حبها إن آن جميلة للغاية. لكنها رقيقة شيئا ما..... ولن تتحمل أن تخوض معه إحدى مغامراته، و لسوف تصرخ إذا رأت ثعبانا... دائما ما يعجب الرجال بالنساء غير المناسبات".

ثم قالت بصوت مرتفع:

"سوف تقلنا هذه الحافلة إلى بادنتون، وبالكاد سوف نلحق بقطار الساعة الرابعة وثمانٍ وأربعين دقيقة".

الفصل ١٩

المداولة

رن جرس الهاتف فى حجرة هيركيول بوارو، وسمع من خلاله صوتًا مهذبًا يقول:

"أنا الرقيب أوكونور. المفتش باتل يحييك ويسأل: هل من المناسب أن يحضر السيد هيركيول بوارو إلى مقر سكوتلانديارد فى الساعة الحادية عشرة والنصف؟".

رد بوارو بالإيجاب، ثم أنهى الرقيب أوكونور المحادثة الهاتفية.

وفى الساعة الحادية عشرة والنصف نزل بوارو من السيارة الأجرة أمام بوابة سكوتلانديارد ـ حيث أدركته السيدة أوليفر.

"السيد بوارو. عظيم! هل يمكنك أن تساعدنى؟".

"أهلا، سيدتى. ما الذى يمكننى أن أقدمه لك؟".

"ادفع لسائق السيارة الأجرة. لا أعلم كيف حدث ذلك، لكنى نسيت الحافظة التى أحتفظ فيها بمصاريف الانتقالات، والسائق لم يقبل عملة الفرانك أو الليرة أو المارك!".

دفع بوارو بشهامة أجرة السائق، ودخل مع السيدة أوليفر إلى داخل المبنى.

قام أحدهم باصطحابهما إلى الحجرة الخاصة بالمفتش

باتل، والذى يجلس خلف منضدة ويبدو أكثر تبلدا عن ذى قبل.

همست السيدة أوليفر إلى السيد بوارو قائلة: "إنه يبدو كأحد التماثيل عند نحات معاصر".

نهض المفتش وصافحهما، ثم جلس وقال:

"لقد ظننت أن الوقت قد حان لعقد اجتماع مصغر؛ فلا شك أنكما تودان أن تعرفا ما الذى توصلت إليه مثلما أود سماع ما توصلتما إليه ـ إننا فقط ننتظر وصول الكولونيل ريس ثم............".

وفى هذه اللحظة، فُتح الباب وظهر الكولونيل ريس، قائلاً:

"أعتذر عن تأخرى أيها المفتش: كيف حالك يا سيدة أوليفر؟ أهلا سيد بوارو؛ أنا آسف جدا لتأخرى عليكم، لكننى سأسافر فى الغد ولدىّ الكثير من الأعمال التى ينبغى تأديتها".

سألته السيدة أوليفر: "إلى أين ستذهب؟".

"إلى رحلة صيد صغيرة ـ فى بلوشستان".

قال بوارو مبتسمًا فى تهكم:

"هناك بعض الاضطرابات فى هذه المنطقة من العالم، أليس كذلك؟ عليك توخى الحرص".

قال ريس بجدية: "أنوى أن أكون كذلك"، لكن عينيه كانت تطرفان وهو ينطق بتلك العبارة.

قال المفتش باتل: "هل لديك معلومات جديدة تفيدنا يا سيدى؟".

"لقد حصلت على معلومات بخصوص ديسبارد. ها هى ......".

ودفع إليه بحزمة من الورق قائلاً:

"هناك الكثير من التواريخ والعناوين، ومعظمها لا يمت للموضوع بصلة، وعلى أى حال، لا يوجد شىء ضده ـ إنه رجل شجاع، وملف خدمته لا تشوبه شائبة، وهو ضابط شديد الانضباط، ومحل ثقة وحب أهالى كل المناطق التى زارها، وفى إحدى المناطق الأفريقية كانوا يطلقون عليه "الرجل الذى يكتم السر ويحكم بالعدل". أما الرأى السائد بين الأقليات البيضاء هناك فهو أنه ضابط نبيل، ومتميز، ورابط الجأش، وثاقب النظر، وجدير بالثقة".

سأل المفتش باتل، غير مبالٍ بهذا الإطراء:

"هل هناك أية حوادث موت مفاجئ ترتبط به؟".

"لقد أوليت هذه النقطة اهتمامًا خاصًا ـ لقد قام بعملية إنقاذ شجاعة، عندما تعرض أحد زملائه لهجوم من قبل أسد أفريقى".

تنهد المفتش وقال:

"أنا لا أبحث عن عمليات الإنقاذ".

"إنك شخص مثابر أيها المفتش. هناك فقط حادثة واحدة تمكنت من الوصول إليها، والتى ربما تناسب ما تعنيه. إنها رحلة داخلية فى أمريكا الجنوبية. وقد اصطحب ديسبارد البروفيسور لَكسمور، عالم النبات المعروف، وزوجته. وقد توفى البروفيسور بسبب الحمى وتم دفنه فى أحراش الأمازون".

"أى نوع من الحمى؟".

"لا أعرف، لكننى سوف أكون صادقا معك. لقد قال أحد

الحمالين المحليين ـ والذى تم طرده بسبب السرقة ـ إنه لم يُتَوَفَّ بسبب الحمى، بل بسبب طلقة رصاص، لكن لم تؤخذ هذه الإشاعة على محمل الجد إطلاقًا".

"ربما حان الوقت لكى ننظر إليها بجدية".

هز ريس رأسه بالنفى.

"لقد أعطيتك الحقائق، لقد طلبت منى البحث عن الحقائق، وأنت تستحق معرفتها، لكنى أختلف معك كثيرا فى أن يكون ديسبارد هو من قام بهذا العمل المشين منذ عدة ليال ـ إنه ضابط نبيل أيها المفتش".

"تعنى أنه غير قادر على القتل؟".

تردد الكولونيل ريس ثم قال:

"غير قادر على ارتكاب ما تسميه جريمة قتل ـ نعم، لكنه ليس كذلك إذا تعلق الأمر بقتل رجل لأسباب تبدو له نبيلة وتستدعى القتل!".

"لو كان يؤمن بهذا، فربما وجد أنه مبررات قتل شايتانا كانت نبيلة وتستدعى القتل!".

هز المفتش رأسه بالنفى وأردف:

"من غير الممكن أن يحكم الإنسان على الآخرين ثم يطبق القانون عليهم بنفسه".

"هذه الأمور تحدث أيها المفتش".

"لا يمكن أن تحدث ـ هذه هى وجهة نظرى. ما رأيك يا سيد بوارو؟".

"أنا أتفق معك يا المفتش؛ أنا أرفض القتل دائما".

قالت السيدة أوليفر: "يا لها من طريقة مضحكة تتناولون بها هذا الموضوع ـ إنكم تتحدثون كما لو أنها رياضة اصطياد ثعالب أو قتل طيور العقاب من أجل الحصول على قبعات، ألا تعتقدون أن هناك أشخاصًا يستحقون القتل؟".

"نعم، من الممكن جدًا".

"من المحتمل".

"أنت لا تفهمين مقصدى. أنا لا أهتم كثيرًا بالضحية وإنما بتأثير الجريمة على شخصية القاتل".

"وماذا عن الحرب؟".

"أنت فى الحرب لا تطبقين حق المحاكمة الشخصية، وهو الأمر الذى يعد غاية فى الخطورة؛ فإذا اقتنع الإنسان بفكرة تقضى بقدرته على معرفة من يستحق الحياة ومن لا يستحقها ـ فهو إذن فى منتصف الطريق الذى سيجعله أخطر قاتل فى العالم ـ وبهذا يصبح المجرم المتغطرس هو الذى يقتل ليس من أجل المال ـ لكن من أجل فكرة".

نهض الكولونيل ريس، ثم قال:

"أعتذر عن عدم استطاعتى البقاء معكم كثيرًا؛ فلدىّ الكثير من العمل الذى يجب تأديته، إننى أرغب فى معرفة نهاية هذه المسألة، لكن لا يجب أن نشعر بالدهشة إذا لم نجد لها نهاية أبدًا؛ فحتى لو توصلتم إلى فاعلها سيكون من المستحيل إثبات تورطه فيها. لقد قدمت لكم كل ما طلبتم من معلومات، لكن ديسبارد فى رأيى ليس هو المجرم ـ ربما يكون شايتانا قد سمع بعض الإشاعات المشوشة بشأن مقتل البروفيسور لكسمور، إلا

أننـى لا أعتقـد أن هناك ما هو أكثر من هـذا فيما يتعلق بتلك القضية. ديسبارد ضابط نبيل، ولا أعتقد أنه قد سبق له وتورط فى جريمة قتل، هذا هو رأيى الشخصى. إننى لدىّ القدرة على فهم الرجال نوعًا ما".

سأل المفتش: "كيف تبدو السيدة لَكسمور؟".

"إنها تعيش فى لندن، لذا يمكنك التحقق منها بنفسك. سوف تجد العنوان مكتوبًا فى أحد هذه الملفات. أظن أنها تعيش فى جنوب كنسنتون، لكننى أكرر: ديسبارد ليس هو المجرم".

غادر الكولونيل ريس الحجرة، وهو يمشى فى حيوية وهدوء شأنه شأن قناص ماهر.

حرك المفتش رأسه متأملًا، بينما كان الباب يغلق خلف ريس.

قال: "يبدو أنه محق؛ فالكولونيل يعرف معادن الرجال، لكن على الرغم من ذلك، لا يمكن التسليم بأى شىء".

ثـم ألقـى نظرة على رزمـة الملفات التى وضعهـا ريس على المكتـب، وأخـذ يدون ملاحظـات بالقلم الرصاص بين الفينة والأخرى على الورق الذى بجواره.

قالت السيدة أوليفر: "حسنا أيها المفتش، ألن تخبرنا بما تفعله؟".

نظر إليها ثم ابتسم، ابتسامة بطيئة حركت وجهه المتبلد يمينا ويسارا، ثم قال:

"إن كل هذا مخالف للقواعد، يا سيدة أوليفر، وأتمنى أن تدركين ذلك".

قالت السيدة أوليفر: "هراء، إننى لم أتخيل للحظة أنك قد تخبرنا بأى شىء لا تريدنا أن نعرفه".

هز المفتش رأسه بالنفى، وقال بشكل حازم:

"لا، الورق على المنضدة ـ هذا هو شعار القضية. وأنا أود التصرف بطريقة عادلة".

جذبت السيدة أوليفر مقعدها بالقرب منه، ثم توسلت إليه قائلة:

"أخبرنا".

قال المفتش بتمهل:

"أولاً، دعينى أخبركم بالآتى: فيما يتعلق بجريمة قتل السيد شايتانا، فإننى حتى الآن لم أصل إلى أى شىء؛ فلا توجد أية إشارة من أى نوع فى أوراقه تقدم لنا مفتاحًا لحل اللغز، وبالنسبة للأربعة الآخرين فلقد تتبعتهم بالطبع، لكن دون الوصول إلى أى نتائج ملموسة، وهو أمر متوقع. وكما قال السيد بوارو، هناك أمل واحد ـ الماضى. علينا أن نحاول اكتشاف ماهية الجرائم بالضبط (هذا إن كانت هناك جريمة من الأساس ـ إذ ربما كان شايتانا يهذى بكلام فارغ لكى يبهر السيد بوارو) التى ارتكبها هؤلاء الناس ـ وربما نتوصل بهذه الطريقة إلى المجرم".

"حسنا، وهل توصلت إلى أى شىء؟".

"لقد اكتشفت خيطًا قد يوصلنى لأحدهم".

"من؟".

"دكتور روبرتس".

نظرت السيدة أوليفر إليه بدهشة لا تخلو من اللهفة.

فقال المفتش:"كما يعلم السيد بوارو، فقد حاولت تطبيق كل أنواع النظريات، وتأكدت بما لا يدع مجالاً للشك من أنه لم يتعرض أحد أفراد عائلته إلى موت مفاجئ. وبحثت فى كل ثغرة قدر استطاعتى، وأدت كل المعلومات إلى احتمال واحد وليس غيره. منذ عدة سنوات أقام روبرتس علاقة طائشة مع إحدى مريضاته - ربما لم تكن علاقة جدية ومن المحتمل أنه لم تكن هناك علاقة من الأساس، لكن المرأة كانت من النوع الهستيرى الذى يعشق اختلاق المشاكل. وما إن علم زوجها بما يجرى - أو لعلها هى من اعترف له، حتى تفاقمت الأمور بين الزوج والطبيب؛ حيث هدده الزوج الثائر بتقديم شكوى إلى المجلس الطبى العام - الأمر الذى يعنى بالتأكيد تدمير حياته المهنية".

سألت السيدة أوليفر بعد أن حبست أنفاسها: "وماذا حدث؟".

"يبدو أن روبرتس استطاع تهدئة الرجل الثائر مؤقتًا - والذى مات بعد ذلك بفترة وجيزة جدًا بمرض الجمرة الخبيثة".

"الجمرة الخبيثة؟ لكنه مرض يصيب الماشية؟".

ابتسم المفتش ابتسامة عريضة، ثم قال:

"بالضبط، يا سيدة أوليفر. هو ليس سهمًا مسممًا بسم لا يمكن أن يكتشفه إلا هنود أمريكا الجنوبية! قد تتذكرين أنه كانت هناك حالة من الفزع بسبب فرش حلاقة رخيصة محقونة بهذه المادة فى هذا الوقت، وقد تم إثبات أن فرشاة

الحلاقة الخاصة بالسيد كرادوك كانت ملوثة بالعدوى".

"هل قام الطبيب روبرتس بعلاجه؟".

"أوه، كلا. هو أكثر ذكاء من أن يفعل هذا - لقد تحداه كرادوك بقوله إنه لا يريده مهما يكن، والدليل الوحيد الذى استطعت الحصول عليه - والذى يعتبر ثمينا بعض الشىء - أنه من بين كل مرضى الأطباء لم تكن هناك حالات إصابة بالمرض فى ذلك الوقت".

"تعنى أن الطبيب قام بتلويث فرشاة الحلاقة بالعدوى؟".

"هذا ما عنيته. ولكن انتبهى - فهذه مجرد فكرة، وليست هناك أدلة إثبات يمكن الاعتماد عليها. إن المسألة مسألة حدس محض، لكنها قد تكون الحقيقة".

"ألم يتزوج الطبيب بالسيدة كرادوك بعد ذلك؟".

"أوه، لا يا عزيزتى، أعتقد أن التعلق كان من جانب المرأة وحدها. لقد نزعت المرأة إلى المشاكسة، كما سمعت، لكنها فجأة سافرت إلى مصر فى سعادة تامة لقضاء فصل الشتاء، وماتت هناك؛ حيث تعرضت للتسمم الدموى لسبب غامض الأمر الذى حظى بشهرة كبيرة، غير أننى لا أعتقد أن هذا قد يوضح لك الكثير؛ فهذا البلد يحفل بالعجائب، وما يعتبر غريبا وشاذا فى بلدنا هذا، يعد أمرًا طبيعيًّا وشائعًا بين سكان مصر".

"لذا، لا يمكن للطبيب أن يكون قد قام بوضع السم لها؟".

قال المفتش بتمهل: "لا أعلم، وقد كنت أتحدث مع صديق لى متخصص فى علم البكتيريا، ولقد وجدت أنه أمر فى غاية

الصعوبة أن تحصل على إجابات واضحة من هؤلاء الناس؛ فهم لا يقولون أبدا نعم أو لا بصورة مباشرة، وإنما يقولون دائمًا: "ربما يكون محتملا تحت ظروف معينة" أو: "قد تتوقف المسألة على الظروف المرضية للمتلقى" أو: "مثل هذه الحالات تعتبر معروفة". إلى آخر هذا الحشو. لكننى استطعت الحصول من صديقى على معلومات تفيد بأن الميكروب، أو الميكروبات من الممكن أن تكون قد تم حقنها فى دم المريضة قبل مغادرتها لبريطانيا. ولم تظهر عليها الأعراض إلا بعد فترة من الوقت بعد سفرها".

سأل بوارو:

"هل تم تطعيم السيدة كرادوك ضد التيفود قبل سفرها إلى مصر؟ فمعظم الناس يتم تطعيمهم، كما أعتقد".

"تخمين موفق، يا سيد بوارو".

"وهل قام الطبيب روبرتس بتطعيمها؟".

"هذا صحيح. وها نحن قد وصلنا إلى نفس النقطة مجددًا ـ لا يمكننا إثبات أى شىء. فقد تم تطعيمها مرتين ـ وربما كانت هذه التطعيمات هى التطعيمات المعروفة لنا ضد التيفود أو لربما يكون أحدها ضد التيفود بينما الثانى كان لشىء آخر؛ إننا لا نعلم، ولن نعلم: فكل شىء هو مجرد افتراض. وكل ما يمكننا قوله هو: ربما".

حرك بوارو رأسه فى إيجاب. ثم قال متأملاً:

"إن كل ما ذكرت يتفق تمامًا مع بعض الملاحظات التى حدثنى بشأنها السيد شايتانا. فقد كان يشيد بالقاتل المحترف

ـ الرجل الذى يستحيل إثبات ارتكابه لجرائمه".

سألت السيدة أوليفر: "وكيف توصل السيد شايتانا لذلك؟".

هز بوارو كتفيه. ثم قال:

"هذا ما لن نعرفه أبدا ـ لقد كان الرجل بنفسه موجودا بمصر فى إحدى المرات ـ ونحن نعلم ذلك ـ حيث قابل السيدة لوريمر هناك. ربما يكون قد سمع بعض الأطباء المحليين يتحدثون بشأن الأعراض الغريبة الخاصة بحالة السيدة كرادوك ـ مثل أنهم كانوا يتساءلون عن كيفية إصابتها بالعدوى. وربما يكون قد سمع بعض الإشاعات بخصوص روبرتس والسيدة كرادوك. ومن المحتمل قيامه بتسلية نفسه بالتلميح ببعض الملاحظات المبهمة للطبيب، وفهم نظرة الدهشة التى بدت فى عينه ـ كل ذلك لا يمكن لأى أحد معرفته. بعض الناس لديهم قدرات غريبة على الغوص فى الأسرار، وكان السيد شايتانا أحد هؤلاء. لكن كل هذا لا يعنينا، علينا فقط القول إنه خمن؛ فهل كان تخمينه صحيحا؟".

قال المفتش: "حسنًا، أظن أنه كان صحيحًا. إننى يخالجنى شعور بأن هذا الطبيب المبتهج الودود لا يملك ضميرًا حيًّا ـ لقد قابلت واحدًا أو اثنين مثله. كم هو رائع تشابه هذا النوع من البشر! فى رأيى، هو شخص قاتل بالفعل. لقد قتل السيد كرادوك، وربما يكون قد قتل السيدة كرادوك حين رآها مزعجة وقد تتسبب له فى فضيحة ـ لكن، هل قتل شايتانا؟ هذا هو السؤال الحقيقى. بمقارنة الجرائم، يتولد لدىّ الشك فى هذا.

فى قصة آل كرادوك، استخدم الطبيب أساليب طبية فى كل مرة، وبدت حالات الوفاة ناتجة عن أسباب طبيعية. وأنا أعتقد أنه لو قام بالفعل بقتل شايتانا، لكان فعلها بإحدى الطرق الطبية. كأن يستخدم سمًّا أو ميكروبًا ـ لكن ليس السكين".

قالت السيدة أوليفر:

"لم أتخيل أبدًا ـ ولو لثانية ـ أنه هو من فعلها؛ فهو شخص شديد الوضوح".

همس بوارو: "دعونا من روبرتس الآن. ماذا عن الآخرين؟"

بدا نفاد الصبر على وجه المفتش وهو يقول:

"لم أصل إلى أى شىء بخصوصهم ـ لقد ترملت السيدة لوريمر منذ عشرين عاما، وعاشت فى لندن معظم حياتها، وأحيانا كانت تسافر للخارج فى فصل الشتاء، إلى الأماكن الحضارية ـ مثل الريفييرا، ومصر، ومثل هذه البلاد. ولا توجد أية حالات وفاة غامضة تتعلق بها. تبدو حياتها عادية ومحترمة ـ حياة امرأة راقية. يحترمها كل الناس ويقدرونها بشدة. وأسوأ ما يمكن أن يقولوه عنها إنها لا تضحك من قلبها! لا أجد شيئا فى الاعتراف بأنى لم أتوصل إلى أى شىء بخصوصها لكن لابد أن هناك شيئًا! كان شايتانا يعتقد ذلك".

تنهد بكآبة، ثم قال:

"وهناك الآنسة ميريديث، والتى حصلت على تاريخها كاملا بمنتهى الوضوح، وهى من نوعية القصص التقليدية فهى ابنة لأحد العسكريين، والذى تركها بالقليل جدا من المال وكان عليها كسب قوت يومها، ولم تكن مدربة على فعل أى شىء

وقد راجعت تاريخها فى تشيلتو نهام. كل الأمور كانت واضحة؛ فالجميع كان حزينًا من أجل الفتاة الصغيرة البائسة. لقد ذهبت فى البداية إلى إحدى العائلات التى تعيش على جزيرة آيل أوف ويت ـ وعملت مربية أطفال وفى مساعدة الأمهات. وقد سافرت السيدة التى كانت تعمل لديها إلى فلسطين. وقد تحدثت مع أختها، والتى قالت إن السيدة إيلدن كانت تحب الفتاة للغاية. وبالطبع لم تحدث حالات وفاة غامضة أو أى شىء من هذا القبيل.

"وعندما سافرت السيدة إيلدن، ذهبت الآنسة ميريديث إلى منزل ديفونشاير؛ حيث عملت مرافقة لعمة إحدى زميلاتها بالمدرسة، وهى الفتاة التى تعيش معها الآن ـ الآنسة رودا دوز، وظلت هناك طوال عامين حتى مرضت السيدة دوز بشدة واحتاجت إلى ممرضة منتظمة مدربة وأعتقد أنها كانت تعانى السرطان، لكنها لا تزال على قيد الحياة ـ رغم ضعفها الشديد ـ وتعتمد على المورفين، حسب ظنى. وقد أجريت مقابلة معها؛ حيث قالت عن آن إنها طفلة لطيفة وأيضا تحدثت مع أحد جيرانها، والذى قد يتذكر بصورة أفضل أحداث السنوات القليلة الماضية. لم تحدث حالات وفاة فى الحى اللهم إلا حالة أو اثنتين لقرويين مسنين، والذين أعتقد أن آن ميريديث لم يكن لها أى احتكاك مع أى منهما.

"وبعد ذلك ذهبت آن إلى سويسرا. ولقد ظننت أننى سأصل لبعض الأحداث الكارثية هناك، لكنى لم أتوصل لشىء، ولا حتى فى وولينجفورد".

سأل بوارو: "إذن: فالآنسة آن ميريديث بريئة؟".

تردد المفتش، ثم قال:

"ما كنت لأقول هذا ـ هناك شيء ما... تبدو في عينيها نظرة ذعر، لكن لا يمكن تأويلها بصورة جازمة على أنها نظرة خوف بسبب جريمة قتل شايتانا ـ إنها متيقظة جدا، تحترس أكثر من اللازم؛ مما يجعلني أقسم بأن هناك شيئًا ما، لكنها على أي حال، قد عاشت حياة بلا مشاكل".

أخذت السيدة أوليفر نفسًا عميقًا ـ نفسًا تملؤه السعادة وقالت:

"على أية حال، لقد كانت آن ميريديث بذلك المنزل الذي تجرعت فيه امرأة السم عن طريق الخطأ ثم ماتت".

لو أن السيدة أوليفر قد ألقت بقنبلة، فربما لم تكن لتحدث نفس التأثير الذي أحدثته كلماتها.

فقد استدار المفتش بالكرسي، وحدق إليها بدهشة عارمة

"هل هذا حقيقي، يا سيدة أوليفر؟ كيف علمت؟".

قالت السيدة أوليفر: "كنت أنقب في الأمر ـ فكرت في الفتاتين، ذهبت إليهما واختلقت قصة واهية عن شكي في الطبيب روبرتس. كانت رودا ودودة ـ أوه، ومتأثرة بي للغاية حيث اعتبرتني من المشاهير، لكن ميريديث الصغيرة كرهت حضوري، وأبدت ذلك صراحة. كانت متشككة ـ لماذا عليها أن تكون كذلك إن لم يكن لديها بالفعل ما تريد إخفاءه؟ طلبت من كلتيهما الحضور وملاقاتي في لندن. فحضرت رودا، وأفشت

السر برمته، وأوضحت لي أن آن تصرفت بحمق معي ذلك اليوم لأن هناك شيئًا ذكرته في حديثي معها ذكرها بحادثة مؤلمة، ثم بدأت بوصف الحادثة".

"هل قالت متى وأين حدث؟".

"منذ ثلاث سنوات في منزل ديفونشاير".

تمتم المفتش قليلًا ـ ثم قام بتدوين شيء ما في ورقته واستعاد هدوءه المتبلد.

جلست السيدة أوليفر سعيدة بانتصارها ـ كانت لحظة لطيفة بالنسبة لها.

قال المفتش مستعيدًا صلابته:

"أنا أخلع قبعتي من أجلك، أيتها السيدة أوليفر. لقد تفوقت علينا هذه المرة؛ فهذه معلومات شديدة الأهمية. وتبين كم أنه هو من السهل أن يغفل المرء عن تفصيلة غاية في الأهمية".

ثم قطب حاجبيه قليلا، وقال:

"من المستحيل تواجدها هناك ـ عندما حدث الأمر ـ لفترة طويلة؛ فقد مر شهران على الأكثر ما بين وجودها في جزيرة ليل ويت، وبين الوصول إلى الآنسة دوز. نعم، يمكن أن تكون هذه المعلومات صحيحة. بطبيعة الحال، فأخت السيدة إيلدن تتذكر فقط أنها سافرت إلى أحد الأماكن في ديفونشاير ـ لكنها لا تتذكر بالضبط أين أو متى".

قال بوارو: "أخبرني، هل كانت السيدة إيلدن هذه امرأة غير منظمة؟".

نظر المفتش إليه في دهشة، ثم قال:

"من الغريب أن تسأل عن هذا يا سيد بوارو! إننى لست أفهم كيف فهمت ذلك، لكن أختها كانت شخصية دقيقة. لقد تذكرت قولها، بينما كنا نتحدث الآن، حيث قالت: "إن أختى مهملة إلى حد بعيد، وغير منظمة". لكن كيف فطنت لهذا؟".

قالت السيدة أوليفر: "لأنها قد احتاجت إلى خادمة".

هز بوارو رأسه بالنفى، ثم قال:

"لا، لا، ليس لهذا السبب. كان سؤالاً عرضيًّا، مجرد فضول منى. استمر أيها المفتش".

استطرد المفتش:

"لقد سلمت بانتقالها إلى الآنسة دوز مباشرة من جزيرة آيل أوف ويت. يا لها من فتاة خبيثة! لقد خدعتنى من البداية وظلت تكذب طوال الوقت".

قال بوارو: "ليس بالضرورة أن يدل الكذب على ارتكاب ذنب".

"أنا أعلم هذا يا سيد بوارو؛ فهناك الكاذب العادى. وعلىَّ أن أقول إنها كانت كذلك، فى الغالب دائما ما كانت تقول ما يبدو أنه الأفضل لها، لكن ما فعلته ـ من إخفاء للحقائق ـ يمثل مخاطرة كبرى".

قالت السيدة أوليفر: "إنها لم تكن تعلم أن لديك فكرة عن الجرائم القديمة".

"هذا هو سبب أكبر منطقى لعدم إخفاء هذه المعلومة البسيطة؛ فمن المنطقى أن تكون هناك حالات وفاة عرضية وعليه فلا يوجد ما تخشاه ـ هذا إن لم تكن أصلاً مذنبة".

قال بوارو: "إذا لم تكن متورطة فى جريمة ديفونشاير، نعم".

استدار المفتش باتل نحوه، قائلاً:

"أوه، أعلم ذلك ـ حتى لو ظهر أن هذه الوفاة العرضية لم تكن كذلك، فهذا لا يعنى أن تكون هى قاتلة شايتانا، لكنها تعتبر جرائم أيضا. إننى أريد أن ألصق الجريمة بمرتكبها".

علق بوارو قائلاً: "طبقا لما قاله شايتانا، فإن هذا الأمر مستحيل".

"هو كذلك فى حالة روبرتس، لكنه أمر يسير فى حالة آن ميريديث. علىّ السفر غدًا إلى ديفون".

قالت السيدة أوليفر: "هل تعلم إلى أين ستذهب؟، فأنا لم أرغب فى الاستفسار من رودا أكثر من ذلك".

"لا، هذه حكمة منك. لن أجد مصاعب كثيرة. يجب أن أتحرى. وسأجد بغيتى فى ملف التحقيقات فى أسباب الوفيات ـ إنه عمل بوليسى تقليدى، وسيتم تجهيز كل هذه المعلومات وكتابتها لى غدا فى الصباح".

سألت السيدة أوليفر: "وماذا عن الرائد ديسبارد؟ هل توصلت لأى شىء بخصوصه؟".

"لقد كنت أنتظر تقرير الكولونيل ريس، لكنى بالطبع قمت بتتبعه. والشىء المثير جدًّا هو أنه ذهب لملاقاة الآنسة ميريديث فى ولينجفورد، تذكر أنه قال إنه لم يسبق له أن قابلها حتى تلك الليلة".

قال بوارو بصوت هامس: "لكن هذه الفتاة شديدة

الجمال".

ضحك المفتش ثم قال:

"نعم، أعتقد أن هذا هو السبب وراء هذه المقابلات، لكن على أية حال، فالرائد ديسبارد لم يترك مجالًا للمصادفات؛ فقد تشاور بالفعل مع أحد المحامين، الأمر الذى يعنى أنه يتوقع بعض المصاعب".

قال بوارو: "إنه رجل طموح، وهو رجل جاهز لكل الاحتمالات".

قال المفتش باتل متنهدًا: "وهو ليس من ذلك النوع الذى قد يطعن رجلا بخنجر على عجل".

قال بوارو: "إلا إذا لم يجد خيارًا آخر، فربما يتصرف بتعجل".

نظر إليه المفتش باتل عبر المنضدة، وقال:

"والآن، ماذا عن أوراقك يا سيد بوارو؟ لم أرك تضع يدك على أحد الخيوط حتى الآن".

قال بوارو مبتسمًا:

"لأنه لا توجد لدىّ خيوط تذكر. هل تعتقد أننى أخفى عنك معلومات؟ ليس الأمر كذلك؛ فلم أصل إلى الكثير من الحقائق لقد تحدثت مع الطبيب روبرتس، ومع السيدة لوريمر، ومع الرائد ديسبارد (لكن علىّ أن أتحدث مع الآنسة ميريديث). ولكن إلى ماذا توصلت؟ توصلت إلى أن الطبيب روبرتس مراقب ثاقب النظر، وأن السيدة لوريمر - على الجانب الآخر - لديها أعلى قدرة على التركيز، لكنها - على الرغم من ذلك - أقل

قدرة على ملاحظة ما يحيط بها، وهى أيضًا مغرمة بالزهور. أما الرائد ديسبارد فإنه لم يلاحظ إلا ما أعجبه، مثل السجاد والميداليات الرياضية؛ فلديه ما أسميه البصيرة الخارجية (رؤية التفاصيل الخارجية وهى خاصية تميز المراقب الجيد) وليست البصيرة الداخلية - التى تعنى، التركيز الذهنى على هدف واحد، إن رؤيته موجهة ومحددة؛ حيث يرى فقط ما يتفق وينسجم مع ميله العقلى".

سأل المفتش فى فضول: "وهل تسمى هذه الأشياء بالمعلومات؟".

"إنها حقائق، لكنها ربما تكون صغيرة جدًّا".

"وماذا عن الآنسة ميريديث؟".

"لقد تركتها للنهاية، لكن علىّ أن أسألها هى الأخرى عما تتذكره فيما يتعلق بمحتويات الحجرة".

قال المفتش مفكرًا: "إنها لطريقة غريبة للوصول إلى الحقائق - طريقة نفسية محضة، ألا تفترض أنهم قد يضللونك؟".

هز بوارو رأسه بالنفى، ثم قال مبتسمًا:

"كلا. هذا ضرب من المستحيل! وسواء حاولوا مساعدتى أم إعاقتى، فلسوف يكشفون بالضرورة عن أنماط تفكيرهم".

قال المفتش متأملًا: "هناك أمر ما فى ذلك، بدون شك، لكن على الرغم من هذا، فأنا لا أستطيع أن أفعل مثلما تفعل".

رد بوارو، وهو لا يزال يبتسم: "أعتقد أننى لم أصل سوى للقليل من المعلومات مقارنة بما قدمته أنت أو السيدة أوليفر

ـ أو حتى الكولونيل ريس؛ ولهذا فإن أوراق اللعب التى أضعها على الطاولة ضعيفة للغاية".

غمز له المفتش بعينه، ثم قال:

"ربما تكون أوراق أعضاء الفريق ضعيفة وهى متفرقة، ولكن لا تزال هناك إمكانية لتحقيق نتائج جيدة إذا تم تجميعها. ومع ذلك، فسوف أطلب منك أداء مهمة فعلية".

"وما هى؟".

"أريدك أن تقابل أرملة البروفيسور لَكسمور".

"ولماذا لا تفعل هذا بنفسك؟".

"لأننى ـ وكما قلت سابقًا ـ سأسافر إلى ديفونشاير".

أعاد بوارو السؤال: "ولماذا لا تفعل هذا بنفسك؟".

"ألا يمكن خداعك ولو مرة واحدة؟ حسنًا، سوف أخبرك بالحقيقة. أعتقد أنك يمكنك الحصول على المزيد من المعلومات منها أكثر من تلك التى يمكننى الحصول عليها".

"لكن أساليبى ستصبح أقل مباشرة؟".

قال المفتش مبتسمًا: "لك أن تجعلها كيفما تريد، لقد سمعت المفتش جاب يقول إن لديك عقلًا منحرفًا".

"مثل الراحل السيد شايتانا؟".

"أتعتقد أنه قد نجح فى انتزاع المعلومات منها؟".

قال بوارو ببطء:

"أعتقد بشدة أنه قد حصل على معلومات منها!".

قال المفتش بحزم: "وما الذى يجعلك تعتقد ذلك؟".

"تعليق قاله الرائد ديسبارد مصادفة".

"هل وقع بلسانه؟ إن ذلك ليس من طبيعته".

"عزيزى المفتش، من المستحيل ألا يزل الإنسان بلسانه، إلا إذا امتنع عن فتح فمه! فالكلام هو قاتل أصحابه".

سألت السيدة أوليفر: "حتى لو كان ما يقولونه كذبًا؟".

"نعم، يا سيدتى، حيث يمكن أن يتضح فى وقت ما أن ما تقولينه كذب".

قالت السيدة أوليفر، بينما كانت تنهض: "أنت تجعلنى أشعر بعدم الراحة".

اصطحبها المفتش إلى الباب ثم صافحها بحرارة، قائلًا:

"لقد أبليت بلاء حسنًا، ولديك قدرة استخبارية أكثر من ذلك البطل الطويل الهزيل السويدى فى قصصك".

قالت السيدة أوليفر مصححة: "الفنلندى! إنه أحمق بالتأكيد ـ لكن هكذا كل الناس. وداعا".

قال بوارو: "أنا أيضا، يجب أن أغادر".

دون المفتش عنوانًا على ورقة، ثم سلمها إلى بوارو، وقال:

"ها هو عنوانها. اذهب وتعامل معها".

ابتسم بوارو قائلًا:

"وماذا تريدنى أن أكتشف؟".

"حقيقة موت البروفيسور لَكسمور".

"عزيزى المفتش! وهل يعرف أحد الحقيقة عن أى شىء؟".

قال المفتش بحزم:

"سأذهب إلى ديفونشاير لمثل هذا الغرض".

همس بوارو:

"إننى أتساءل عما إذا كنت ستجد الحقيقة هناك".

الفصل ٢٠

شهادة السيدة لَكسمور

نظرت الخادمة التى فتحت باب منزل لَكسمور بشمال كنسنتون إلى هيركيول ولم تبد عليها الرغبة فى السماح له بالدخول فأعطاها بطاقته، ثم قال بحزم:

"أعط هذه لسيدتك؛ أعتقد أنها سوف تقابلنى".

كانت هذه أكثر بطاقاته التى يفتخر بها؛ حيث كانت كلمة "محقق خاص" مطبوعة على أحد جوانبها، لقد قام بطبعها بصورة خاصة لغرض إجراء مقابلاته مع ما يسمى بالجنس اللطيف؛ فكل النساء، تقريبًا - سواء بطريقة واعية أم غير واعية - يتلهفن على النظر إلى محقق خاص، ومعرفة ما يريده.

راح بوارو يتأمل قارعة الباب، شاعرا بالضيق، فقد أحس باشمئزاز بالغ من عدم نظافتها.

همس لنفسه: "آه! ألم تكن تستطيع أن تحضر قطعة قماش ومنظف معادن لتنظفها؟".

عادت الخادمة وهى تتنفس بانفعال، وطلبت من بوارو الدخول.

اصطحبته إلى حجرسة فى الطابق الأول - حجرة مظلمة جدًا، وتصدر منها رائحة زهور عطنة، ومنافض سجائر التى لم تنظف بعد. كانت هناك كميات كبيرة من الوسائد الحريرية

ذات الألـوان الغريبة، وكلها تحتـاج للتنظيف، وكانت الجدران خضراء زمردية، والسقف من النحاس المقلد.

كانت هناك امرأة طويلة حسناء، تقف بجوار رف الموقد. خطت إلى الأمام وتحدثت بصوت به بحة شديدة قائلة:

"السيد هيركيول بوارو؟".

انحنى بوارو ـ ليس بطريقته المعتادة؛ فلم يكن يتصرف كرجل أجنبي فقط، بل كأجنبي مبتذل. كانت حركاته مبتذلة تكاد، تكاد تقترب من طريقة السيد الراحل شايتانا.

"ماذا تريد من مقابلتي؟".

انحنى بوارو مرة أخرى، ثم قال:

"هـل تسمحـين لي بالجلوس؟ سـوف يستغرق هـذا بعض الوقت...".

أشارت بانفعال إلى كرسي لكي يجلس عليه، ثم جلست على حافة الأريكة.

"نعم؟ ماذا؟".

"إنني أقـوم بالتحقيق في قضية خاصـة، وأظنك تتفهمين هذا يا سيدتي؟".

كان بوارو يدرك أنه كلما ظهر على أسلوبه التأني والحرص تعاظمت لهفتها لسماع المزيد.

"نعم ـ ماذا؟".

"إنني أحقق في مقتل البروفيسور الراحل لكسمور".

بدا عليها الارتياع، ثم قالت لاهثة:

"لكن لماذا؟ ماذا تقصد؟ وما شأني بهذا الأمر؟".

راقبها بوارو بحرص قبل أن يمضي في حديثه، قائلاً:

"كمـا تعلمـين، يتـم تأليف كتـاب بخصوص حيـاة زوجك العظيـم. والكاتب، بطبيعة الحال، متلهـف لمعرفة كل الحقائق بالضبط. فيما يتعلق بموت زوجك، على سبيل المثال...".

"لقد مات زوجي بسبب الحمى ـ على نهر الأمازون".

اتكأ بوارو على ظهر الكرسي، ثم هز رأسه ببطء، بمنتهى البطء ـ بحركة مملة ومستفزة. ثم قال معترضًا:

"سيدتي، سيدتي...".

"لكني متأكدة! لقد كنت هناك عندما حدث ذلك".

"آه، نعم، بالتأكيد. كنتِ هناك. نعم، معلوماتي تؤكد ذلك".

صرخت قائلة:

"أية معلومات؟".

قال بوارو وهو يحدق إليها بعناية:

"معلومات كان قد أعطاني إياها السيد الراحل شايتانا".

ارتدّت إلى الخلف كما لو أن أحدًا صفعها على وجهها بمضرب، وتمتمت:

"شايتانا؟".

قال بوارو: "إنه رجل يملك مخزنًا هائلًا من المعلومات ـ رجل غير عادي. إن هذا الرجل يعلم الكثير من الأسرار".

تمتمت، بينما كانت تبلل شفتيها بلسانها، وتقول: "أعتقد أنه كان كذلك بالفعل".

مال بوارو للأمام، ثم ربت على يدها وهو يقول:

"كان يعلم مثلا أن زوجك لم يمت بسبب الحمى".

حدقت إلى وجهه، وبدت عيناها أكثر شراسة وتهورًا.

اتكأ للخلف مراقبًا تأثير كلماته عليها.

استعادت رباطة جأشها بصعوبة وقالت:

"لست أفهم... لست أفهم ما تعنيه"، لكنها قالتها بطريقة غير مقنعة على الإطلاق.

قال بوارو: "سيدتى، سوف أتحدث بصراحة. سوف..." ثم ابتسم قائلاً: "سوف أضع أوراقى على المنضدة، لم يمت زوجك بسبب إصابته بالحمى، بل توفى إثر تعرضه لطلقة نارية!".

صرخت قائلة: "أوه!".

غطت وجهها بيديها، واهتز جسمها بعنف. فزعت من هول الصدمة، لكنها كانت ـ فى ركن عميق بداخلها ـ تستمتع بهذه الانفعالات، وكان بوارو متأكدا تماما من هذا.

قال بوارو بلهجة تأكيدية: "وبناء على ذلك، يستحسن أن تحدثينى عن القصة كلها".

غطت وجهها وقالت:

"ليس الأمر كما تتصور".

مال بوارو للأمام مرة ثانية، وربت على يدها مجددًا وهو يقول:

"لقد أسأت فهمى ـ لقد أسأت فهمى بشكل كامل. أنا متأكد جـدًا من أنك لست من أطلق النار عليه ـ إنه الرائد ديسبارد، لكن ذلك كان بسببك".

"لا أعلم، لا أعلم. أنا أظن أننى السبب. كان الأمر برمته

مروعًا جدًّا. لقد مثلت هذه الحادثة فاجعة تلاحقنى".

صاح بـوارو: "نعم، إنـه أمر حقيقى. كـم كان عدد المرات التـى رأيت فيها ذلك؟ هكذا هو الحال مع بعض النساء ـ أينما يذهبن تلاحقهـن الفواجع. لم تكن أخطاءهـن، فهذه الأشياء تحدث رغما عنهن".

أخذت السيدة لَكسمور نفسًا عميقًا، ثم قالت:

"أنت تفهم، أظنك تفهم، لقد حدث كل شىء بشكل طبيعى جدًّا".

"ألم تسافرا معًا إلى داخل البلاد؟".

"نعم. كان زوجى يكتب كتابًا حول النباتات المتنوعة نادرة الوجـود، وقد تعرفنا على الرائد ديسبارد على أنه الرجل الذى يعرف المنطقة جيـدًا ويستطيع تنظيم البعثات الضرورية. وقد أحبه زوجى كثيرا، ثم بدأنا...".

سادت فترة من الصمت. سمح بوارو بأن تستمر دقيقة والنصف، ثم همس كما لو كان يحدث نفسه:

"نعـم، يستطيـع المـرء تصـور الأمر. نهـر متعـرج... ليلة دافئة... همهمـة الحشرات... الرجل القـوى الباسل... المرأة الجميلة.....".

تنهدت السيدة لَكسمور، وهى تقول:

"كان زوجى، بالطبع، أكبر منى بسنوات. لقد تزوجت وأنا طفلة لا تعى ما تفعل...".

هز بوارو رأسه فى حزن، ثم قال:

"أعلم، أعلم. كم تكرر هذا الموقف!".

استكملت السيدة لَكسمور قائلة:

"لم يعترف أى منا بتلك المشاعر، ولم يقل جون ديسبارد أى شىء على الإطلاق ـ لقد كان مثالًا للشرف".

قال بوارو بسرعة: "لكن المرأة دائما تعرف".

"كم أنت محق.... نعم، المرأة تعرف.... لكننى لم أُظهر له أبدا أننى قد علمت. لقد تصرفنا كما يجب أن يتصرف الرائد ديسبارد والسيدة لَكسمور حتى النهاية..... لقد قرر كلانا أن يؤدى دوره كما ينبغى".

صمتت، وقد غرقت فى إعجابها بهذا الموقف النبيل.

همس بوارو قائلا: "هذا صحيح، على المرء أن يلعب دوره حتى النهاية. وكما يقول أحد شعرائكم على نحو ممتاز: "لا أستطيع أن أحبك، يا عزيزى، أكثر من ذلك، إلا إذا أحببت لعبة الكروكيه أكثر".

قالت السيدة لَكسمور مصححة: "بل لعبة الشرف". قالتها بتجهم بسيط.

"طبعا، طبعا، الشرف، إلا إذا أحببت لعبة الشرف أكثر".

همست السيدة لَكسمور: "ربما تكون هذه الكلمات قد كتبت لنا. لا يهم كم كلفنا الأمر، فقد قررنا معًا ألا نقول أبدًا هذه الكلمة القاتلة. ثم...".

قال بوارو فى سرعة: "ثم ماذا...؟".

ارتعدت السيدة لَكسمور وهى تقول: "ثم جاءت تلك الليلة المروعة".

"نعم؟".

"أعتقد أنه كان لا بد أن يتشاجرا ـ أعنى جون وتيموثى. ولقد خرجت من خيمتى... خرجت من خيمتى...".

"نعم... نعم؟".

كانت عينا السيدة لَكسمور، تتسعان وتزدادان سوادًا، كانت ترى الموقف كما لو كان يتكرر أمامها.

كررت مرة أخرى: "خرجت من خيمتى، فوجدت كلا من جون وتيموثى... أوه!" ثم أردفت وهى ترتعد: "لا أستطيع تذكر كل شىء بوضوح. لقد دخلت بينهما ..... كنت أقول لا ، لا، ليس هذا حقيقيا! لكن لم يلتفت إلىّ تيموثى. كان يهاجم جون، واضطر جون لقتله دفاعًا عن نفسه. آه!"، ثم ذرفت دموعها وغطت وجهها بيديها، وقالت: "لقد مات ـ مات بالفعل، إثر طلقة اخترقت القلب".

"كانت لحظة مروعة بالنسبة لك، يا سيدتى".

"لن أنساها أبدًا. كان جون نبيلًا؛ كان على استعداد لتسليم نفسه، لكننى رفضت، ومكثنا نتناقش طوال الليل. فظللت أردد "من أجلى"، وهذا ما اقتنع به فى النهاية؛ فهو بطبيعة الحال لم يكن ليدعنى أتألم.

لقد تخيل الفضيحة التى ستحدث لى، وتجلب أمام عينيه العناوين الرئيسية للصحف والجرائد: *رجلان وامرأة فى الأدغال ـ مشاعر بدائية*.

"ولقد أوضحت كل ذلك لـ جون، ولهذا استسلم فى النهاية، ولم ير الحمالون أو يسمعوا أى شىء؛ فـ تيموثى كان يشكو من الحمى تقريبا. فقلنا إنه توفى بسببها، وقمنا بدفنه بجانب نهر

الأمازون".

تنهدت بعمق، ثم أضافت:

"وبعد ذلك عدنا إلى المدينة ـ وافترقنا للأبد".

"هل كان هذا ضروريًّا، يا سيدتى؟".

"نعم، نعم. لقد حالت وفاة تيموثى بيننا. بالضبط كما كانت حياته ـ بل وأكثر. قمنا بتوديع بعضنا ـ إلى الأبد، وعندما كنت أقابل جون ديسبارد، فى بعض الأحيان، كنا نبتسم، ونتحدث بأدب ـ ولم يخمن أحد أن هناك أى شىء بيننا، لكنى كنت أرى فى عينيه ويرى فى عينىّ أننا أبدًا لن ننسى...".

ثم سادت فترة طويلة من الصمت. أعرب بوارو عن إعجابه بالستائر، لكن دون أن يكسر الصمت.

ثم قال بلهجة أكثر تقليدية: "يا لها من مأساة!".

ردت السيدة لَكسمور قائلة: "لك أن تتفهم يا سيد بوارو، كيف أن الحقيقة يجب أن يتم إخفاؤها".

"سيكون من المؤلم ....".

"بل سيكون من المستحيل؛ فهذا الصديق، أو هذا الكاتب، لن يفضل بالتأكيد أن يدمر سمعة امرأة بريئة بما تعنيه الكلمة. أليس كذلك؟".

همس بوارو قائلا: "أو أن يهدد حياة رجل برىء بما تعنيه الكلمة؟".

"هل ترى الأمر كذلك؟ إننى غاية فى السعادة. لقد كان بريئًا. إن الجرائم العاطفية ليست جرائم حقيقية. وعلى كل، فقد كانت للدفاع عن النفس؛ حيث إنه كان مضطرًا لأن يطلق

النار. لذا، ألست معى يا سيد بوارو فى أن العالم يجب أن يصدق للأبد أن تيموثى مات بسبب الحمى؟".

همس بوارو قائلا:

"أحيانا يكون الكتَّاب فضوليين وقساة القلب".

"هـل يكـره صديقك النساء؟ هـل يريـد أن يتسبب لنا فى معانـاة؟ لكـن عليـك ألا تسمح له بهـذا. ولكـن إذا كان الأمر ضروريـا، فسـوف ألقى باللوم فـى ذلك على نفســى؛ وسأقول إننى أنا من أطلق النار على تيموثى".

انتصبت واقفة، وأرجعت رأسها للخلف.

ونهض بوارو أيضا، قائلا وهو يصافحها:

"كل هذه التضحية الرائعة ليست ضرورية ـ سأفعل ما بوسعى لكى تبقى الحقائق طى الكتمان".

لاح شبح ابتسامة على وجه السيدة لَكسمور، قبل أن تمد يدها، الأمر الذى جعل بوارو فى حيرة من أمره، ولم يدرِ ما إذا كانت تدعوه لتقبيل يدها أم لا، إلا أنه فى النهاية وجد نفسه مضطرا لذلك.

قالـت السيـدة لكسمور: "سيـدة حزينـة تشكرك يـا سيد بوارو".

كأن هذه الكلمة الأخيرة كانت من ملكة معذبة للشخص المفضل لها فى حاشيتها ـ وكان من الواضح أنها إشارة لـ بوارو لكى يخرج. وبالفعل، خرج بوارو.

وبمجرد أن وجد بوارو نفسه فى الشارع، أخذ نفسًا عميقًا.

الفصل ٢١

الرائد ديسبارد

همس بوارو قائلا: "يا لها من امرأة. كم أنت مسكين أيها الرائد ديسبارد! كل هذه المماناة! يا لها من رحلة مرعبة!".

ثم انفجر فجأة فى الضحك.

كان يسير بطول طريق برومبتون رود. ثم توقف، وخلع ساعته، وأخذ يجرى حسبة ما.

قال: "لكن نعم، لدى الوقت. على أى حال لن يضيره الانتظار... أستطيع الآن التفرغ لذلك الأمر البسيط. ما الأغنية التى اعتاد صديقى الشرطى الإنجليزى أن يغنيها ـ منذ متى؟ - منذ أربعين عاما؟ قطعة صغيرة من السكر للطائر".

كان يهمهم بنغمة منسية، ثم دخل متجرًا يبدو عليه الفخامة، متخصصًا بالدرجة الأولى فى الأزياء والحلى النسائية، واتجه إلى ركن الجوارب.

اختار إحدى الآنسات التى بدا عليها الود وعدم الغرور، ثم عرض عليها مطالبه.

قالت البائعة: "جوارب حريرية؟ أوه، نعم، لدينا مجموعة رائعة هنا. إنها جوارب مضمونة من الحرير الخالص".

لوح بوارو بيديه. وأنهى حديثه مرة أخرى بكلمات رقيقة.

وقال: "جوارب حريرية فرنسية؟ أنت تعلمين أنها غالية الثمن".

فقدمت له البائعة العديد من العلب الجديدة.

فقال: "إنها جميلة للغاية يا آنسة، لكن لا تزال هناك خامة أخرى فى ذهنى".

"يوجد مائة مقاس. وبالطبع، لدينا خامات أكثر جودة لكن أخشى أنها قد تصل إلى خمسة وثلاثين شلنًا لكل زوج، كما أنها أقل متانة، تماما كخيوط العنكبوت".

"هى ما أردت ـ هى ما أردت بالضبط".

تأخرت الفتاة لمدة طويلة هذه المرة.

ثم عادت فى النهاية وقالت:

"أخشى أن ثمنها الفعلى هو سبعة وثلاثون قرشًا لكل زوج، لكنها جميلة، أليست كذلك؟".

ثم أخرجتها برقة من مظروف شفاف ـ كان المظروف هو الأكثر شفافية، لأكثر الجوارب رقة.

فقال بوارو: "أخيرًا ـ هذه هى بالضبط!".

"إنها جميلة، أليست كذلك؟ كم زوجًا تريد يا سيدى؟".

"أريد ـ دعينى أفكر، تسعة عشر زوجًا".

كادت الفتاة أن تسقط خلف المنضدة، لكن كثرة تعرضها لأشخاص مستهترين هو ما ساعدها على الاعتدال مرة أخرى، ثم قالت بضعف:

"هناك تخفيض فى حال شراء أربعة وعشرين زوجا".

"لا، أريد تسعة عشر زوجا فقط، وبألوان مختلفة إلى حد ما، من فضلك".

قامت الفتاة بإحضارها وترتيبها فى إذعان، ثم غلفتها

وأعدت الفاتورة.

بعد أن غادر بوارو ومعه المشتريات، قالت الفتاة المجاورة على المنضدة:

"من هى الفتاة المحظوظة! لا بد أنه رجل عجوز بذىء، أوه، حسنا، يبدو أنها أوقعته فى حبائلها بصورة غاية فى البراعة: ثمن الجوارب سبعة وثلاثون قرشًا لكل زوج!".

هرول بوارو عائدًا إلى بيته وقد تقمص شخصية العجوز التصابى، غير عابئ بالنظرة الدونية التى تنظر بها الفتيات الصغيرات للعجائز من الرجال.

ومكث نصف ساعة قبل أن يسمع دقة جرس الباب، ثم دخل ديسبارد الحجرة فى غضون لحظات قليلة.

من الواضح أنه كان يحاول بالكاد تمالك نفسه، ثم سأل:

"ماذا دفعك لزيارة السيدة لكسمور؟".

ابتسم بوارو قائلا:

"كنت أتمنى، كما تعلم، الوقوف على القصة الحقيقية بشأن موت البروفيسور لكسمور".

رد ديسبارد غاضبًا: "القصة الحقيقية؟ وهل تعتقد أن هذه المرأة يمكن أن تخبرك بحقيقة أى شىء؟".

اعترف بوارو قائلًا: "حسنًا، كنت أتعجب من كلماتها بين الفينة والأخرى".

فقال ديسبارد: "أعتقد أنك ستلاحظ ذلك، إن هذه المرأة مجنونة".

قال بوارو: "ليس الأمر هكذا؛ إنها فقط امرأة رومانسية،

هذا كل شيء".

"اللعنة على الرومانسية ـ إنها امرأة كاذبة مائة بالمائة لدرجة أننى أحيانا أعتقد أنها تصدق كذبها".

"أمر محتمل جدا".

"إنها امرأة موهومة، وقد قضيت أوقاتًا عصيبة معها هناك".

"أستطيع تصديق هذا أيضا".

جلس ديسبارد على نحو مفاجئ، ثم قال:

"اسمع يا بوارو، سوف أخبرك بالحقيقة".

"تقصد أن تخبرنى بالرواية الخاصة بك عن القصة؟".

"إن روايتى هى الرواية الحقيقية".

لم يجب بوارو.

مضى ديسبارد فى الحديث بجفاء:

"إننى أدرك تمامًا أنه ليس لدىّ ما أجنيه من اعترافى بهذا الآن، لكننى أخبرك بالحقيقة لأن هذا هو الشيء الوحيد الواجب عمله فى هذه المرحلة. وسواء كنت ستصدقنى أم لا، فهذا أمر يرجع إليك، وليس لدى أى دليل على صحة كلامى".

توقف دقيقة ثم أكمل حديثه:

"لقد قمت بالتنسيق لرحلة البروفيسور لكسمور، والذى كان عجوزًا لطيفًا، وكان مولعًا بالنباتات والطحالب وهذه الأشياء، أما هى فكانت ـ حسنًا، لقد كانت كما رأيتها وأكثر. أضحت الرحلة هذه كابوسا، أنا لم أهتم بهذه المرأة، بل إننى فى الواقع، كنت أمقتها. لقد كانت من النوع العصبى المفعم

بالعواطف، الذى يجعلنى دائما أشعر بمنتهى الحرج. لقد مضى كل شيء فى سلام أول أسبوعين، ثم أجرينا، جميعًا، كشفا عن الإصابة بالحمى، فكانت إصابتى أنا وهى خفيفة... لكن العجوز لكسمور كانت إصابته شديدة للغاية. وفى إحدى الليالى ـ ويجب أن تنصت إلىّ جيدًا هنا ـ كنت أجلس خارج خيمتى، وفجأة رأيت لكسمور يترنح داخل الشجيرات بجوار النهر، وكان منفعلا بشدة وغير واع بما يفعل تقريبا، حتى إنه كان يوشك أن يسقط فى النهر ويلقى حتفه، حيث لن تكون هناك فرصة لنجدته، لعدم توفر وقت كاف للوصول إليه وإنقاذه. فقط شيء واحد هو ما كان يمكننى فعله، حيث كانت بندقيتى بالقرب منى كما هو معتاد، فانتزعتها وصوبتها فأنا رام حاذق، وكنت متأكدا من قدرتى على إصابة الرجل بالتصويب نحو قدمه. لكن عندئذ، وبمجرد أن بدأت فى التصويب ـ ألقت السيدة الحمقاء بجسدها فوقى، وهى تصرخ قائلة: "بالله عليك، لا تطلق النار". وأمسكت بذراعى وهزته بعض الشيء، بمجرد أن خرجت الطلقة ـ وكانت النتيجة أن أصابته الطلقة فى ظهره وقتلته!.

"يمكننى أن أقول لك إنها كانت لحظة مريعة، وهذه المرأة الحمقاء اللعينة لم تفهم ما فعلته. وبدلا من أن تدرك أنها هى المسئولة عن وفاة زوجها، فقد كانت مؤمنة تماما بأننى حاولت إطلاق النار عليه بدم بارد ـ حبًا فيها. كان علينا التعامل مع المشهد المهول ـ أصرت على ضرورة الادعاء بأنه مات بسبب الحمى. كنت أشعر بالحزن من أجلها، خاصة أنها لم تستطع

إدراك ما فعلته. لكنها استطاعت تخيل ما قد يحدث لو تسربت الحقيقة! كما أن إيمانها التام بأننى متيم بها قد سبب لى نوعًا من الصدمة. كذلك فإنه لو أشاعت هـذه الفكرة لتسببت فى العديد مـن المشكلات. فى النهاية، وافقـت على تنفيذ رغبتها ـــ بصـورة جزئية ـ تجنبًا لحـدوث المشـاكل، وأعترف بذلك لكـن وبعـد كل ذلك، لم يعـد الأمر يختلـف كثيرا، سـواء كان السبب حمى أو حادثًا، كما أننى لم أكن أرغب فى تشويه سمعة المـرأة، حتى ولو كانت بلهـاء لعينة. لقد أعلنت فى اليوم التالى أن البروفيسـور مـات متأثرًا بالحمـى وأننا قمنـا بدفنه. لكن الحمالـين كانوا بالطبـع يعرفون الحقيقة؛ لأنهـم كانوا جميعا يعملـون مجاملـة لى وكنت أعلـم أنهم سيلتزمون بمـا قلته إذا اقتضـت الحاجة، فقمنـا بدفن العجـوز المسكـين لَكسمور ثم رجعنـا إلى المدينة. ومن وقتها، قضيت وقتًا طويلًا فى مراوغة المرأة".

توقف قليلًا، ثم استكمل قائلًا:

"وهذه هى روايتى يا سيد بوارو".

قال بوارو ببطء:

"هل هذه هى الحادثة التى أشار إليها السيد شايتانا على العشاء فى تلك الليلة، أم ماذا تعتقد؟".

أومأ ديسبارد برأسه موافقًا، وقال:

"لا بد أنه سمعها من السيدة لَكسمور؛ فمن السهل جدا إخراج القصة منها. وقد أعجبه هذا الأمر".

"ربما كان أمرًا خطيرًا بالنسبة لك أن تقع مثل هذه القصة

فى يد رجل مثل شايتانا".

هز ديسبارد كتفيه فى لامبالاة، وقال:

"لم أكن خائفًا من شايتانا".

لم يجب بوارو.

واستكمل ديسبارد بهدوء:

"سيكون عليك هنا أيضًا أن تصدق روايتى دون إثبات. إننى أعلم أنه أمر منطقى أن يكون لدىّ دافع لقتل شايتانا، لكنى أخبرتك بالحقيقة، ولك أن تقبلها أو ترفضها".

أمسك بوارو يده، قائلا:

"سوف أقبلها، أيها الرائد ديسبارد. وليس لدىّ شك فى أن تحدث كل هذه الأشياء فى أمريكا الجنوبية بالضبط، وبالصورة التى رسمتها".

أشرق وجه ديسبارد، الذى قال بدوره فى إيجاز:

"شكرا".

ثم صافح بوارو بحرارة.

الفصل ٢٢

شهادة من كومبيكر

كان المفتش باتل يجلس فى مركز شرطة كومبيكر.

وكان المفتش هاربر، ذو الوجه الأحمر، يتحدث بلكنة أهالى ديفونشاير البطيئة الظريفة قائلا:

"وهكذا بدا الأمر، يا سيدى، واضحًا كالشمس؛ فالطبيب كان راضيًا عن ذلك التشخيص، وكان الجميع راضين عن تشخيصه أيضًا. ولماذا لا يقتنعون بتشخيصه ولا يوجد أى شيء مثير للريبة؟".

"أخبرنى فقط بحقيقة الزجاجتين؛ فأنا أريد أن أقف على ذلك بوضوح".

"كانت الزجاجة ـ زجاجة شراب التين ــ والتى اعتادت السيدة تناولها بانتظام، كما يبدو. وكان هناك أيضا طلاء القبعة الذى كانت تستخدمه هى أو وصيفتها الشابة، فى تلميع قبعة الحديقة. كانت هناك كمية كبيرة متبقية فى الزجاجة عندما انكسرت، وقالت السيدة بنسون بنفسها: "ضعيها فى هذه الزجاجة القديمة ـ زجاجة شراب التين"، وصار كل شيء على ما يرام، وقد سمعتها الخادمة، ووافقت كل من الآنسة ميريديث، والخادمة وخادمة الاستقبال على ذلك. وقد قامت بوضع الطلاء فى زجاجة شراب التين القديمة، والتى تم وضعها على الرف الأعلى فى دورة المياه مع غيرها من أكياس

وزجاجات".

"ألم يوضع فوقها ملصق جديد؟".

"لا، طبعا بسبب الإهمال؛ وقد علقّ الطبيب الشرعى على ذلك".

"أكمل".

"وفى تلك الليلة، دخلت الفقيدة دورة المياه، وأمسكت بالزجاجة، وتناولت جرعة كبيرة منها، وبعد أن أدركن ما فعلته، أرسلن لطلب الطبيب فى الحال. كان الطبيب فى الخارج من أجل حالة أخرى، واستغرقت السيدات بعض الوقت من أجل الوصول لمكانه ـ لقد بذلن قصارى جهدهن، لكنها ماتت".

"هل اقتنعت الآنسة آن أنه كان حادثًا عارضًا؟".

"أوه، نعم ـ فقد اقتنع الجميع بذلك، حيث كان واضحا أنه تم امتزاج ما بالزجاجة نوعا ما، وكان الافتراض الذى ساد هو أن الخادمة هى من قامت بذلك عندما سقطت الزجاجة، لكنها أقسمت أنها لم تفعل".

كان المفتش يفكر صامتًا، إن مثل هذه المسألة البسيطة بأن تسقط زجاجة من على الرف، ويتم استبدالها بأخرى من الصعب جدًّا معرفة مصدر الخطأ فى ذلك؛ فالتعامل مع الزجاجة باستخدام قفاز أمر محتمل. وعلى كل؛ فقد تكون البصمات الأخيرة على الزجاجة خاصة بالسيدة بنسون نفسها. نعم، إنه أمر بسيط للغاية وسهل للغاية، لكنه مع ذلك قد يكون جريمة قتل! جريمة كاملة.

لكن لماذا؟ هذا ما كان يحيره ـ لماذا؟

سأل قائلا: "ألم ترث هذه الفتاة الوصيفة ـ آن ميريديث ـ مالًا بعد وفاة السيدة بنسون؟".

هز المفتش هاربر رأسه بالنفى، وهو يقول:

"لا، لقد مكثتْ هناك فقط ستة أسابيع. أعتقد أنها كانت مهنة صعبة؛ فعادة لم تكن الفتيات يمكثن طويلا".

كان المفتش باتل لايزال متحيرًا. لم تكن الفتيات يمكثن طويلًا... كانت السيدة بنسون امرأة صعبة بصورة جلية، لكن لو كانت آن ميريديث غير سعيدة، لغادرت المنزل مثلما فعلت سابقاتها؛ فلم تكن هناك حاجة لقتلها ـ إذا لم تكن هناك نزعة انتقامية تامة ومفرطة. هز رأسه بالنفى، لا يبدو هذا التحليل صحيحًا.

"من الذى ورث مال السيدة بنسون؟".

"لست متأكدًا يا سيدى. أعتقد أنهم أبناء وبنات إخوانها، لكنها لم تكن ثروة كبيرة عندما تم تقسيمها، ولقد سمعت كيف أنها كانت تدفع معظم دخلها الشهرى مرتبات لهؤلاء".

إذن ليس هناك من شىء، لكن السيدة بنسون قد ماتت، ولم تخبره آن ميريديث عن أنها كانت فى كومبيكر.

يعد الأمر كله غير مرض إطلاقًا.

قام المفتش باتل بإلقاء بعض الأسئلة الجادة والفاحصة. كان الطبيب متأكدا وواضحا للغاية عندما قال إنه لم تكن هناك أية أسباب للتفكير فى أنها لم تكن إلا مجرد حادثة. كانت الآنسة ـ لم يتذكر اسمها ـ لطيفة لكن بائسة للغاية

وفـى منتهى الحزن والكآبـة، وكان هناك رجل دين. تذكر آخر وصيفات السيدة بنسون، وهى فتاة لطيفة يبدو عليها التواضع. كانـت تذهب دائما إلى دار العبادة مع السيدة بنسون، ولم تكن السيـدة بنسون متشددة جدا، لكنها كانت حادة فى تعاملها مع الشباب، فقد كانت شديدة التزمُّت.

تباحث المفتش مع رجل أو اثنين، لكن دون أن يصل إلى نتيجة. كانوا بالكاد يتذكرون آن ميريديث، فقد عاشت فيما بينهم شهورًا قليلة ـ ليس إلا. وليست شخصيتها بالقوة التى تترك انطباعًا دائمًا لدى الآخرين، وكان الوصف المقبول لها هو أنها فتاة صغيرة ولطيفة.

لكن السيدة بنسون تجلت شخصيتها بوضوح أكثر: امرأة ترى فى نفسها الصلاح، وكانت تعامل رفقاءها بخشونة وكثيرًا ما تقوم بتغيير خدمها، امرأة مزعجة ـ هذا كل شىء.

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد غادر المفتش ديفونشاير يخالجه اعتقاد جازم ـ لسبب غير معروف ـ بأن آن ميريديث قد قتلت سيدتها عن عمد.

الفصل ٢٣

دليل زوج الجوارب الحريرية

فى الوقت الذى كان فيه المفتش باتل يستقل القطار المتجه إلى شرقى إنجلترا، كانت كل من آن ميريديث ورودا دوز تجلسان فى حجرة هيركيول بوارو.

لم تكن آن راغبة فى قبول الدعوة التى وصلتها عبر البريد الصباحى، لكنها أذعنت لنصيحة رودا.

قالت رودا: "أنت جبانة يا آن. نعم، جبانة. ليست هناك من فائدة فى أن تكونى مثل النعام، يدفن رأسه فى الرمال؛ فهناك جريمة قتل، وأنت أحد المشتبه فيهم ـ ربما تكونين أقلهم شبهة لكن...".

قالت آن بلمحة فكاهية: "ربما يكون ذلك هو الأسوأ؛ فدائمًا يكون الشخص الأقل اشتباها به هو الجانى".

استكملت رودا، والتى لم تنزعج من المقاطعة، قائلة: "لكنك أحد هؤلاء، ولا جدوى من وضع أنفك فى السماء كما لو أن جريمة القتل ذات رائحة كريهة، وليس لك أية علاقة بها".

قالت آن بإصرار: "ليست لى علاقة ـ أعنى أننى أوافق تمامًا على الإجابة عن الأسئلة التى ترغب الشرطة فى طرحها علىّ، لكن هذا الرجل، هيركيول بوارو، إنه دخيل".

"وماذا سيظن إذا تملصت وحاولت التهرب بهذه الطريقة؟ إنه سوف يعتقد أنك أنت الجانية".

قالت آن ببرود: "أنا لست الجانية بالتأكيد".

"حبيبتى. أنا أعرف ذلك، فلا يمكنك قتل أى شخص حتى إذا ما أردت ذلك - إلا أن الغرباء المتشككين المرعبين لا يعرفون ذلك. أعتقد أننا يجب أن نذهب معًا فى رحلة لطيفة لمنزله، وإلا، سيأتى إلى هنا ويحاول أن يدفع الخدم للثرثرة عن الأمر".

"ليس لدينا خدم".

"لدينا السيدة آستويل، وهى التى يمكنها أن تثرثر مع أى إنسان! هيا يا آن، دعينا نذهب، سيكون هناك الكثير من المرح".

قالت آن فى عناد: "لا أفهم لماذا يريد أن يقابلنى".

ردت رودا فى نفاد صبر: "لكى يسلم شخصا ما إلى الشرطة بالطبع، إنهم دومًا يفعلون ذلك - أعنى المحققين المستقلين. إنهم يجعلون كل رجال سكوتلانديارد يبدون أغبياء وبلا عقل".

"هل تعتقدين أن هذا الرجل بوارو ماهر؟".

قالت رودا: "إنه لا يبدو مثل شيرلوك هولمز. لكننى أعتقد أنه كان ناجحًا فى عمله وقت أن كان شابًّا، فلا بد أنه قد تجاوز الستين من العمر. أوه، هيا يا آن. دعينا نذهب ونقابل هذا الرجل العجوز؛ فربما أخبرنا بأشياء مروِّعة عن الآخرين".

قالت آن: "حسنًا"، ثم أضافت: "هل تستمتعين بكل ما يجرى يا رودا؟".

قالت رودا: "أعتقد أن ذلك يرجع إلى أننى لستُ المتهمة

إنك ساذجة يا آن، ساذجة لدرجة تجعلك لا تستطيعين أن تعرفى اتجاه الريح؛ فلو كانت لديك قوة الملاحظة، ولو أنك رفعت عينيك عن طاولة اللعب فى اللحظة المناسبة، لربما رأيت القاتل".

انتهى الأمر إلى أنه بحلول الساعة الثالثة من عصر ذلك اليوم، كانت رودا دوز وآن ميريديث تجلسان على مقعدين فى حجرة بوارو المنظمة ويحتسيان عصير التوت (والذى تكرهانه بشدة، إلا أنهما كانتا على قدر من التهذيب منعهما من الرفض) من أكواب عتيقة الطراز.

وكان بوارو يقول: "لقد كان غاية فى اللطف منكما أن تستجيبا لطلبى وتأتيا".

غمغمت آن قائلة وقد تداخلت كلماتها معا: "أنا متأكدة من أننى سأكون سعيدة لخدمتك بأية وسيلة تراها".

"إن الأمر يتعلق بالذاكرة إلى حد ما".

"الذاكرة؟".

"نعم، فقد سألتُ تلك الأسئلة للسيدة لوريمر وللدكتور روبرتس وللرائد ديسبارد. إلا أن أحدا منهم لم يعطنى الإجابة التى أريدها، للأسف".

استمرت آن فى التطلع إليه بتساؤل، فتابع قائلًا:

"أريد يا آنستى، أن ترجعى بذاكرتك إلى الوراء، إلى تلك الليلة فى حجرة طعام منزل السيد شايتانا".

ظهرت ظلال الضجر على وجه آن وهى تفكر فى أنها لن

تتحرر أبدا من هذا الكابوس!

ولاحظ بوارو تعبير وجهها، فقال فى تعاطف:

"أعلم، يا آنستى، أعلم. إنه أمر صعب، أليس كذلك؟ هذا طبيعى جدًا؛ فأنت لأول مرة تتعرضين لمثل هذا الأمر المخيف وأنت فى سنك الصغيرة هذه. من المحتمل أنك لم تعرفى أو ترى جريمة قتل على الإطلاق".

تحركت قدما رودا فى ضيق على أرض الحجرة.

وقالت آن: "حسنًا؟".

"ارجعى بذاكرتك للخلف. أريدك أن تقولى لى ما تتذكرينه عن الحجرة".

حدقت آن فيه بشك، قبل أن تقول:

"لا أفهم!".

"لا، بل تفهمين ـ المقاعد والمناضد والتحف وورق الحائط والستائر وأدوات تقليب المدفأة. لقد رأيتها كلها، فهل تستطيعين أن تصفيها؟".

قالت آن فى تردد وقد عقدت حاجبيها: "أوه. لقد فهمت إنه أمر صعب، فأنا لا أعتقد حقا أننى أذكر، ولا يمكننى القول ماذا كان شكل ورق الحائط. أعتقد أن الحائط كان مطليا ـ كان اللون غير واضح. وكانت هناك سجاجيد على الأرض، كما كان هناك بيانو"، ثم هزت رأسها وقالت: "لا أستطيع فعلا أن أتذكر المزيد".

"لا. أنت لا تحاولين أن تتذكرى يا آنستى؛ فمن الطبيعى أن تتذكرى شيئا ما، تحفةً ما، قطعة أثاث مميزة!".

قالت آن فى بطء: "أذكر أنه كانت هناك علبة مجوهرات مصرية الطراز ـ كانت موضوعة بالأعلى عند النافذة".

"أوه. نعم. فى الطرف الآخر من الحجرة البعيد عن المائدة، التى كان الخنجر عليها!".

نظرت إليه آن، وقالت:

"لا أذكر أية مائدة كان ذلك الخنجر عليها".

علق بوارو قائلا لنفسه: "لم يكن ذلك غباءً، ولن يكون هيركيول بوارو بهذا الغباء! لو أن تلك الفتاة تعرفنى جيدًا لأدركت أننى ما كنت لألقى بكذبة كبيرة حمقاء مثل هذه!".

ثم قال بصوت مرتفع: "كنت تقولين علبة مجوهرات مصرية؟".

أجابت آن فى شىء من الحماس:

"كان بعضها لطيفا، وكانت ذات ألوان زرقاء وحمراء، وكانت لامعة، وكان بها خاتم أو اثنان لطيفان. كذلك كانت هناك خنافس سوداء، إلا أننى لم أحبها كثيرا".

غمغم بوارو قائلا: "لقد كان السيد شايتانا جامع تحف متميزًا".

قالت آن مؤمنة على كلامه: "لا ريب أنه كان كذلك ـ لقد كانت الحجرة مليئة بالأشياء النفيسة، لدرجة أن المرء لا يستطيع أن يتأملها كلها".

"إذن، ألا يمكنك أن تتذكرى شيئا جذب انتباهك بصفة خاصة؟".

ابتسمت آن قليلاً، وهى تقول:

"فقط مزهرية من الأقحوان، كانت فى أمس الحاجة إلى تغيير مائها".

"آه، نعم. ففى العادة، لا يُولى الخدم عناية خاصة لهذه الأشياء".

صمت بوارو للحظة أو اثنتين، قبل أن تسأله آن فى حياء:

"أخشى أننى لم ألحظ ما كنتَ تريد أن أكون قد لاحظته".

ابتسم بوارو فى عطف، وقال:

"لا يهم يا طفلتى. لقد كان الأمر بالفعل خارج نطاق المصادفة. أخبرينى، هل رأيتِ الرائد ديسبارد المحترم مؤخرا؟".

رأى حمرة الخجل ترتفع على وجهها، وهى تقول:

"لقد قال إنه سيأتى ليزورنا مرة أخرى قريبا".

وقالت رودا فى اندفاع:

"ليس هو من ارتكب الجريمة، على أية حال! آن وأنا متأكدتان تماما من ذلك".

نظر بوارو إليهما وعيناه تلتمعان، قبل أن يقول:

"يا له من حظ ــ أن يُقنع المرء مثل هاتين الفتاتين الصغيرتين اللطيفتين ببراءته".

قالت رودا فى نفسها: "أوه، يا إلهى! إنه سوف يتحدث مثل الفرنسيين الرومانسيين، وسيكون ذلك أمرًا محرجًا جدًا لى".

ونهضت وبدأت فى تأمل بعض الرسومات المحفورة على الحائط، وقالت:

"إنها رائعة".

قال بوارو: "ليست سيئة".

وتردد قليلاً، وهو ينظر إلى آن، قبل أن يقول أخيرا:

"آنستى، إننى أتساءل عما إذا كان بإمكانى أن أطلب منك أن تقدمى لى خدمة ـ أوه، لا علاقة لها بالجريمة. إنه أمر خاص وشخصى".

بدت آن مندهشة قليلاً، فيما تابع بوارو كلامه بأسلوب يشوبه الإحراج:

"إن رأس السنة على وشك القدوم، ويجب أن أشترى هدايا لبنات إخوتى وحفيداتى، ومن الصعب قليلًا أن أعرف ماذا تفضل الفتيات الصغيرات هذه الأيام، فذوقى، للأسف، عتيق جدًا".

قالت آن فى لطف: "نعم؟".

"جوارب حريرية ـ هل الجوارب الحريرية الآن هدية لطيفة؟".

"نعم، بالتأكيد. من اللطيف دوما أن تتلقى الفتاة جوارب كهدايا".

"لقد أرحت بالى. سأطلب منك خدمة، فقد اشتريتُ مجموعة مختلفة الألوان. إنها تتكون، حسبما أذكر، من حوالى خمسة عشر أو ستة عشر زوجا. هل يمكنك أن تتلطفى وتفرزيها وتحددى لى أفضل ستة أزواج منها؟".

قالت آن وهى تنهض ضاحكةً: "بالتأكيد".

قادها بوارو إلى ركن فى جدار الحجرة ـ حيث كانت توجد

منضدة غريبة بسبب تنوع الأشياء التى كانت تحملها. إلا أنها كانت بعيدة تماما عن النظام والترتيب المشهور بهما هيركيول بوارو، وهى الصفة التى كانت تعرفها آن عنه. كانت هناك جوارب موضوعة فى أكوام غير منظمة ـ بعض القفازات الفرو ـ تقاويم ـ علب حلوى.

قال بوارو شارحًا: "إننى أرسل هداياى مبكرًا جدًا. ها هى الجوارب يا آنستى، وأرجوك أن تختارى منها ٦ أزواج".

واستدار معترضا طريق رودا التى كانت تتبعه، وقال:

"أما بالنسبة للآنسة هنا، فقد أعددتُ لها هدية بسيطة ـ هدية لن تروق لك يا آنسة ميريديث، حسبما أعتقد".

صاحت رودا: "ما هى؟".

قال بوارو خافضا صوته:

"سكين، يا آنستى، استخدمها اثنا عشر رجلًا فى قتل أحد الأشخاص، لقد حصلتُ عليها هدية من الشركة الدولية لعربات النوم".

صاحت آن: "فظيع".

أما رودا فقالت: "أووه! دعنى أرها".

قادها بوارو إلى حجرة أخرى، وهو يواصل كلامه قائلًا:

"لقد حصلتُ عليها من الشركة الدولية لعربات النوم لأن...".

وخرجا من الحجرة.

وعادا بعد ثلاث دقائق، وجاءت آن نحوهما، وقالت:

"أعتقد أن هذه الأزواج الستة هى الأجمل ـ هذان الزوجان مناسبان جدا للمساء، أما هذه، ذات اللون الأخف، فستكون مناسبة عند مقدم الصيف؛ حيث تطول ساعات النهار".

"شكرا جزيلا يا آنستى".

وقدم لهما المزيد من العصير، وهو ما رفضتاه، وفى النهاية رافقهما إلى الباب، وهو لا يزال يتكلم بلطف.

وعندما غادرا أخيرا، ذهب إلى الحجرة، وتوجه من فوره إلى المائدة المبعثرة. وكانت الجوارب لا تزال مبعثرة فى أكوام، فقام بوارو بعد الأزواج الستة، وبعدها قام بعد الأزواج الأخرى.

كان قد اشترى تسعة عشر زوجًا، والآن لا يوجد إلا ستة عشر فقط.

فهز رأسه فى بطء.

الفصل ٢٤

استبعاد ثلاثة قتلة

عندما وصل المفتش باتل إلى لندن، اتجه مباشرة إلى بوارو. وكانت آن ورودا قد خرجتا لتوهما منذ ساعة أو أكثر.

وعلى الفور قام المفتش بسرد نتيجة أبحاثه فى ديفونشاير. وأنهى حديثه بقوله: "هناك شيء غامض بخصوص هذا الحادث - لا شك فى ذلك، وهذا ما كان يهدف إليه شايتانا من ترتيبه لتلك الأمسية. لكن ماذا يكون الدافع، لماذا رغبت آن ميريديث فى قتل المرأة".

"أظن أن بإمكانى مساعدتك فى هذه النقطة، يا صديقى".

"تفضل يا سيد بوارو".

"ظهر اليوم، أجريت بعض التجارب؛ حيث أغريت الآنسة وصديقها بالحضور إلى هنا. ووجهت إليهما أسئلتى العادية التى على شاكلة: ماذا كان يوجد فى الحجرة هذه الليلة".

نظر إليه المفتش بفضول، قائلا:

"إنك شديد الحرص على طرح هذا السؤال".

"نعم، إنه مهم؛ فهو يمدنى بمعلومات قيمة. كانت الآنسة ميريديث مفعمة بالشك، لدرجة كبيرة، ولم تسلم بأى شيء - هذه الشابة الصغيرة؛ ولهذا قام الصياد العجوز - هيركيول بوارو - بواحدة من أفضل حيله. ذكرت الآنسة صندوق

مجوهـرات، فسألتهـا إن كان مكان هذا الصنـدوق عند نهاية الحجـرة المقابلـة للمنضـدة التى عليهـا الخنجـر. لم تسقط الآنسـة فى الفخ، وإنما تجنبت هذا بمهارة. وبعد ذلك، شعرت بالاطمئنـان وبدأ حذرها فى التلاشى. وهذا هو غرض الزيارة - إجبارها على الاعتراف بأنها كانت على علم بمكان الخنجر وبأنهـا لمحته! وقد ارتفعـت روحها المعنوية عندمـا شعرت أنها أحبطتنـى؛ حيـث تحدثت بحريـة تامة عن المجوهـرات، حيث سـردت الكثـير مـن تفاصيلها. لم يكـن هناك شـىء آخر فى الحجـرة تذكرته - فيما عدا مزهرية بهـا زهرة أقحوان كانت تحتاج لتغيير مائها".

قال المفتش: "وماذا فى ذلك؟".

"حسنـا. إنه أمر مهم، ولأننـا لا نعلم شيئا عن هذه الفتاة فـإن حديثها قد أعطانا مفتـاح شخصيتها: إنها تلحظ الزهور إذن. هـل هــى مغرمة بالزهـور؟ لا، لأنها لم تذكـر الكثير عن نباتـات التيوليب، والتى تجذب انتباه محبى الزهور. لا، إن من يتحدث هى الفتاة التى تعتنى بالزهور - الفتاة التى يتوجب عليها تغيير الماء فى الزهريات. إذن، هى فتاة تحب وتلاحظ الأشياء الثمينـة كالمجوهرات، ألا يوحـى ذلك، على الأقـل، بشىء؟".

قال المفتش: "آه، بدأت أفهم ما تعنيه".

"تماما. كما أخبرتك منذ أيام، إننى أضع أوراقى على الطاولة. وعندما سردت أنت تاريخها منذ أيام، وألقت السيدة أوليفر بالمفاجأة المدوية، فكرت فى الحال فى نقطة مهمة: لا يمكن أن يكون القاتل قد ارتكب الجريمة من أجل المال؛ لأن

الآنسة ميريديث مازالت تعمل لكسب قوت يومها بعد الحادث. فلماذا، إذن؟ فكرت فى حساسية الآنسة ميريديث البالغة والتى بدت سطحية، إنها فتاة جبانة جدًا، وفقيرة، لكنها متأنقة، ومغرمة بالأشياء الجميلة... الحساسة، وهى صفات تتطابق مع سارق، وليس قاتلا وقد سألت فى الحال عما إذا كانت السيدة إيلدن امرأة مرتبة، فأجابت بالنفى، لم تكن مرتبة. وقد توصلت إلى نظرية. افترضت أن آن ميريديث كانت فتاة لديها ضعف فى شخصيتها - فتاة تسرق أشياء قليلة من المتاجر الكبيرة. وعلى افتراض أنها فقيرة وتحب الأشياء الجميلة، فقد مدت يدها مرة أو اثنتين إلى أشياء من ممتلكات مخدومتها. بروش، ربما، عملة غريبة تساوى شلنين والنصف أو عملتين، أو عقد من الخرز. ولما كانت السيدة إيلدن مهملة، وغير مرتبة، فربما عزت اختفاء مثل هذه الأشياء إلى إهمالها الشخصى، ولن تشك فى خادمة والدتها الصغيرة اللطيفة. لكن، والآن، لنفرض أن الآنسة ميريديث قد عملت لدى نوعية مختلفة من النساء - لنقل مثلاً لدى امرأة لاحظت ما تفعله آن واتهمتها بالسرقة. وحينها سيصبح هناك دافع محتمل للقتل. وكما قلت منذ بضع ليال، فإن الآنسة ميريديث قد ترتكب جريمة قتل فقط بدافع الخوف. لقد علمت أن مخدومتها سوف تتمكن من إثبات جريمة السرقة، ولم يعد هناك سوى شىء واحد يمكن أن ينقذها: يجب أن تموت سيدتها. ولذلك قامت بتغيير الزجاجات، وهكذا تموت السيدة بنسون - والمثير للسخرية هو أنها ماتت مقتنعة بأن الغلطة كانت غلطتها، ولم تشك للحظة

فى أن الفتاة الخائفة المرتعدة هى من فعل ذلك".

قال المفتش: "ذلك محتمل، وهو مجرد فرضية، إلا أنها محتملة".

"إنه أمر أكثر من محتمل، يا صديقى ـ بل أيضا ممكن. لأنه فى هذه الظهيرة، قمت بنصب فخ مفر ـ الفخ الحقيقى ـ بعد الآخر المزيف الذى تم إحباطه. قلت لنفسى لو كان ما أشك فيه حقيقيًا، فلن تقوَ آن ميريديث أبدًا على مقاومة زوج من الجوارب باهظ الثمن! لقد طلبت منها مساعدتى، وتركتها تدرك بحرص أننى لست متأكدًا تمامًا من عدد الجوارب الموجودة هناك. ثم خرجت من الحجرة تاركًا إياها وحدها ـ وكانت النتيجة، يا صديقى، أننى الآن لدى سبعة عشر زوجًا من الجوارب، بدلاً من تسعة عشر، وقد اختفى الزوجان الباقيان فى حقيبة آن ميريديث".

صفر المفتش قائلاً: "يا إلهى، يا لها من مجازفة".

"ليست مجازفة كبيرة كما تظن. بأى تهمة تعتقد الفتاة أننى أشتبه بها؟ القتل. فأين المجازفة إذن فى سرقة زوج أو اثنين من الجوارب الحريرية؟ إننى لا أبحث عن لص. وبجانب ذلك، فاللص أو المصاب بداء السرقة، دائما مقتنع بأنه يستطيع الهروب بجريمته".

أومأ المفتش برأسه قائلا:

"هذا حقيقى فى الواقع، وهو ينم عن غباء لا مثيل له فاللص يعود إلى سرقة نفس المكان مرة بعد مرة. حسنا، أعتقد أنه فيما بيننا نكون قد توصلنا بصورة واضحة إلى الحقيقة.

وعندما تم ضبط آن ميريديث متلبسة بالسرقة قامت بتغيير زجاجة بأخرى. ونحن نعلم أنها كانت جريمة قتل ـ إلا أننى أشك فى قدرتنا على إثبات ذلك. الجريمة الناجحة الثانية. لقد نجا روبرتس بجريمته، ونجت آن ميريديث بجريمتها لكن ماذا عن شايتانا؟ هل قتلت آن ميريديث شايتانا؟".

ظل المفتش صامتا للحظة أو اثنتين، ثم هز رأسه وقال معارضًا: "لا يمكن أن يكون صحيحًا؛ فهى ليست من النوع المجازف. تقوم بتغيير زجاجتين، نعم؛ فهى تعلم أنه لا يمكن لأحد أن يثبت ذلك عليها. لذا فهو فعل شديد الأمان ـ لأنه من الممكن أن يقوم به أى أحد! بالطبع، لم يكن هذا الفعل مضمون النجاح؛ فربما تكون السيدة بنسون قد لاحظت قبيل تناولها للشراب، أو ربما لا تكون قد ماتت بسببه ـ وهذا هو ما أسميه: النوع المفعم بالأمل من جرائم القتل؛ فقد ينجح الأمر أو لا ينجح، وقد نجح هذه المرة. لكن جريمة قتل شايتانا كانت نوعًا مختلفًا من الجرائم؛ لقد كانت جريمة قتل مدروسة وجريئة ولها أسباب قوية".

أومأ بوارو رأسه قائلا:

"أتفق معك؛ فهاتان الجريمتان غير متشابهتين".

مسح المفتش أنفه واستكمل قائلا:

"وهذا الأمر كفيل باستبعادها من الاشتباه. إن كلًا من روبرتس والفتاة، تم حذفه من قائمتنا. فماذا عن ديسبارد؟ هل صادفت نجاحًا مع السيدة لَكسمور؟".

سرد بوارو مغامراته فى ظهيرة اليوم السابق.

ابتسم المفتش ابتسامة عريضة وقال:

"أعلم بهذا النوع، ولا يمكنك أن تفصل بين ما يتذكرونه وبين ما يلفقونه".

استكمل بوارو وصف زيارة ديسبارد، والقصة التى ذكرها هذا الأخير.

قال المفتش مقاطعًا: "وهل تصدقه؟".

"نعم، أنا أصدقه".

"وكذلك أنا: فهو ليس الرجل الذى يطلق النار على شخص ما لمجرد أنه يرغب فى زوجته. وعلى أى حال، فقد كان بإمكانهما اللجوء إلى محاكم الأحوال الشخصية للحصول على الطلاق! إن كل الناس تفعل ذلك الآن، وهو ليس بالرجل ذى المنصب الحساس؛ فلن يعيبه ذلك، أو أى شىء من هذا القبيل. كلا، أنا أرى الفقيد شايتانا قد أخطأ بخصوص الرائد ديسبارد. والقاتل رقم ٣ لم يكن قاتلا على الإطلاق".

نظر المفتش إلى بوارو وقال:

"هذا يترك.........؟".

قال بوارو: "السيدة لوريمر".

رن جرس التليفون. فنهض بوارو ليجيب عليه. تحدث قليلاً، ثم انتظر، ثم تحدث ثانية. ثم وضع السماعة واستدار إلى المفتش باتل.

كان وجهه شديد الجدية وهو يقول:

"لقد كانت السيدة لوريمر على الهاتف، وقد طلبت منى الحضور لرؤيتها ـ الآن".

نظر هو والمفتش إلى بعضهما البعض، وهز الأخير رأسه ببطء قائلا:

"هل أنا على خطأ أم أنك بالفعل كنت تتوقع شيئا قبل ذلك؟".

قال بوارو: "كنت أتساءل فقط".

رد المفتش قائلاً: "من الأفضل أن تنطلق. فربما قد تحصل على الحقيقة فى النهاية".

الفصل ٢٥

السيدة لوريمر تتحدث

لم تكن الشمس ساطعة فى ذلك اليوم، وبدت حجرة السيدة لوريمر أكثر عتامة وأقل بهجة. وقد كانت نظرتها متشائمة، وبدت أكبر سنا مما بدت عليه فى زيارة بوارو السابقة.

قامت بتحيته بابتسامتها التقليدية الواثقة، قائلة: "لطيف منك أن تحضر فورًا، يا سيد بوارو؛ فأنا أعلم أنك رجل مشغول".

قال بوارو وهو ينحنى احترامًا: "فى خدمتك، سيدتى".

دقت السيدة لوريمر الجرس بجوار المدفأة، وهى تقول: "سنتناول الشاى. أنا لا أعلم مدى رغبتك فيه، لكنى أعتقد دائما أنه من الخطأ الخوض فى الأسرار بغير تمهيد لائق".

"أيعنى ذلك أن هناك أسرارًا، سيدتى؟".

لم تجب السيدة لوريمر على سؤاله وقتها، حيث حضرت خادمتها، وعندما ذهبت بعد تلقيها للأمر، قالت السيدة لوريمر بجفاء:

"كنت تقول، لو تتذكر، عندما أتيت هنا فى المرة السابقة، أنك سوف تأتى فى حال أرسلت إليك. كانت لديك فكرة، كما أعتقد، عن السبب الذى قد يدفعنى لطلب حضورك".

لم تزد على ذلك؛ حيث أحضر الشاى، وقدمته السيدة لوريمر، بينما كانت تتحدث بذكاء فى موضوعات متنوعة

خاصة بذلك اليوم.

وانتهز بوارو لحظة صمت، قائلًا:

"لقد سمعت أنك والآنسة ميريديث قد تناولتما الشاى مع بعضكما البعض منذ بضعة أيام".

"نعم فعلنا، هل رأيتها مؤخرًا؟!".

"اليوم، فى فترة ما بعد الظهر".

"إذن، فهى فى لندن، أو لعلك سافرت إلى وولينجفورد؟".

"لا، لقد أكرمتنى هى وصديقتها بزيارة ودية".

"آه، صديقتها. لم تتسن لى مقابلتها".

قال بوارو مبتسمًا ابتسامة بسيطة:

"جريمة القتل هذه ـ قدمت الكثير من العلاقات الودية. أنت والآنسة ميريديث، تناولتما الشاى معا. وكذلك توطدت علاقة الرائد ديسبارد، بالآنسة ميريديث. ويبدو أن دكتور روبرتس هو الوحيد الذى لم يحظ بمثل ذلك الود".

قالت السيدة لوريمر:

"لقد سبق أن رأيته منذ عدة أيام فى أحد النوادى الاجتماعية وبدت عليه بهجته المعهودة بصورة كبيرة".

"هل مازال مغرما بلعب الورق؟".

"نعم، وهو مستمر فى حركاته الفظيعة، والتى غالبا ما ينجو منها".

سكتت لحظة أو اثنتين، ثم قالت:

"هل رأيت المفتش باتل مؤخرًا؟".

"رأيته أيضًا ظهيرة اليوم. لقد كان معى عندما اتصلت

بى".

سألت السيدة لوريمر وهى تحمى وجهها بيدها اتقاء للنار قائلة:

"هل توصل لجديد؟".

رد بوارو بجرأة:

"المفتش باتل ليس متعجلًا، إنه يتقدم ببطء، لكنه سيصل للحقيقة فى النهاية، يا سيدتى".

قالت بينما كانت تبتسم فى سخرية ضعيفة:

"أتساءل عما إذا كان سيصل إليها".

سكتت لبرهة ثم أضافت:

"لقد أعارنى اهتمامًا كبيرًا؛ فقد كان يفتش ـ حسب ما أعتقد ـ فى تاريخى القديم منذ فترة طفولتى، وقابل بعض صديقاتى، وتحدث مع خادماتى اللاتى يعملن لدى اليوم، واللاتى كن يعملن لدى فى السنوات السابقة. لا أعلم ما كان يرغب فى التوصل إليه، لكنه بالتأكيد لم يتوصل إلى ما كان يطمح إليه. ربما يكون قد اقتنع بما قلته له، فقد قلت الحقيقة؛ فأنا أعلم القليل عن السيد شايتانا. لقد قابلته فى الأقصر، كما سبق أن قلت، ولم تكن علاقتنا أكثر من علاقة عابرة، ولكن لم يتمكن المفتش من تقبل هذه الحقائق".

قال بوارو: "ربما لا".

"وأنت أيها السيد بوارو؟ هل كانت لديك أية تساؤلات؟".

"بشأنك يا سيدتى؟".

"هذا ما عنيته".

هز الرجل صغير الحجم رأسه ببطء قائلا: "ربما كانت بلا جدوى".

"ماذا تقصد بهذه الكلمة بالضبط، يا سيد بوارو؟".

"سأكون صريحا معك، يا سيدتى. لقد أدركت منذ البداية ـ أنه من بين الأربعة أشخاص الذين كانوا فى حجرة السيد شايتانا فى الليلة السابقة ـ أنك يا سيدتى أرجحهم عقلا وأكثرهم هدوءا ومنطقية. وإذا كنت فى معرض عقد رهان مادى عن تحديد أكثر هؤلاء الأربعة قدرة على التخطيط لجريمة قتل والهروب منها بنجاح لراهنت على أنه أنت سيدتى".

ارتفع حاجبا السيدة لوريمر، وقالت بجفاء:

"هل علىّ أن أعتبرها مجاملة؟".

واستمر بوارو، دون أن يعير اهتمامًا لمقاطعتها:

"لكى تنجح جريمة، سيصبح التفكير فى كل تفاصيلها مسبقًا أمرًا ضروريًا. ويجب مراعاة كل الاحتمالات ووضعها فى الاعتبار، وينبغى مراعاة التوقيت بدقة. ويجب أن يتم اختيار المكان الصحيح. ربما يفشل الدكتور روبرتس فى ارتكاب جريمة نتيجة للسرعة، والثقة الزائدة بالنفس، وأن يكون الرائد ديسبارد أكثر تحفظا من أن يرتكب جريمة، وربما تفقد الآنسة ميريديث رشدها، وتكشف عن الجريمة. أما أنت، سيدتى، فلن تقعى فى كل هذه المشاكل: فأنت ستكونين هادئة، ومرتبة. أنت شخصية حازمة بالقدر الكافى، وتستطيعين الحفاظ على تركيزك".

جلست السيدة لوريمر صامتة لدقيقة أو اثنتين، فيما تلاعبت ابتسامة فضولية على شفتيها، وفى النهاية قالت:

"إذن، فهذا ما تعتقده بشأنى يا سيد بوارو ـ تعتقد أننى من ذلك النوع من النساء الذى يمكن أن يرتكب الجريمة الكاملة".

"على الأقل، لديك رحابة الصدر الكافية لكيلا تتضايقى من الفكرة".

"إننى أجدها غاية فى الإثارة! إذن أنت تعتقد أنى الشخص الوحيد الذى كان بإمكانه ارتكاب جريمة قتل السيد شايتانا بنجاح".

قال بوارو فى بطء:

"هناك صعوبة فى ذلك يا سيدتى".

"حقا؟ هلا أخبرتنى!".

"ربما تكونين قد لاحظت أننى قلت شيئا مثل: "لكى تنجح جريمة ما، فمن الضرورى عادة أن يتم التخطيط لكل التفاصيل بعناية بشكل مسبق". كلمة "عادة" هى الكلمة التى أريد أن أجذب انتباهك إليها، لأن هناك نوعًا آخر من الجرائم الناجحة. هل قلت يومًا لشخص ما وبشكل مفاجئ: "ألق حجرا وانظر ما إذا كان بإمكانك أن تصيب تلك الشجرة، ويطيعك الشخص بسرعة وبدون تفكير ـ وغالبا ما يصيب الشجرة، وهو الأمر المثير للدهشة! ولكن عندما يكرر الأمر، لا يجده بهذه السهولة ـ وقتها سيبدأ فى التفكير: "أقوى قليلا ـ ليست بهذه القوة ـ إلى اليمين قليلا ـ إلى اليسار". كان الفعل الأول

فعـلا ينطلـق تقريباً من اللاوعـى، فالجسد أطـاع العقل، كما يفعل جسد الحيوان. هناك نوع من الجرائم مثل ذلك ـ جريمة ترتكـب فى لحظة ــ دون وقت للتأمل والتفكير. وكانت جريمة قتل شايتانا، يا سيدتى، من هذا النوع من الجرائم: شعور ملح بحتمية قتله، ولحظة إلهام، وتنفيذ سريع".

وهز رأسه، قبل أن يتابع قائلا:

"وهذا، يا سيدتى، ليس نوع الجرائم الذى يمكن أن ترتكبيه؛ لأنك إذا ما قتلت السيد شايتانا، فسيكون ذلك فعلا عن سابق التخطيط".

قالت وهى تحرك يدها جيئة وذهابا لطرد حرارة النار بعيدا عن وجهها:"فهمت. وبالطبع لم تكن الجريمة مسبقة الإعداد، لذلك لا يمكن أن أكون أنا من قتله. أليس كذلك يا سيد بوارو؟".

"تماما يا سيدتى".

ولكنهـا مالـت إلى الأمـام، وتوقفـت عـن التلويـح بيدهـا، وقالت:"ومع ذلك فقد قتلتُ السيد شايتانا يا سيد بوارو...".

الفصل ٢٦

الحقيقة

ساد الصمت لفترة... فترة طويلة جدا.

كانت الحجرة تظلم أكثر وأكثر. وكان ضوء المدفأة يتراقص فى ظلمة الحجرة.

لم يكن كل من السيدة لوريمر وهيركيول بوارو ينظران إلى بعضهما البعض، وإنما كانا يحدقان إلى نار المدفأة. بدا الأمر كما لو كان الوقت قد توقف.

ثم تنهد هيركيول بوارو بتأثر وقال: "إذن فأنت من كنا نبحث عنه طيلة الوقت... لماذا قمت بقتله يا سيدتى؟".

"أعتقد أنك تعلم لماذا، يا سيد بوارو".

"لأنه قد علم شيئا ما يخصك ـ شىء ما حدث منذ فترة طويلة؟".

"نعم".

"وكان هذا الشىء هو موت آخر، يا سيدتى؟".

هزت رأسها بالايجاب.

قال بوارو بهدوء:

"لماذا أخبرتنى؟ ما الذى دفعك لطلب حضورى اليوم؟".

"لقد أخبرتنى ذات مرة أن علىّ فعل هذا يوما ما".

"نعم ـ بالفعل. كنت ... أعلم يا سيدتى أنه كانت هناك طريقة واحدة فقط لمعرفة الحقيقة طالما أن الأمر يتعلق بك

ـ وكانت هذه الطريقة هى أن تخبرينا بمحض إرادتك. إذا لم تختارى الحديث، فلن تفعلى، ولن تفضحى نفسك أو ترتكبى أى خطأ يكشف عن قيامك بالأمر. غير أنه توجد هناك فرصة ـ هى أنك ترغبين بنفسك فى التحدث".

أومأت السيدة لوريمر برأسها قائلة فى صوت خافت:

"من المهارة أن تتنبأ بهذا ـ أن تتخيل حجم العزلة والبؤس اللذين كنت أعانيهما".

ثم خفت صوتها ولم تكمل.

نظر بوارو إليها فى فضول قائلا:

"لذا كان الوضع هكذا؟ نعم، يمكننى تخيل حجم معاناتك...".

قالت السيدة لوريمر: "وحدى ـ تقريبا وحدى، ولن يفهم أحد معنى الوحدة إذا لم يعش ما عشته، ويدرك بشاعة العمل الذى اقترفته يداه".

رد بوارو بهدوء:

"هل سيكون من عدم اللياقة يا سيدتى أن أظهر تعاطفى معك؟".

هزت رأسها هزة خفيفة وقالت:

"شكرا لك، سيد بوارو".

مرت لحظات أخرى من الصمت، ثم قال بوارو بصوت خافت:

"هل أفهم من كلامك يا سيدتى أنك فهمت ما قاله السيد شايتانا أثناء العشاء على أنه يقصدك أنت؟".

أومأت برأسها بالإيجاب وقالت:

"لقد أدركت وقتها أنه كان يتحدث بحيث يتعين على شخص ما أن يعى ما يقوله، وكان هذا الشخص هو أنا؛ فحديثه عن السم كسلاح امرأة، كان موجهًا إلىّ. لقد كان يعلم. لقد ارتبت فيه من قبل عندما كان يتحدث عن قضية شهيرة عُرضت أمام المحكمة واستخدمت القاتلة فيها السم، وحينها رأيت عينيه تراقباننى وكانتا تمتلئان بمعرفة شريرة، لكنى تأكدت فى تلك الليلة أنه يعرف كل شىء".

"وهل كنت متأكدة أيضًا من نواياه المستقبلية؟".

ردت السيدة لوريمر بجفاء قائلة:

"من الصعب تصديق أن حضورك أنت والمفتش باتل مجرد مصادفة. لقد فهمت منه أن شايتانا سوف يعلن عن مهارته بأن يبين لكليكما أنه قد اكتشف شيئًا لم يتمكن أحد من اكتشافه".

"ومتى توصلت إلى هذه الفكرة ؟".

ترددت السيدة لوريمر قليلًا ثم قالت:

"من الصعب تذكر متى بالضبط توصلت لهذه الفكرة. لقد لمحت الخنجر قبل تناول العشاء، وعندما عدنا إلى حجرة الاستقبال، انتزعته وأخفيته فى كمى، ولم يلحظنى أحد ـ حيث حرصت على ألا يرانى أحد".

"يا لها من خطة محكمة منك يا سيدتى".

"رتبت وقتها ما سأفعله بالضبط. ولم يتبق سوى التنفيذ. لربما كانت مخاطرة، لكنى رأيت أنه يستحق التجريب".

"يا لرباطة جأشك! لقد نجحت فى اقتناص الفرصة جيدًا
نعم، أعتقد ذلك".

استطردت السيدة لوريمر قائلة، وقد بدا صوتها هادئًا وثابتًا:

"بدأنا نلعب الورق، وأخيرًا، وعندما سنحت الفرصة كنت متجمدة المشاعر. مشيت فى الحجرة، فى اتجاه المدفأة، حيث كان شايتانا بدأ يستغرق فى النوم. نظرت إلى الآخرين فوجدت أنهم جميعًا كانوا مستغرقين فى اللعب. انحنيت و... وفعلتها...".

اضطرب صوتها قليلاً، لكنه سرعان ما استعاد بروده، وهى تتابع قائلة:

"تحدثت معه. لكى أتمكن من الحصول على حجة غياب. تظاهرت بالتحدث حول المدفأة العتيقة. ثم تظاهرت بأنه قد أجابنى، ثم قلت شيئًا ما مثل: "أتفق معك. أنا لا أفضل مدفأة الغاز أيضًا".

"ألم يصرخ مطلقًا؟".

"لا، أظن أنه أطلق حشرجة بصوت خافت، ربما بدا الأمر من بعيد وكأننا نتكلم".

"ثم؟".

"ثم عدت إلى منضدة اللعب، حيث كانت بداية الدور الأخير".

"وجلست واستكملت اللعب؟".

"نعم".

"بتركيز كاف فى اللعبة، واستطعت أن تخبرينى بكل تفاصيل اللعب تقريبًا، وكل الأدوار التى لعبتموها ـ وكل ذلك بعد يومين من الحادث؟".

ردت ببساطة قائلة: "نعم".

قال هيركيول بوارو: "يا للروعة!".

أسند ظهره للكرسى، وأومأ برأسه مرات كثيرة. ثم هز رأسه بصورة مغايرة وقال:

"لكن يتبقى شيء لم أستطع فهمه بعد، يا سيدتى".

"وما هو؟".

"يبدو لى أن هناك عنصرا ما لا أستطيع الوصول إليه: أنت امرأة تفكرين فى كل شيء، وتزنين كل شيء بعناية. لقد قررت، لسبب ما، أن تقومى بمخاطرة كبيرة، ولقد قمت بها بنجاح ـ ولكن بعد أقل من أسبوعين من ذلك، غيرت رأيك، بصراحة يا سيدتى، هذا يجعل ما تقولينه لا يبدو صحيحًا".

تلاعبت ابتسامة غريبة على شفتيها، قبل أن تقول:

"أنت على حق يا سيد بوارو، هنك أمر لا تعرفه. هل أخبرتك الآنسة ميريديث أين قابلتنى فى ذلك اليوم؟".

"أعتقد أن ذلك كان بالقرب من منزل السيدة أوليفر، كما أخبرتنى الآنسة ميريديث".

"هذا صحيح، ولكننى أسأل عن اسم الشارع. لقد قابلتنى آن ميريديث فى شارع هارلى".

نظر إليها بانتباه وقال: "هكذا! لقد بدأت أفهم".

"نعم. كنت موقنة من أنك ستفهم. لقد ذهبت لزيارة

إخصائى هناك، ولقد أكد لى ما كنت أتشكك فيه".

واتسعت ابتسامتها، ولم تعد ملتوية ولا حزينة، وإنما امتلأت بالسعادة فجأة، وتابعت:

"إننى لن ألعب الورق لفترة طويلة يا سيد بوارو. لم يقل ذلك بصورة واضحة، ولكنه قام بتغليف الحقيقة ـ لقد قالها بكثير من العناية وما إلى ذلك. لن أعيش لسنوات طويلة، ولكننى لا ألقى لذلك بالاً، فأنا لست من ذلك النوع من النساء".

قال بوارو: "نعم، نعم. أفهم ذلك".

"لقد صنع ذلك فارقًا كبيرًا لى. ربما أعيش لشهر أو شهرين، ولكن ليس أكثر من ذلك. وبعدها، وبمجرد أن غادرت العيادة، رأيت آنسة ميريديث، وطلبت منها أن تتناول معى الشاى".

وتوقفت قبل أن تتابع قائلة:

"أنا لست امرأة شريرة، وطوال فترة تناولنا للشاى معًا كنت أفكر. فى أن ما فعلته فى تلك الليلة، لم يحرم السيد شايتانا فقط من الحياة. لقد تم ذلك، ولم يعد من الممكن الرجوع فيه، ولكنه أيضا أثر بصورة غير مطلوبة، وبدرجات متفاوتة، على حياة ثلاثة أشخاص آخرين؛ فبسبب ما فعلت تعرض كل من الدكتور روبرتس والرائد ديسبارد والآنسة ميريديث لمحنة عميقة، وربما تعرضوا للخطر، بينما لم يؤذنى أى منهم. وهذا الأمر يمكننى بالتأكيد الرجوع فيه ومحو آثاره. إننى لا أعرف ما إذا ما حركنى هو المعاناة التى مر بها كل من الدكتور روبرتس والرائد ديسبارد، على الرغم من أن

كلا منهما لايزال أمامه من الحياة أكثر مما تبقى لى، فهما رجلان، ويستطيعان إلى حد ما، أن يعتنيا بنفسيهما ـ ولكن عندما نظرت إلى الآنسة ميريديث...".

ثم ترددت قبل أن تتابع فى بطء:

"آن ميريديث فتاة شابة، ولايزال أمامها العمر بطوله. وكان هذا العمل المأساوى من شأنه أن يدمر حياتها...".

توقفت برهة ثم أضافت:

"لم أرتح لفكرة أن أتسبب لها فى ذلك، والآن يا سيد بوارو، مع كل تلك الأفكار التى راحت تعتمل فى رأسى، أدركت أن ما أشرت إليه كان صحيحًا، ولذلك لم أستطع أن أصمت أكثر من ذلك، ومن ثم اتصلت بك فى الصباح...".

سكتت وساد الصمت للحظات.

اتكأ هيركيول بوارو إلى الأمام، وحدق بإمعان ـ عبر ظلمة الحجرة أمامه ـ فى السيدة لوريمر. فردت السيدة لوريمر هذه النظرة المحدقة بهدوء وبدون أية مشاعر.

وأخيرا قال:

"سيدة لوريمر، هل أنت متأكدة من ـ هل أنت متيقنة (ستخبريننى بالحقيقة، أليس كذلك؟) ـ أن جريمة قتل السيد شايتانا لم تكن مخططة مسبقًا؟ أليست حقيقة أنك خططت للجريمة قبل وقوعها، وأنك ذهبت لتناول العشاء وقد ارتسمت معالم الجريمة فى عقلك؟".

حدقت السيدة لوريمر فى وجهه لحظة، ثم هزت رأسها بحدة، وقالت:

"لا".

"ألم تخططى للجريمة بشكل مسبق؟".

"بالتأكيد لا".

"إذن - إذن... آه، أنت تكذبين علىّ... لابد أنك تكذبين!..".

قالت السيدة لوريمر فى صوت بارد كالثلج:

"حقا، سيد بوارو، أنت تنسى نفسك".

هب الرجل صغير الحجم واقفا، وتجول يمينًا ويسارًا فى الحجرة، متمتما بعبارات غير واضحة، ثم قال فجأة:

"اسمحى لى؟".

وذهب إلى مفتاح الكهرباء، وأضاء الأنوار.

ثم عاد، وجلس على كرسيه، ووضع كلتا يديه على ركبتيه ونظر للأمام نحو مضيفته.

ثم قال: "يبقى السؤال هو: هل يمكن أن يكون هيركيول بوارو على خطأ؟".

ردت السيدة لوريمر ببرود قائلة: "من المستحيل أن يكون شخصًا ما دائمًا على حق".

قال بوارو: "... أنا دائما أكون على حق، ودائما ما يحالفنى الحظ - لكن الأمر الآن يبدو كما لو كنت مخطئا. وهذا يزعجنى. لنفترض، أنك تدركين ما تقولينه، فهى جريمتك! رائع، لذا، كيف يمكن لهيركيول بوارو أن يعرف كيفية ارتكاب الجريمة أفضل منك؟".

قالت لوريمر بنفس البرود: "شىء خيالى وسخيف".

"أنا، إذن، مجنون. بالقطع أنا مجنون. لا... لست مجنونا

والعياذ بالله! أنا على حق - يجب أن أكون على حق. إننى أريد أن أصدق أنك قمت بقتل شايتانا - لكنك لا يمكنك قتله بالطريقة التى شرحتها؛ فلا يمكن لأحد أن يقوم بشىء يخالف طبيعة شخصيته".

وتوقف، فاستشاطت السيدة لوريمر غضبا وعضت على شفتيها، كانت على وشك الحديث، لكن بوارو قاطعها قائلا:

"إما أن قتل شايتانا كان مخططًا له مسبقًا، أو أنك لم تقومى بقتله على الإطلاق!".

قالت السيدة لوريمر بحدة:

"أنا متيقنة من أنك مجنون، يا سيد بوارو. إذا كانت لدى الرغبة فى الاعتراف بجريمة ارتكبتها، فليس من المحتمل أن أكذب فى سردى للطريقة التى تمت بها؛ إذن ما الهدف من الكذب بشأن هذا الأمر؟".

نهض بوارو ثانية وتجول مرة واحدة داخل الحجرة. وعندما عاد إلى كرسيه، تغيرت هيئته - أصبح هادئًا ولطيفًا.

قال برقة: "أنت لم تقتلى شايتانا، أنا مؤمن بذلك الآن. أنا أفهم كل شىء. شارع هارلى ستريت... والصغيرة آن ميريديث تقف بائسة على الرصيف. إننى أرى، أيضا فتاة أخرى... منذ فترة طويلة جدا... فتاة كانت دائما تعيش بمفردها فى الحياة... وتعانى وحدة فظيعة. نعم، أفهم كل ذلك، ولكن هناك شيئًا واحدًا لا أفهمه - لماذا أنت متأكدة من أن آن ميريديث قد ارتكبت الجريمة؟".

"حقا، سيد بوارو...".

"لا جدوى من الاعتراض الآن ـ لا داعى للمزيد من الكذب، فأنا أعلم الحقيقة، وأعرف أن الانفعالات الحادة التى سيطرت عليك ذلك اليوم فى شارع هارلى ستريت. أنت لم تفعلى هذا من أجل دكتور روبرتس ـ كلا! ولا يمكن أن تكونى فعلته من أجل الرائد ديسبارد، ولكن الحال يختلف مع آن ميريديث ـ أنت تشفقين عليها، لأنها فعلت ما فعلته أنت فى إحدى المرات. أنت حتى لا تعلمى ـ أو هكذا أتخيل ـ ما سبب ارتكابها لهذه الجريمة، ولكنك متأكدة من أنها قد ارتكبتها. كنت متأكدة من ذلك فى الليلة الأولى ـ التى تمت فيها الجريمة- عندما دعاك المفتش باتل للإدلاء بآرائك حول الحادثة. نعم، أعلم كل هذا، كما ترين. ومن غير المجدى أن تكذبى علىّ أكثر من ذلك. ألا ترين هذا؟".

توقف منتظرًا إجابة، لكنها لم تأت. أومأ برأسه فى رضا، قائلاً:

"نعم، أنت عقلانية، وهذا جيد. إنه من النبل أن تقومى بهذا يا سيدتى ـ أن تتهمى نفسك لتدعى هذه الطفلة تنجو".

قالت السيدة لوريمر بجفاء: "لقد نسيت. أنا لست امرأة بريئة يا سيد بوارو. فقد قتلت زوجى منذ سنوات.....".

مرت دقائق من الصمت.

قال بوارو: "أعلم أنك تظنين أنها العدالة ـ تظنين أنك ستنالين عقابًا عادلاً. لديك العقل المنطقى، وأنت تبحثين عن العقاب عما قد قمت باقترافه؛ فالقتل هو القتل ـ ولا يهم من يكون الضحية. سيدتى، أنت شجاعة، ولديك بصيرة نافذة ـ

ولكنى ألتمس منك للمرة الثانية معرفة كيف يمكنك أن تكونى متأكدة لهذه الدرجة؟ كيف عرفت أن آن ميريديث هى من قتلت شايتانا؟".

تنهدت السيدة لوريمر بعمق، وفقدت قدرتها على المقاومة أمام إلحاح بوارو.

وأجابت عن السؤال ببساطة تامة مثل الأطفال:

"لأننى... لأننى رأيتها".

الفصل ٢٧

الشاهد

ضحك بوارو فجأة ـ لم يقو على منع نفسه من الضحك؛ حيث أسند رأسه للخلف، وملأت ضحكته الفرنسية الحجرة.

قال بينما يمسح عينيه: "معذرة يا سيدتى، لم أستطع منع نفسى. نحن هنا نتجادل ونفكر! نطرح الأسئلة! ونستعين بعلم النفس، وطوال الوقت هناك شاهد على الجريمة، أخبرينى أتوسل إليك".

"كان هذا فى ساعة متأخرة من الليل، وكانت آن ميريديث تلعب الورق، نهضت ونظرت إلى شركائها فى اللعب، ثم تحركت فى الحجرة، حيث لم يكن الدور ممتعًا جدًّا ـ وكانت نهايته حتمية. لم أكن فى حاجة إلى التركيز فى اللعب. وبمجرد أن وصلنا إلى آخر ثلاثة أدوار، نظرت حولى نحو المدفأة. فوجدت آن ميريديث منحنية نحو السيد شايتانا. وعندما نظرت إليها، عدلت نفسها ـ كانت يدها بالفعل على صدره ـ وهى إيماءة فاجأتنى. عدلت نفسها، ورأيت وجهها ونظرتها السريعة لنا، فى خوف وشعور بالذنب ـ هذا ما رأيته فى وجهها. بالطبع، لم أكن أعلم ما حدث وقتها. فقط تساءلت عما فعلته الفتاة. وعرفت مؤخرًا...".

أومأ بوارو رأسه قائلًا:

"لكن ألم تدرك أنك قد فهمت ما فعلته؟ ألم تعرف أنك

شاهدتها؟".

قالت السيدة لوريمر: "يالها من طفلة مسكينة! شابة خائفة تخطو خطواتها الأولى فى الحياة، هل مازلت تتعجب الآن من التزامى الصمت؟".

"لا، لا، لا أتعجب من ذلك".

قالت: "خاصة أننى كنت أعلم أننى ... أقصد أننى أنا نفسى قد..." وأنهت جملتها بهزة من كتفيها، وأضافت: "من المؤكد أننى ليس من حقى توجيه الاتهامات".

"هو كذلك تقريبا... لكنك اليوم قد فعلت ذلك".

قالت لوريمر بصرامة:

"لم أكن أبدا امرأة رقيقة القلب أو رحيمة، لكنى أعتقد أن هذه الخصال تنمو فى نفس الإنسان بمرور الزمن. أنا أؤكد لك، أن الرحمة ليست أحد دوافعى غالبًا".

"لا يكون هذا دائمًا دافعًا شديد الأمان يا سيدتى. إن الآنسة آن صغيرة وضعيفة وتبدو مرتعدة وخائفة ـ آه، نعم، تبدو مثيرة للشفقة بصورة كبيرة. لكننى، لا أوافق على ذلك. هل علىّ أن أخبرك سيدتى، لماذا قتلت الآنسة آن السيد شايتانا؟ لقد كان ذلك لأنه قد علم أنها سبق لها أن قتلت سيدة عجوزًا كانت تعمل مرافقة لها ـ وقد قتلتها لأن هذه السيدة قد شهدت قيامها بسرقة طفيفة".

بدت السيدة لوريمر فزعة بعض الشىء وقالت:

"هل هذا صحيح، يا سيد بوارو؟".

"لا أشك فى ذلك ـ إنها شديدة الرقة واللطف كما ينبغى أن

يقول المرء. تبا! إنها خطيرة يا سيدتى ـ تلك الآنسة الصغيرة آن! عندما يتعلق الأمر بأمنها، وبراحتها، فإنها تضرب بوحشية ـ بغدر. مع الآنسة آن ليست هاتان الجريمتان هما النهاية، ولربما ازدادت جرأتها من كلتيهما....".

علقت السيدة لوريمر قائلة بصرامة:

"إن ما تقوله لشىء رهيب، يا سيد بوارو، رهيب".

قال بوارو:

"سيدتى، سوف أستأذن فى الانصراف الآن. فكرى مليًّا فيما قلته".

بدت السيدة لوريمر غير متأكدة قليلًا من نفسها. وقالت محاولة الحفاظ على طريقتها القديمة: "إذا استجوبنى المفتش باتل، فسوف أنكر هذا الحديث بأكمله يا سيد بوارو. تذكر أنه ليس لديك أىّ شهود، وقد أخبرتك بما رأيته هذه الليلة المفزعة كحديث شخصى بيننا".

قال بوارو بشجاعة:

"سيدتى، لن يتم شىء بدون موافقتك، واطمئنى، فلدىّ طرقى الخاصة، وأنا أعلم ما أرمى إليه ...".

وقبَّل يدها قائلًا:

"دعينى أخبرك يا سيدتى، بأنك امرأة رائعة. لك كل تقديرى واحترامى. نعم إنك، فى الواقع، امرأة فى الألف. إنك حتى لم تفعلى ما كانت تسعمائة وتسع وتسعون امرأة ـ من بين ألف ـ لن يتورعن عن فعله".

"وما هو؟".

"أن تخبرينـي بأنك قمت بقتل زوجك ـ وكيف قمت بتبرير الجريمة لنفسك".

نهضت السيدة لوريمر قائلة:

"حقا، سيد بوارو؛ فقد كانت مبرراتى من شئونى الخاصة".

قال بوارو: "رائع" ومرة أخرى رفع يدها نحو شفتيه، وغادر الحجرة.

كان الجو باردًا خارج الحجرة، ونظر حوله يمينا ويسارا باحثا عن سيارة أجرة، لكن لم يكن هناك أى منها على مرمى البصر.

بدأ يسير باتجاه كينجزرود.

وبينما كان يمشى كان يفكر بجدية، ويحرك رأسه بين الحين والآخر، وفى إحدى المرات هزها.

نظر خلفه، فوجد شخصًا ما يصعد سلالم منزل السيدة لوريمر. بدا وكأنه هيئة آن ميريديث. تردد لحظة، هل يعود أم لا، غير أنه فى النهاية استكمل طريقه.

عندما وصل لمنزله، وجد أن المفتش باتل قد ذهب بغير أن يترك أية رسائل.

شرع فى الاتصال بالمفتش.

جـاء صـوت المفتش مـن السماعـة: "مرحبًا، هـل توصلت لجديد؟".

"أعتقـد ذلـك يا صديقـى. علينا تتبـع الفتـاة ميريديث ـ وبسرعة".

"أنا أتتبعها ـ لكن لماذا السرعة؟".

"لأنها، يا عزيزي، ربما تكون خطرة".

صمت المفتش لحظة أو اثنتين. ثم قال:

"أعلم ما تعنيه. لكن ليس هناك من أحد.... آه، حسنًا، علينا ألا نترك أى شىء للمصادفة. فى الواقع، لقد كتبت إليها ورقة رسمية، أعلمها بأننى سوف أستدعيها غدا ولقد رأيت أنه من الجيد أن ندفعها للحديث عما تخفيه عنا".

"إنه لأمر محتمل. هل يمكننى اصطحابك؟".

"بالطبع. إننى أَشْرُف باصطحابك، سيد بوارو".

وضع بوارو السماعة بوجه رصين.

لم يكن عقله مرتاحًا بصورة تامة. جلس لفترة طويلة أمام النار، متجهمًا. وفى النهاية، وضع مخاوفه وشكوكه جانبًا، وذهب إلى السرير لينام.

وتمتم قائلًا: "سنرى فى الصباح".

لكنه لم يكن يدرى ما سيكشفه له الصباح.

الفصل ٢٨

انتحار

جاء الاستدعاء عبر التليفون أثناء جلوس بوارو لتناول قهوته الصباحية مع قطع الخبز.

رفع سماعة التليفون، وكان صوت المفتش باتل:

"هل معى السيد بوارو؟".

"نعم، إنه أنا. ماذا حدث؟".

أخبره التغير فى نبرة صوت المفتش بأن هناك شيئًا ما قد حدث، فعادت إليه هواجسه الشخصية غير الواضحة.

فقال:"أخبرنى يا صديقى، بسرعة".

"إنها السيدة لوريمر".

"لوريمر ـ ماذا بشأنها؟".

"بالله عليك ماذا قلت لها بالأمس، أو بماذا أخبرتك هى؟ أنت لم تقل لى أى شىء عن ذلك؛ فى الواقع، لقد جعلتنى أفكر بأن الآنسة ميريديث هى من نبحث عنه".

قال بوارو بهدوء:

"ماذا حدث؟".

"انتحار".

"هل انتحرت السيدة لوريمر؟".

"هذا صحيح. يبدو وأنها كانت مكتئبة للغاية، وكانت تكره نفسها فى الفترة الأخيرة؛ فقد كتب لها طبيبها مجموعة

من الأقراص المنومة. لكنها تعاطت فى الليلة السابقة جرعة زائدة".

أخذ بوارو نفسًا عميقًا قائلًا:

"هل هناك إمكانية فى كون الأمر مجرد حادث؟".

"ولا أدنى احتمال. لقد انتهى كل شىء ـ لقد كتبت بهذا للثلاثة".

"أى ثلاثة؟".

"الثلاثة الآخرون: روبرتس وديسبارد والآنسة ميريديث. لقد فعلت ذلك بعدل وإنصاف، وبغير أن تدور حول الموضوع. فقط كتبت بأنها تود إخبارهم بأنها أرادت الخلاص من كل هذه الفوضى، وأنها هى من قتل شايتانا ـ وأنها تعتذر لثلاثتهم عن الإزعاج والمضايقات التى قد عانوا منها. بهدوء تام، كما لو كان خطاب عمل. تماما مثل طبيعة هذه المرأة، والتى كانت شخصية غاية فى البرود".

لم يجب بوارو للحظة أو اثنتين.

إذن فهذا هو القرار الأخير الذى اتخذته السيدة لوريمر. لقد قررت، بعد كل شىء، حماية آن ميريديث... استقر رأيها على موت سريع بلا ألم بدلا من موت طويل مؤلم، وكان آخر ما فعلت أن أنقذت الفتاة التى شعرت تجاهها برابطة سرية من التعاطف ـ بإيثار ـ وخططت ونفذت كل شىء بمنتهى القسوة والكفاءة ـ انتحار معلن للأطراف الثلاثة المعنية. يا لها من امرأة مثيرة للإعجاب! لقد كان تصرفًا نابعًا من شخصيتها ـ من حزمها الواضح، وإصرارها على تنفيذ ما قررته.

فكر فيما دفعها للقيام بهذا. لكن يبدو أنها قد فضلت قيامها بمحاكمة نفسها. يالها من امرأة ذات إرادة شديدة الصلابة!

قطع صوت المفتش خواطر بوارو:

"بالله عليك، ماذا قلت لها بالأمس؟ لابد أنك قد روعتها، وهذه هى النتيجة ـ لكنك ألمحت إلى أن نتيجة مقابلتك لها هى توجيه أصابع الاتهام إلى الفتاة ميريديث".

ظل بوارو صامتًا لحظة أو اثنتين. لقد شعر بأن السيدة لوريمر الراحلة قد أجبرته على الإذعان لرغبتها، وهو أمر لم يكن ليفعله لو كانت لا تزال على قيد الحياة.

وقال فى النهاية ببطء:

"لقد كنت مخطئا.....".

كانت هناك العديد من الكلمات الغريبة على لسانه، والتى لم يكن مرحَبًا بها.

قال المفتش: "لقد ارتكبت خطأ، ومع ذلك، فلابد أنها قد اعتقدت أنك تشتبه بها. يا له من عمل سيئ ـ أن ندعها تتبخر من أيدينا بهذه الصورة".

قال بوارو: "لم تكن تستطيع إثبات أى شىء ضدها".

"أظن أن هذا حقيقى.. ربما هذا أفضل ما استطعنا فعله؛ فأنت لم تكن تقصد أن يحدث ذلك يا سيد بوارو".

نفى بوارو ذلك بشكل قاطع ثم قال:

"أخبرنى بالضبط ماذا حدث".

"فتح روبرتس الخطاب لتوه قبل الساعة الثامنة، ولم يهدر

المزيد من الوقت ـ استقل سيارته بسرعة، تاركًا لخادمته الاتصال بنا، وهو ما فعلته. دخل المنزل ليجد السيدة لوريمر ولم تبرد جثتها بعد، هرول نحو حجرة نومها ـ لكن بعد فوات الأوان. حاول إجراء تنفس صناعى، لكنه لم يُجْدِ نفعًا. ووصل الطبيب الشرعى بعد ذلك بلحظات وأعلن الوفاة".

"ما اسم الأقراص المنومة؟".

"فيرونال، كما أظن ـ أحد عناصر مجموعات الأدوية الباربيتيورية. وكانت هناك زجاجة أقراص بجوار سريرها".

"وماذا عن الاثنين الآخرين؟ هل حاولا الاتصال بك؟".

"ديسبارد خارج المدينة. ولم يتلق البريد الخاص بهذا الصباح حتى الآن".

"وبالنسبة للآنسة ميريديث؟".

"لقد اتصلت بها لتوى".

"وماذا بعد؟".

"كانت قد فتحت الخطاب مباشرة قبل اتصالى بها بدقائق؛ فالبريد يصل هناك متأخرًا".

"وماذا عن رد فعلها؟".

"سلوك مناسب تمامًا ـ راحة شديدة فى الحال بدت عليها مع أنها بدت مصدومة ومكتئبة ـ كان هذا كل شىء".

توقف بوارو لحظة، أو اثنتين، ثم قال:

"إلى أين وصلت الآن، يا صديقى؟".

"فى تشاين لاين".

"حسنا، سوف آتى فى الحال".

فى بهو تشاين لاين، وجد بوارو الطبيب روبرتس جالسًا وسط البهو. لم تكن طلعة الطبيب بهية كالمعتاد هذا الصباح. فقد بدا شاحبًا ومرتجفًا.

"يا له من عمل مقزز، يا سيد بوارو! لا يمكن القول إننى غير مرتاح ـ من وجهة نظرى الشخصية ـ لكنها، لكى أكون صادقا ـ صدمة. لم أتخيل بالفعل، ولو للحظة، أن تكون السيدة لوريمر هى من قتل شايتانا. إنها الأكبر مفاجأة بالنسبة لى".

"أنا أيضا مندهش".

"إنها سيدة هادئة ومهذبة، وتتميز بقدرتها على ضبط النفس، ويستحيل تخيل ارتكابها لمثل هذا الفعل العنيف؛ فماذا كان الدافع لذلك يا ترى؟ آه، حسنًا، لم يعد بإمكاننا معرفة ذلك الآن. ومع ذلك أعترف أننى أشعر بفضول كبير...".

"لابد أن هذه الحادثة قد ازاحت عبئًا كبيرًا عن كاهلك".

"آه، هى كذلك، بلا شك. سيكون من النفاق عدم الاعتراف بذلك. ليس بالأمر السعيد جدا أن تحوم حولك الشكوك فى ارتكاب جريمة قتل. وحتى بالنسبة للسيدة المسكينة ذاتها ـ حسنا، لقد كان الانتحار بلا شك أفضل مخرج لها".

"وهكذا فكرت هى نفسها".

أومأ روبرتس برأسه، قائلا بينما كان يخرج من المنزل:

"أعتقد أن صحوة ضميرها هى السبب".

هز بوارو رأسه مفكرا. لقد أخطأ الطبيب قراءته للموقف؛ فليس تأنيب الضمير هو من دفع السيدة لوريمر للتخلص من حياتها.

وأثناء صعوده للسلالم توقف ليقول بعض كلمات العزاء للخادمة العجوز، والتى كانت تنتحب فى خفوت.

"يا له من شىء مرعب يا سيدى، مرعب جدا. لقد كنا جميعا نحبها. وقد تناولت معها الشاى أمس فى هدوء ولطف. أما الآن فقد رحلت. لن أنسى أبدا هذا الصباح ما حييت. دق السيد المهذب الجرس ثلاث مرات قبل أن أصل إليه. ثم صرخ فى وجهى قائلا: "أين سيدتك؟". كنت مرتبكة للغاية، وأجبته بصعوبة بالغة. كما ترى، فلم نكن نتواجد عند السيدة إلا حينما تدق الجرس ـ هكذا كانت أوامرها. ولم أخرج من ذلك بشىء. وقال الطبيب: "أين حجرتها؟"، وهرول على السلالم، وأنا من ورائه. أشرت إلى باب الحجرة، فدخل مسرعا، ولم يطرق كثيرا على الباب. وألقى نظرة على السيدة بينما كانت ترقد هناك، وقال: "لقد فات الأوان". لقد كانت ميتة، يا سيدى. غير أنه أرسلنى فى طلب الماء الساخن والشراب، ثم أجرى محاولات يائسة لإعادتها للحياة، لكنها لم تُجد نفعا. ثم حضرت الشرطة. لم يكن شيئا لطيفا يا سيدى؛ فالسيدة لوريمر لم تكن لتحب ذلك. ولماذا الشرطة؟ ليس ذلك من شأن الشرطة، بالتأكيد. حتى لو كان الأمر حادثة وقعت بالفعل وتناولت السيدة المسكينة جرعة كبيرة عن طريق الخطأ".

لم يجب بوارو على سؤالها، وإنما قال:

"فى الليلة الماضية، هل كانت سيدتك على ما يرام؟ هل بدا عليها الحزن أو القلق على الإطلاق؟

"لا، لا أعتقد ذلك، يا سيدى. لقد كانت مرهقة، وأعتقد

أنها كانت تتألم. لم تكن بخير فى الفترة الأخيرة يا سيدى".

"نعم، أنا أعرف".

دفع التعاطف الذى ظهر فى صوته المرأة للمضى فى الحديث فقالت:

"لم تكن تشكو من شىء يا سيدى، لكن كلا من الطباخ وأنا كنا أحيانا نشعر ببعض القلق بشأنها. لم تستطع فعل ما اعتادت عليه، وأرهقتها الحياة. أعتقد أن حضور الفتاة الشابة بعد خروجك قد سبب لها الكثير من الألم".

تحرك بوارو للوراء، بينما كانت قدماه تخطو على السلالم قائلا:

"الفتاة الشابة؟ هل حضرت فتاة شابة هنا مساء الأمس؟".

"نعم، يا سيدى. مباشرة بعدما خرجت، واسمها الآنسة ميريديث".

"هل مكثت طويلا؟".

"حوالى ساعة يا سيدى".

صمت بوارو دقيقة أو اثنتين، ثم قال:

"وبعد ذلك؟".

"ذهبت السيدة إلى الفراش، وتناولت طعام العشاء فى فراشها، حيث قالت إنها متعبة".

صمت بوارو مرة ثانية، ثم قال:

"هل تعرفين ما إذا كانت سيدتك قد قامت بكتابة أية خطابات مساء أمس؟".

"تعنى بعد ذهابها إلى الفراش؟ لا أعتقد ذلك يا سيدى".

"لكنك لست متأكدة؟".

"كانت هناك بعض الخطابات على المنضدة معدة للإرسال يـا سيـدى. ودائما كنا نأخذهـا بعد آخر ما نقـوم به من عمل اليـوم. لكننـى أعتقد أنهـا كانت موجـودة هنـاك باكرا ذلك اليوم".

"كم كان عددها؟".

"اثنان أو ثلاثة ـ لست متأكدة تمامًا يا سيدى. أعتقد أنها كانت ثلاثة".

"هل لاحظ من قام بإرسالها العناوين التى دُوِّنت عليها؟ لا تنزعجى من سؤالى ـ إنه أمر غاية فى الأهمية".

"لقد ذهبت من أجل إرسالها بنفسى يا سيدى. لاحظت أن أول الخطابات كان مرسلًا إلى فورتنم وماسونس، ولا أستطيع تذكر إلى من أرسلت باقى الخطابات".

كانت نبرة المرأة جادة ومخلصة.

"هـل أنـت متأكـدة مـن أن عـدد الخطابـات لم يتجـاوز الثلاثة؟".

"نعم يا سيدى، أنا متأكدة تمامًا من ذلك".

أومـأ بوارو رأسـه برزانة. ثـم صعد السلالم مـرة أخرى وقال:

"تعلمين! أنا مقتنع بأن سيدتك قد تناولت الأقراص المنومة لتساعدها على النوم".

"آه، نعم يا سيدى، لقد كانت أوامر الدكتور لانج".

"أين كانت تحتفظ بهذه الأقراص؟".

"فوق الخزانة الصغيرة فى حجرتها".

لم يطرح بوارو المزيد من الأسئلة. صعد السلالم وكان وجهه متجهما للغاية.

قام المفتش بتحيته فى الطابق العلوى، وقد بدا عليه القلق والانزعاج.

"أنا سعيد بلقائك يا سيد بوارو. دعنى أقدمك إلى دكتور دافيدسون".

صافح بوارو الطبيب الشرعى، وكان رجلًا طويلًا متجهم الملامح.

قال: "لقد كان الحظ ضدنا: فلو قَدِمنا مبكرا ساعة أو اثنتين، لكان بإمكاننا إنقاذ حياتها".

قال المفتش: "إمممم، لا يجب علىَّ رسميا أن أقول هذا، لكننى لست حزينا. لقد كانت... لقد كانت امرأة. ولست أعلم ما هى مبرراتها لقتل شايتانا، لكنها من المحتمل أن تكون بررت فعلتها".

قال بوارو: "على أية حال، من غير المؤكد أنها كانت ستعيش لكى تتم محاكمتها؛ فقد كانت امرأة مريضة جدًّا".

أومأ الطبيب برأسه مؤيدًا.

"ينبغى على القول بأنك على حق. حسنا، ربما كان ما فعلته أفضل لها".

ثم نزل على السلالم.

وتحرك المفتش وراءه قائلا:

"لحظة واحدة يا دكتور".

طرق بوارو بيده على باب حجرة النوم، ثم همس: "هل لى أن أدخل؟".

أومأ المفتش برأسه قائلاً: "بالطبع. لقد انتهينا من فحصها".

دخل بوارو الحجرة وأغلق الباب خلفه....

مر حول الفراش ووقف متأملاً الوجه الخامد الساكن.

كان منزعجا للغاية.

هل توفيت السيدة فى محاولة أخيرة منها لإنقاذ فتاة شابة من الموت والفضيحة ـ أم أن هناك تفسيرًا مختلفًا أكثر تشاؤما؟

كانت هناك حقائق مؤكدة....

وفجأة، انحنى للأسفل متفحصا كدمة داكنة اللون على ذراع السيدة الميتة.

اعتدل واقفا مرة أخرى. كانت هناك ومضة غريبة ـ تشبه لمعة القطط ـ فى عينيه، يعرفها رفاقه المقربون.

غادر الحجرة بسرعة، ونزل السلالم. كان المفتش ومرءوسه بجوار الهاتف. رفع الأخير السماعة وقال:

"لم يعد حتى الآن يا سيدى".

قال المفتش: "يقصد الرائد ديسبارد. لقد كنت أحاول الوصول إليه. يوجد خطاب من أجله عليه ختم بريد تشيلسى".

طرح بوارو سؤالا خارج الموضوع قائلا:

"هل كان الطبيب روبرتس قد تناول طعام الإفطار قبل

حضوره إلى هنا؟".

حدق المفتش النظر إليه، ثم قال:

"لا، لقد تذكرت أنه ذكر خروجه بغير أن يتناوله".

"لهذا، سيكون بمنزله الآن. نستطيع الوصول إليه".

"لكن لماذا...؟".

إلا أن بوارو كان مشغولاً بإجراء المكالمة، حيث قال:

"دكتور روبرتس؟ هل معى الطبيب روبرتس؟ إنه أنا، هيركيول بوارو. فقط سؤال واحد. هل تستطيع التعرف جيدًا على خط السيدة لوريمر؟".

"خط السيدة لوريمر؟ أنا ـ لا، لا أعرف، فأنا لم يسبق لى أن رأيته".

"شكرا لك".

وضع بوارو سماعة الهاتف بسرعة.

كان المفتش يحدق النظر نحوه، ثم سأله فى هدوء:

"ما الخطب يا سيد بوارو؟".

جذبه بوارو من ذراعه قائلاً:

"اسمع يا صديقى: بعد خروجى من المنزل بدقائق قليلة أمس وصلت الآنسة آن ميريديث. لقد رأيتها بالفعل تصعد السلالم على الرغم من أننى لم أكن متأكدًا وقتها من شخصيتها. وبعد خروج آن ميريديث فورًا، ذهبت السيدة لوريمر إلى الفراش. ووفق ما تذكره الخادمة، لم تقم بكتابة أية خطابات فى ذلك الوقت. ثم ـ ولأسباب ستفهمها عندما أسرد لك ما دار فى هذه المقابلة بيننا ـ إننى لا أعتقد أنها كتبت هذه الخطابات الثلاثة

قبل زيارتى. فمتى تكون كتبتها إذن؟".

قال المفتش: "بعد خلود الخادمين للنوم، استيقظت وأرسلتها بنفسها".

"شىء محتمل، نعم، لكنّ هناك احتمال آخر ـ ألا تكون قد كتبتها على الإطلاق".

أطلق المفتش صفيرا ثم قال:

"يا إلهى، أنت تعنى...".

رن جرس التليفون، فرفع الخادم السماعة. استمع دقيقة، ثم اتجه إلى المفتش قائلا:

"الرقيب أوكونور يتحدث من شقة ديسبارد، يا سيدى. هناك ما يدعو للاعتقاد بأن الرائد ديسبارد قد ذهب بالفعل إلى وولينجفورد على نهر التايمز".

جذب بوارو المفتش من ذراعه، ثم قال:

"بسرعة يا صديقى؛ فعلينا، نحن أيضا، الذهاب إلى وولينجفورد. دعنى أخبرك بشىء؛ أنا لست مقتنعًا؛ فقد لا تكون هذه هى النهاية. دعنى أقلها مرة أخرى يا صديقى: هذه الفتاة الشابة خطيرة للغاية".

الفصل ٢٩

الحادثة

قالت رودا: "آن".

"ماذا!؟".

"كلا، يا آن، لا تجيبينى وذهنك مشتت بالكلمات المتقاطعة أريد منك الحضور".

"أنا منتبهة".

جلست آن منتصبة، وتبدو عليها علامات الصدمة، ثم وضعت الورقة.

قالت رودا: "هذا جيد. اسمعى يا آن، الأمر بخصوص ذلك الرجل القادم إلى هنا".

"المفتش باتل؟".

"نعم يا آن، أتمنى لو أخبرته عن خدمتك لآل بنسون".

بدا صوت آن أكثر برودًا وهى تقول:

"هراء، لمَ ينبغى علىّ فعل ذلك؟".

"لأن الأمر يبدو كأنك تخفين شيئا ما، وأنا متأكدة أنه من الأفضل أن تذكريه".

قالت آن ببرود: "لست أستطيع فعل ذلك الآن".

"أتمنى لو أنك قد ذكرته من البداية".

"حسنا، لقد فات أوان الحديث فى مثل هذا الموضوع الآن".

قالت رودا بغير اقتناع: "حسنًا".

قالت آن بحدة أكبر: "على أية حال، أنا لا أجد سببا يدفعنى لذلك؛ فليس للأمر علاقة بما يحدث الآن".

"لا، بالطبع لا".

"لقد قضيت هناك فقط حوالى شهرين، وقد أراد المفتش معرفة الأماكن التى عملت بها ليسأل عنى هناك، ولا أظن أن شهرين يكفيان كمرجع يُستدَل منه على أى شىء".

"لا. أنا أعلم، وأشعر أنه يجب عليك أن تخبرى المفتش بذلك الأمر؛ فلو أنه توصل إلى تلك المعلومات بطريقة أخرى، فسيبدو الأمر سيئًا بالنسبة لك ـ أقصد سيبدو كما لو أنك كنت تخفين معلومات قد تفيد الشرطة فى التحقيق".

"لا أفهم كيف يمكن له أن يعرف؛ فلا أحد يعلم سواك".

"كلا؟".

انقضت آن على التردد الواضح فى صوت رودا قائلة:

"لماذا، من يعلم؟".

قالت رودا بعد لحظة من التوقف: "حسنا، كل الناس فى كومبيكر".

هـزت آن كتفيها بلا مبـالاة، ثم قالـت: "آه، هذا! من غير المحتمـل أن يقابل المفتش أى شخص من هنـاك، وإلا ستكون مصادفة غير عادية، لو فعل ذلك".

"المصادفة تحدث أحيانًا".

"رودا، يبدو أن اهتمامك بهذا الموضوع مبالغ فيه ويثير الكثير من الجلبة".

"أعتذر بشدة، يا عزيزتى، فأنت وحدك تعلمين ماذا قد تفعل الشرطة لو علمت أنك كنت ـ حسنًا ـ تخفين معلومات".

"لن تعلم. فمن سيخبرهم؟ لا أحد يعلم سواك".

وكانت المرة الثانية التى تردد فيها هذه الجملة.

وفى هذه المرة الثانية بدا صوتها متغيرًا بعض الشىء ـ بدا فيه شىء غريب... شىء مخيف.

قالت رودا فى حزن: "آه، عزيزتى، أتمنى لو أنك".

نظرت رودا بأسى نحو آن، لكن آن لم تكن تنظر نحوها؛ فقد كانت تجلس متجهمة، كما لو كانت تجرى بعض الحسابات فى عقلها.

قالت رودا: "من الممتع أن الرائد ديسبارد سوف يحضر".

"ماذا؟ آه، نعم".

"إنه جذاب يا آن. إذا لم تكونى ترغبينه، فاتركيه لى".

"لا تكونى سخيفة، يا رودا ـ إنه لا يهتم بى على الإطلاق".

"إذن، فلماذا حرص على الحضور؟ بالطبع هو مهتم بك؛ فأنت من نوعية الفتيات اللاتى يحتجن إلى المساعدة، والتى سيسعد بتقديم العون لهن. أنت تبدين جميلة وعاجزة يا آن".

"إنه يتصرف بلطف مع كل منا".

قالـت رودا بفظاظـة: "هـذا فقـط مـن لطفـه، لكـن إذا لم تكونى تريدينه، فأنا أستطيع القيام بدور الصديقة المخلصة ـ أعَزِّى قلبـه المجروح، إلخ، إلخ؛ وفى النهاية قد أستولى عليه فمن يدرى؟".

قالت آن ساخرة: "أنا متأكدة من أنه سيرحب بك كثيرًا،

عزيزتى".

تنهدت رودا، ثم قالت: "إنه يبدو وسيما، وتبدو عليه القوة".

"عزيزتى، هل يجب أن تتحدثى بهذه الصبيانية؟".

"هل أنت معجبة به يا آن؟".

"نعم، جدا".

"ألسنا متزمتتين ونتسم بالرصانة؟ أظن أنه معجب بى بعض الشىء - ليس إلى مستوى إعجابه بك، لكنه معجب بى".

قالت آن: "آه، لكنه معجب بك".

للمرة الثانية تظهر نبرة غير معتادة فى صوتها، غير أن رودا لم تسمعها.

سألتها رودا: "فى أى وقت سوف يحضر رجل المباحث هذا؟".

ردت آن قائلة: "فى الثانية عشرة". ثم صمتت لحظة أو اثنتين وبعدها قالت: "إنها لم تتجاوز العاشرة والنصف الآن. هيا نخرج نحو النهر".

"لكن ألم يقل الرائد ديسبارد إنه سوف يأتى فى حوالى الحادية عشرة؟".

"لماذا علينا انتظاره؟ نحن نستطيع ترك رسالة مع السيدة آستويل، والتى سنمر عليها، ويمكنه اللحاق بنا عبر الطريق بجوار النهر".

قالت رودا ساخرة: "بحق، لا تقللى من شأن نفسك يا

عزيزتى، كما كانت أمى تقول دائما! هيا بنا".

خرجت رودا من الحجرة عبر باب الحديقة. وتبعتها آن.

وصل الرائد ديسبارد إلى فيلا ويندون بعد ذلك بحوالى عشر دقائق. كان يعلم أنه وصل قبل ميعاده، لذلك لم يتعجب كثيرا عندما وجد الفتاتين قد خرجتا بالفعل.

سار عبر الحديقة، والحقول، ثم دار نحو اليمين بطول الطريق المحاذى للنهر.

ظلت السيدة آستويل تنظر إليه دقيقة أو اثنتين، بدلا من أن تزاول عملها الصباحى.

قالت محدثة نفسها: "يا له من شخص جذاب، أظن أنه قد أتى من أجل الآنسة آن، لكنى لست متأكدة. لم يتحول كثيرا بوجهه، فأذواق أمثاله متشابهة. لست متأكدة أن كلتيهما معجبة به، أيضا. لو كانتا كذلك، فلن تظل صداقتهما فترة طويلة؛ فليس هناك ما يفصل عرى الصداقة بين شابتين إلا رجل وسيم".

عادت السيدة آستويل إلى مزاولة مهام غسل أطباق الإفطار، وهى منبهرة بالموقف الرومانسى، ثم دق جرس الباب مرة أخرى.

قالت السيدة آستويل: "تبا لهذا الباب! إنه لشىء متعمد، أظن أنه طرد، أو ربما تكون برقية".

تحركت ببطء أمام الباب.

كان هناك رجلان واقفان: رجل صغير أجنبى، ورجل إنجليزى إلى أقصى درجة، ضخم الجثة، ذو ملامح قوية

وتوحى بالتهذيب.

تذكرت أنها قد سبق لها أن رأت ذلك الأخير.

سأل الرجل ضخم الجثة قائلًا: "هل الآنسة ميريديث فى المنزل؟".

"خرجت لتوها".

"فعلا؟ إلى أين؟ لم نقابلها".

كانت السيدة آستويل تتفحص سرا الشارب المذهل للرجل الآخر، واعتقدت أنهما لا يبدوان صديقين، وتطوعت بالإدلاء بالمزيد من المعلومات. فقالت: "خرجت نحو النهر".

قاطعها الرجل المهذب الآخر قائلًا:

"والآنسة الأخرى؟ الآنسة دوز؟".

"لقد خرجتا معا".

رد المفتش: "آه، شكرا لك. هلا أوضحت لى كيف يمكننا الوصول إلى النهر؟".

أجابت السيدة آستويل على الفور: "أولا، اتجه نحو اليسار، بمحاذاة الممر الضيق، وعندما تصل إلى الطريق بطول النهر، اتجه لليمين. لقد سمعتهما تقولان إن هذا هو الطريق الذى ستسلكانه" وأضافت متطوعة: "لم تمر أكثر من ربع ساعة منذ أن خرجتا، ستلحقان بهما سريعا".

وأضافت بينما كانت تغلق الباب الأمامى على مضض، وهى تحدق إليهما وهما يبتعدان: "أنا أتساءل: من أنتما؟ إننى لست أستطيع تصنيفكما، بطريقة أو بأخرى".

عادت السيدة آستويل إلى مغسلة المطبخ، بينما اتخذ كل

من المفتش باتل وبوارو أول دوران عند اليسار، كما ينبغى، ثم اليسار، عند الممر الضيق الذى امتد حديثًا. قاطعًا الطريق المار بالنهر.

كان بوارو مسرعًا، فنظر إليه المفتش بفضول، قائلًا:

"ما الخطب يا سيد بوارو؟ تبدو مسرعًا بصورة هائلة".

"هذا صحيح. أنا لست مرتاحًا، يا صديقى".

"هل هناك ما يريب؟".

هز بوارو رأسه مجيبًا:

"لا. لكن هناك احتمالات. لن تعرف أبدا......".

قال المفتش: "هناك شىء ما يدور برأسك. لقد ألححت على مجيئنا هنا هذا الصباح من غير إضاعة لحظة - وقد جعلت الضابط تيرنر يقود السيارة بأقصى سرعة! مم تخاف؟ هل ضربت الفتاة ضربتها بالفعل؟".

كان بوارو صامتًا.

كرر المفتش: "ممَّ تخاف؟".

" مَمَّ يخاف المَرء دائما فى مثل هذه الحالات؟".

أومأ المفتش برأسه مجيبًا:

"أنت محق تماما. أنا أتساءل".

"تتساءل عن ماذا، يا صديقى؟".

قال المفتش ببطء:

"أتساءل عما إذا ما كانت الآنسة ميريديث تعلم بأن صديقتها أخبرت السيدة أوليفر بواحدة من المعلومات المؤكدة".

أومأ بوارو برأسه فى تقدير واضح، ثم قال:

"أسرع، يا صديقى".

كانا يهرولان عبر الطريق بطول ساحل النهر. لم تكن هناك أية مركب ظاهرة علـى سطح المياه، لكنهما فى الحال دارا فى منعطـف. وفجأة وقـف بوارو متخشبًا، وقد لمحـت عينا المفتش السريعتان ما رآه بوارو، فقال:

"الرائد ديسبارد".

كان ديسبارد يبعد عنهما حوالى بمائتى ياردة أمامهما، ويسير بطول ساحل النهر.

وكانت الفتاتان أبعد قليلًا على مرمى البصر تجلسان فى قارب صغير فى المياه. كانت رودا تقود القارب، وكانت آن ترقد وتسخر منها. لم تكن أى منهما تنظر نحو الساحل.

وبعـد ذلك حدث الأمر ـ امتدت يد آن، ثم... ترنحت رودا، وسقطـت من فوق المركـب ـ تعلقت رودا باستماتـة بأكمام آن، فتأرجـح القـارب، تحول المشهـد إلى قارب طويـل ينقلب على ظهره وفتاتين تصارعان الغرق.

صرخ المفتش وهو يجرى قائلًا: "هل رأيت هذا؟ لقد أمسكتها الآنسة ميرديث من رسغها ودفعتها. يا إلهى، إنها رابع جريمة قتل تقوم بها!".

كان كل منهما يجريان بسرعة، لكن شخصًا ما كان على أسرع منهما. كان واضحًا أن كلتا الفتاتين لا تستطيع السباحة، لكن ديسبارد جرى بسرعة أكثر بطول الطريق إلى أقرب نقطة، ثم قفز وسبح باتجاههما.

صرخ بوارو: "يا إلهى، شىء مثير". ثم أمسك المفتش من ذراعه قائلًا: "إلى من سيتجه ديسبارد أولا؟".

لم تكن الفتاتان معًا؛ حيث كانت تفصل بينهما اثنتا عشرة ياردة.

سبح ديسبارد بقوة نحوهما ـ وبدون أدنى شك، كان يتجه نحو رودا.

وصل المفتش، إلى أقرب ساحل ثم قفز. نجح ديسبارد لتوه فى اجتذاب رودا إلى الشاطئ. حملها، ثم وضعها على الأرض، ثم غطس مرة أخرى، حيث البقعة التى كانت آن لتوها تغرق فيها.

قال المفتش: "احترس، هناك أعشاب ضارة".

وصل بوارو والمفتش باتل إلى البقعة فى نفس الوقت، لكن آن كانت قد سقطت إلى الأسفل قبل وصولهما إليها.

قاما بإخراجها فى النهاية، وسحباها معًا نحو الشاطئ.

كان بوارو يعتنى بـ رودا، وقد استطاعت أن تقف الآن، لكن تنفسها كان متقطعا.

وضع ديسبارد والمفتش آن ميريديث على الأرض.

قـال المفتش: "ليسـ أمامنا سـوى إجراء تنفسـ صناعى، لكننى أخشى من أن تكون قد ماتت".

بـدأ يعمل بانتظـام، ووقف بـوارو بالقـرب منـه، مستعدًّا لنجدته.

جلس ديسبارد على ركبتيه إلى جوار رودا ثم سألها بلهفة:

"هل أنت بخير؟".

قالت ببطء:

"لقد أنقذتنى. لقد أنقذتنى..."رفعت يدها باتجاهه، وبينما كان يمسكها، انفجرت فجأة فى البكاء.

قال: "رودا....".

تشابكت يداهما.....

لاحت فى مخيلته صورة مفاجئة لأحد الأحراش الأفريقية، ورأى رودا تجلس ضاحكة بجواره، وقد تدفقت فيها مشاعر المغامرة.

الفصل ٣٠

جريمة القتل

قالت رودا فى دهشة: "هل تعنى أن آن كانت تقصد أن تغرقنى؟ أعرف أن الأمر قد بدا هكذا. وكانت تعلم أننى لا أجيد السباحة. لكن... لكن هل كان هذا مُتعمَّدًا؟".

قال بوارو: "كان متعمَّدًا جدًّا".

كانا يمران عبر ضواحى لندن.

"لكن... لكن... لماذا؟".

لم يجب بوارو للحظة أو اثنتين. كان يظن أنه يعرف أحد الدوافع التى جعلت آن تتصرف على هذا النحو، وكان الدافع يجلس إلى جوار رودا فى هذه اللحظة.

سعل المفتش، ثم قال:

"سيكون عليك إعداد نفسك، يا آنسة دوز، لتلقى صدمة. إن السيدة بنسون التى كانت تعيش مع صديقتك، لم يكن موتها حادثا عارضا كما ظهر ـ فنحن، على الأقل، لدينا من المبررات ما يجعلنا نستبعد ذلك".

"ماذا تقصد؟".

قال بوارو: "نحن نعتقد أن آن ميريديث قامت بتغيير الزجاجتين".

"أوه، كلا، يا له من أمر مفجع! مستحيل... آن؟ ولماذا تفعل هذا؟".

قال المفتش باتل: "كانت لديها مبرراتها، لكن بيت القصيد، آنسة دوز، هو أن الآنسة ميريديث كانت تدرك أنك الشخص الوحيد الذى قد يعطينا أحد المفاتيح لفهم الحادث. أنت لم تخبريها، كما أعتقد، بأنك قد ذكرت ذلك للسيدة أوليفر؟".

قالت رودا ببطء:

"لا. لقد اعتقدت أنها قد تغضب منى".

قال المفتش بصلابة: "كانت ستغضب منك غضبًا شديدًا، لكنها فكرت فى أن الخطر الوحيد سيكون منك، وهذا هو ما دفعها لتصمم على ـ الخلاص منك".

"الخلاص منى؟ أنا؟ أوه، يا له من شىء وحشى! لا يمكن أن يكون كل ذلك حقيقيًّا".

قال المفتش: " حسنا، إنها ميتة الآن، لذا علينا الانتهاء من مناقشة هذا الموضوع؛ لكنها لم تكن بالصديقة الجيدة التى تتخذينها يا آنسة دوز ـ وهذه حقيقة".

توقفت السيارة أمام الباب.

قال المفتش: "سوف ندخل لمقابلة السيد بوارو، ونتحدث قليلًا حول ما يتعلق بهذا الأمر".

فى حجرة استقبال منزل بوارو، قامت السيدة أوليفر بتحيتهم، وقد كان الدكتور روبرتس فى ضيافتها. كانوا يتناولون الشراب، وكانت السيدة أوليفر ترتدى إحدى قبعات راكبى الخيول مع فستان ناعم به انحناءة من أعلى الصدر على شكل قلب تفاحة.

قالت السيدة أوليفر مرحبة، كما لو كان المنزل منزلها وليس منزل السيد بوارو:

"تفضلوا بالدخول... تفضلوا بالدخول. بمجرد أن تلقيت مكالمتكم، قمت بالاتصال بالطبيب روبرتس، وحضرنا هنا الآن. ورغم أن كل مرضاه فى أشد الحاجة إليه، لكنه لم يبال. على الأرجح سوف تتحسن صحتهم، حقا. نحن نرغب فى سماع كل شىء عن كل شىء".

قال روبرتس: "نعم، فى الواقع، أنا مشوش تمامًا".

قال بوارو: "حسنا، لقد انتهت القضية، وقد وجدنا فى النهاية قاتل السيد شايتانا".

"هكذا قالت السيدة أوليفر ـ إنها هذه الصغيرة الجميلة، آن ميريديث. أنا بالكاد أستطيع تصديق كل هذا. إنها أكثر جريمة قتل غير معقولة".

قال المفتش: "إنها كانت قاتلة بحق، وقد ارتكبت ثلاث جرائم بمنتهى برود الأعصاب ـ ولم يكن خطؤها أنها لم تنج بجريمتها الرابعة".

تمتم روبرتس: "شىء لا يصدق!".

قالت السيدة أوليفر: "لا عليك، عادة ما يكون القاتل أقل الشخصيات احتمالية. يبدو كأنها تحدث فى الحياة الواقعية تمامًا كما فى الروايات البوليسية".

قال روبرتس: "لقد كان يومًا مثيرًا، بداية من خطاب السيدة لوريمر. أظن أنها زورت تلك الخطابات، أليس كذلك؟".

"بالتأكيد. ثلاثة خطابات مزيفة".

"هل كتبت خطابا لنفسها أيضا؟".

"بالطبع. وقد كانت النسخ المزورة مكتوبة بمهارة كبيرة ـ

لكنها لم تكن لتخدع خبير خطوط بالطبع، ولكن لم يكن من المحتمل استدعاء خبير إلى هنا: فكل الأدلة كانت تشير إلى أن السيدة لوريمر قد انتحرت".

"اعذرنى لفضولى يا سيد بوارو، لكن ما الذى جعلك تشك فى أنها لم تنتحر؟".

"محادثة صغيرة أجريتها مع الخادمة فى تشاين لان".

"هل أخبرتك بزيارة آن ميريديث الليلة السابقة؟".

"هذا من بين عدة أشياء، ولكنى حينها كنت قد توصلت إلى استنتاج فى عقلى عن هوية المجرم - وهو أن من قتل شايتانا، ليست السيدة لوريمر".

"فلماذا شككت فى الآنسة ميريديث؟".

رفع بوارو يده.

"لحظة واحدة. دعونى أقرِّب هذه الفكرة بطريقتى الخاصة. دعونى - بكلمة أخرى - أستبعد المشتبه بهم، إن قاتل السيد شايتانا لم تكن السيدة لوريمر، ولا أنت أيها الرائد ديسبارد، والأمر المثير للفضول هو أن آن ميريديث لم تقتل السيد شايتانا....".

ثم مال للأمام، وبدا صوته ناعمًا وأشبه بصوت القطط.

"كما ترى، يا دكتور روبرتس، فأنت الشخص الذى قتل السيد شايتانا، وقمت أيضا بقتل السيدة لوريمر.........".

مرت على الأقل ثلاث دقائق من الصمت. ثم ضحك روبرتس ضحكة هيستيرية، وقال:

"هل أنت مجنون، يا سيد بوارو؟ أنا بالتأكيد لم أقتل السيد

شايتانا، ولم أقتل بالطبع السيدة لوريمر. عزيزى المفتش" - ثم استدار نحو رجل الشرطة قائلاً: "هل أنت مقتنع بذلك؟".

قال المفتش بهدوء: "أظن أنه من الأفضل أن تستمع إلى ما يقوله السيد بوارو".

ثم قال بوارو:

"على الرغم من علمى من فترة بأنه أنت - وليس غيرك - من يستطيع قتل شايتانا، فلم يكن من السهل إثبات ذلك. غير أن الأمر بالنسبة لقضية السيدة لوريمر كان مختلفا تمامًا".

ثم مال للأمام مستكملا: "لم يكن الأمر متعلقا بذكائى، بل كان أبسط بكثير من ذلك - حيث وجدنا الشاهد الذى رآك تفعلها".

بدا روبرتس أكثر هدوءًا، وقد لمعت عيناه. ثم قال بسرعة:

"إن ما تقوله هراء!".

"أوه، لا، ليس كذلك. كان ذلك فى الصباح الباكر. حيث خدعت الخادمة لكى تتسلل إلى حجرة السيدة لوريمر، بينما كانت لا تزال تغط فى نوم عميق تحت تأثير الأقراص التى تناولتها فى الليلة السابقة. ثم مارست خداعك للمرة الثانية - حيث تظاهرت أنك قد علمت من نظرة واحدة ألقيتها على السيدة لوريمر أنها قد ماتت! وبعدها طلبت من الخادمة أن تحضر بعض الشراب - الماء الساخن - وبقية الأشياء التى تحتاج إليها فى إسعاف المرضى، وأصبحت وحدك فى الحجرة، ولم تكن الخادمة قادرة على معرفة ما يجرى فيها، ثم ماذا حدث؟

"قد لا تكون مدركًا لما دار حولك فى الواقع يا دكتور روبرتس، لكن هناك شركات مختصة بتنظيف النوافذ تتخصص فى العمل فى الفترات الصباحية. وقد وصل عامل تنظيف النوافذ مع معداته فى نفس الوقت الذى وصلت فيه، حيث وضع معداته على جانب المنزل، ثم بدأ يعمل. وكانت أول نافذة بدأ بها هى نافذة حجرة السيدة لوريمر. وعندما شرع فى العمل أصبح بإمكانه أن يرى ما يجرى بداخلها، وبسرعة تحول إلى نافذة أخرى، لكنه كان قد رأى بالفعل شيئًا ما قبل تحوله. وسيقوم بنفسه بسرد قصته".

تحرك بوارو بخفة على الأرض، ثم أدار مقبض الباب، مناديا:

"تفضل بالدخول يا ستيفن" ثم عاد بوارو إلى داخل الحجرة.

دخل رجل ضخم الجثة مرتبك المظهر، ذو شعر أحمر. كان يحمل فى يده قبعة عمل تحمل شعارا كتب أسفله "شركة تشيلسى لتنظيف النوافذ" والتى كان يَبْرُمها على نحو مربك.

قال بوارو:

"هل هناك شخص تستطيع التعرف عليه فى هذه الحجرة؟".

نظر الرجل حوله، ثم أشار برأسه فى خجل إلى الطبيب روبرتس.

وقال: "هذا".

"أخبرنا عن رؤيتك له سابقًا، وماذا كان يفعل".

"لقد رأيته فى ذلك الصباح حيث يبدأ عملى فى الساعة الثامنة بمنزل فى تشاين لان. وقد بدأت بالنافذة هناك، حيث كانت هناك سيدة ترقد فوق السرير، وتبدو عليها آثار المرض - كانت فقط تحرك رأسها على الوسادة. وقد فهمت أن هذا الرجل طبيب، لأنه رفع أكمامها ثم حقنها بشىء ما فى ذراعها، تقريبا فى هذه المنطقة...". ثم أشار إلى ذراعه وأردف: "ثم تحركت السيدة مرة أخرى فقط على الوسادة، فرأيت أنه من الأفضل التحول إلى نافذة أخرى، ففعلت، متمنيا ألا أكون قد أخطأت بأى حال؟".

قال بوارو: "لقد تصرفت على نحو رائع، يا صديقى".

ثم استطرد بهدوء:

"ما هو ردك يا دكتور روبرتس؟".

رد روبرتس متلعثمًا: "لقد حقنتها بمنشط بسيط. كل ما فعلته هو محاولة أخيرة لإنقاذها. كان شيئًا فظيعًا...".

قال بوارو: "منشط بسيط؟ حمض الميثيل سيكلو هيكسين، والميثيل مالونيل".

قام بفتح الورقة الزيتية ثم قال: "معروف بأنه أكثر بساطة من الإيفيبان، ويستخدم للتخدير عند إجراء العمليات الجراحية القصيرة المدى. والحقن الوريدى منه بجرعات كبيرة يسبب فقدان الوعى فى الحال، ويعد استخدامه بعد تعاطى الفيرونال أو أية عقاقير من المجموعة الباربيتيورية خطيرًا. لقد لاحظت الكدمة التى كانت على ذراعها، والتى تدل على حقنها وريديًا بشىء ما، وقد ألمحت للطبيب الشرعى

بما حدث، وتمت معرفة المخدر بسهولة بواسطة السيد تشارلس إمفرى، المحلل بوزارة الداخلية البريطانية".

قال المفتش: "أعتقد أنه بهذا تكون القضية قد انتهت، وليس هناك من حاجة لإثبات جريمة قتل شايتانا، على الرغم، من أننا نستطيع توجيه اتهام إضافى لك بقتل السيد تشارلز كرادوك ـ وكذلك زوجته أيضا".

كان ذكر هذين الاسمين كفيلاً بتدمير مقاومة روبرتس، فاتكأ للخلف على مقعده، قائلاً:

"أنا أستسلم، وأعترف بأنك قد تمكنتم منى! لقد كنت أعتقد أن الشيطان الخبيث شايتانا كان قد أخبركما بالحقيقة قبل حضوركما فى هذه الليلة، وكنت أظن أننى قد أسكته بمنتهى البراعة".

قال المفتش: "ليس شايتانا هو صاحب الفضل فى كشفك، بل الفضل كله يرجع إلى السيد بوارو".

اتجه إلى الباب ودخل رجلان.

بدا صوت المفتش رسميًّا عندما أصدر الأمر بالقبض عليه.

وعندما أغلق الباب خلف الرجل المتهم، قالت السيدة أوليفر فى سعادة صادقة: "كنت دائما أقول إنه من فعلها".

الفصل ٣١

كل الأوراق على الطاولة

لقد كانت لحظة بوارو، حيث كانت كل الوجوه متطلعة لوجهه فى شوق ولهفة.

قال مبتسما: "أنتم طيبون للغاية. أتعلمون! أعتقد أننى سوف أستمتع بإلقاء المحاضرات كجزء من طبيعتى باعتبارى محققًا عجوزًا ومغرورًا.

"إن هذه القضية، بالنسبة لى، تعد من أكثر القضايا التى مررت عليها إثارة. فلم يكن هناك أى شىء، كما ترون، يمكن الاستناد إليه. كان هناك أربعة أشخاص، لا بد أن يكون أحدهم قد ارتكب الجريمة، لكن مَنْ منهم؟ هل كان هناك ما يكشف عن أحدهم؟ كدليل مادى ـ لا. لم يكن هناك أى دليل مادى؛ فلا توجد بصمات أصابع، ولا وثائق أو مستندات إدانة لم يكن هناك سوى الأشخاص أنفسهم.

ودليل واحد مادى ـ نتائج لعبة الورق.

"قد تتذكر أيها المفتش أننى منذ البداية قد أبديت اهتمامًا كبيرًا بهذه النتائج؛ فقد أخبرتنى بشىء ما عن هؤلاء اللاعبين. وأكثر من ذلك، فقد أعطتنى إشارة ثمينة، حيث لاحظت فى الدور الثالث، وجود رقم ٢٢٥٠ فوق الخط. هذا الرقم يمكنه فقط أن يعكس شيئًا واحدًا ـ وهو الفوز الساحق. والآن إذا تسنى للشخص إعمال عقله فى ارتكاب جريمة تحت مثل هذه

الظروف غير العادية (وهى أن تتم أثناء لعب الورق) فإن هذا الشخص سيكون فى مواجهة مجازفتين خطيرتين: الأولى، هى أنه ربما تصرخ الضحية، والثانية، هى أنه حتى ولو لم تصرخ فربما تصادف أن رفع أحد الثلاثة الباقين بصره فى اللحظة المناسبة وشاهد الجريمة بالفعل.

"والآن، وبالنسبة للمجازفة الأولى، فلا يمكن التصرف حيالها: فهى مسألة حظ. أما الثانية فهناك ما يمكن فعله حيالها. والذى يعتمد على أنه أثناء إحدى الدورات المثيرة للعبة، سيكون كل اللاعبين منغمسين بصورة تامة فى اللعب، فى الوقت الذى من المحتمل بصورة أكبر أن يتحول تركيزهم عندما تكون دورة اللعب مملة وغير مثيرة. والآن فإن الدور الذى يحرز فيه أحد اللاعبين أوراقا قيِّمة تسمح له بالمخاطرة فى اللعب سيكون دائمًا مثيرًا لهم: فكثيرًا ما يحدث (مثلما حدث فى هذه الحالة) أن يضاعف ذلك اللاعب من مخاطرته. إن كل شخص من اللاعبين الثلاثة سوف ينتبه بشدة إلى المعلن ليعرف دوره، وإلى خصومه لكى يضع الورق بطريقة صحيحة، وينتصر عليهم. وهنا، يستطيع المجرم ارتكاب جريمته أثناء هذا الدور بعينه، ولقد قررت أن أكتشف، قدر استطاعتى، بالضبط كيف كانت اللعبة تسير وقتها. واكتشفت فى الحال أن الفوز أثناء هذا الدور كان للدكتور روبرتس. استوعبت هذا الأمر ثم حاولت فهمه من زاوية أخرى ـ الاحتمالات النفسية.

من بين الأربعة المشتبه فيهم استوقفتنى السيدة لوريمر حيث وجدتها أكثر شخصية تستطيع تخطيط وتنفيذ جريمة

قتل ناجحة ـ لكننى لم أتقبل فكرة ارتكابها لأى جريمة مرتجلة بصورة مفاجئة. وعلى الجانب الآخر حيرنى أسلوبها فى أول الليل؛ حيث أوحى بأنها إما تكون قد ارتكبت الجريمة بنفسها، أو أنها تعرف من قام بارتكابها. أما الآنسة ميريديث، والرائد ديسبارد والطبيب روبرتس فقد كانوا جميعا مجرد احتمالات نفسية. مع ذلك، فكما ذكرت، فإن كلا منهم يمكن أن يكون قد قام بارتكاب الجريمة من زاوية أخرى.

"ثم أجريت بعد ذلك الاختبار الثانى. استدعيت كلا منهم على حدة لكى يخبرنى بما يتذكره عن الحجرة. ومن ذلك حصلت على معلومات ثمينة جدًا. فقبل كل شىء، كان الشخص الأكثر احتمالية، أن يكون قد لمح الخنجر هو الطبيب روبرتس؛ فقد كان من طبيعته ملاحظة الأشياء الصغيرة من أى نوع ـ وهو من يطلق عليه الرجل اللماح. وفى أدوار اللعبة، لم يتذكر، مع هذا، أى شىء بطريقة عملية على الإطلاق؛ ولم أكن أتوقع منه أن يتذكر كثيرا. لكن نسيانه التام أشار إلى أن شيئًا ما كان يدور برأسه طوال الليلة. للمرة الثانية ـ كما ترون ـ كانت أصابع الاتهام تشير إلى الطبيب روبرتس.

"لقد وجدت أن لدى السيدة لوريمر ذاكرة رائعة عن الأوراق، وتمكنت جيدًا من أن أتخيل أن هناك شخصا ما يتمتع بمثل قدرتها على التركيز بإمكانه أن يرتكب جريمة قتل بسهولة بالقرب منها دون أن تلاحظ هى أى شىء. وقد أعطتنى معلومة ثمينة؛ فالمخاطرة الكبيرة التى قام بها الدكتور روبرتس كانت طبقًا لنوعية الأوراق التى بيدها، وليست بيده هو، لذلك لا بد

أنها بالضرورة قد لعبت الدور حسب نوعية الأوراق التى خاطر بها.

"الاختبار الثالث، وهو الاختبار الذى عوَّلت عليه كثيرًا، أنا والمفتش باتل، كان محاولة اكتشاف الجرائم الأولى لكى نسلك سبلا متطابقة. حسنا، لقد كان اكتشاف هذه الجرائم مهمة المفتش باتل، والسيدة أوليفر، والكولونيل ريس. وبعد مناقشة القضية مع صديقى المفتش، اعترف بإصابته بالإحباط حيث لم تكن هناك أية نقاط تشابه بين الجرائم الثلاث الأولى وبين مقتل السيد شايتانا. لكن فى الحقيقة لم يكن هذا صحيحًا؛ فعند فحص الجريمتين الأوليين اللتين تتعلقان بالطبيب روبرتس من وجهة النظر النفسية وليس المادية، سنجد أنهما متشابهتان تمامًا. إلى جانب أن هاتين الجريمتين تنتميان إلى ما أطلق عليه "الجرائم العامة".

فرشاة حلاقة شديدة التلوث فى غرفة ملابس الضحية بينما كان الطبيب روبرتس يغسل يده بعد الزيارة. ثم مقتل السيدة كرادوك بفيروس التيفود تحت غطاء التطعيم بلقاح المرض، وللمرة الثانية تتم الجريمة بصورة علنية على مرأى ومسمع من الجميع كما يمكنك أن تقول. ورد فعل الرجل هو نفسه. عندما يجد نفسه محاصرًا فى أحد الأركان، يتحين الفرصة ويتصرف فجأة ــ بجرأة ووقاحة واحتيال وتمكن ــ بالضبط مثلما يؤدى لعبة الورق؛ ففى لعبة الورق، وأيضا فى مقتل شايتانا، كان يجرب حظه طويلاً، ثم يلعب بقوة. وكانت الضربة قاصمة، وفى اللحظة الحاسمة.

"وعندما وصلت إلى التأكد بصورة تامة من أن روبرتس هو الفاعل، طلبت منى السيدة لوريمر الحضور لرؤيتها ـ وحاولت إقناعى بأنها هى من ارتكبت الجريمة! أنا تقريبا اقتنعت بحديثها! للحظة أو اثنتين صدقتها ـ ووقتها قامت خلاياى الرمادية بإثبات سيطرتها. لا يمكن أن يكون هذا حقيقيًا ـ لذلك فالأمر ليس كذلك!

لكن ما قالته، كان لا يزال صعبا.

"فقد أكدت لى أنها قد رأت بالفعل آن ميريديث ترتكب الجريمة.

"وفى صباح اليوم التالى ـ حين توقفت بجوار سرير المرأة الميتة ـ تأكدت أننى على حق وأن السيدة لوريمر كانت تقول الحقيقة أيضًا.

"لقد سارت آن ميريديث حتى وصلت للمدفأة ـ ورأت السيد شايتانا ميتا! وقد توقفت عنده ـ ربما لتمد يدها نحو الجزء اللامع من الدبوس المرصع بالجواهر.

"تحركت شفتاها لكى تصرخ، لكنها لم تصرخ. فقد تذكرت حديث شايتانا على العشاء، وربما يكون قد ترك بعض الملاحظات. لقد كان لدى آن ميريديث دافع لتمنى موته، وعندها سيقول كل الناس إنها قتلته، لذلك لم تجرؤ على الصراخ، وعادت إلى مقعدها وهى ترتعد خوفًا وفزعًا.

"لذلك فالسيدة لوريمر كانت على حق، حسبما اعتقدت، عندما قالت إنها رأت آن ترتكب الجريمة ـ لكننى كنت على حق أيضا؛ لأنها فى الحقيقة لم ترتكبها".

ثم أضاف: "لو أن روبرتس لم يخاطر بأوراقه فى هذا التوقيت، فإننى كنت سوف أشك فى إمكانية إثبات الجريمة ضده. ربما نجحنا فى هذا - بواسطة مزيج من الحيل الحاذقة والجريئة المتنوعة. فقد كنت سأحاول على كل حال.

"لكنه فقد أعصابه، ومرة أخرى جازف فى اللعب، وهنا أخطأ اللعب، وانهار بسخافة".

"مـا مـن شك فى أنـه لم يكن مرتاحًـا؛ فقـد كان يعلم أن المفتش باتل سيتحرى الأمر، فبدأ يتنبأ بالموقف الحاضر الذى سيحـدث إلى مـا لا نهايـة؛ فالشرطة مازالت تبحـث - وربما، بإحـدى المعجزات - تتوصل إلى آثار جرائمـه السابقة. لاحت له فكرة رائعة وهـى أن يجعل السيدة لوريمر هى كبش الفداء. خمن بنظرتـه المتمرسة أن السيدة لوريمـر مريضة ولن تطول فـترة حياتهـا. وكثيرًا مـا يحدث فى مثـل حالاتهـا أن تتعجل الموت، وقبل أن تفعلها - تعترف بارتكاب الجريمة! لذلك خطط للحصـول علـى أحـد مخطوطاتها - حيـث قـام بتزوير ثلاثة خطابات متطابقة ووصل إلى المنزل مسرعًا فى الصباح متعللا بقصـة الخطـاب الذى وصلـه لتوه. أمـر الخادمـة بالاتصال بالشرطـة؛ فـكل مـا كان يريده هـو بداية، وقد حصـل عليها. عندما يصل الطبيب الشرعى سيجد كل شىء قد تم. والدكتور روبرتس مستعد بقصة التنفس الصناعى التى فشل فيها؛ فكل شىء كان جديرًا جدا بالتصديق، وواضحًا للغاية.

"وأثناء كل ذلك، لم تكن لديه خطة لأن يلقى بالاتهام على آن ميريديث. حتى إنه لم يكن يعلم بموضوع زيارتها فى الليلة

السابقة. لقد كان يرمى إلى إقناع الجميع بنظرية الانتحار.

"وكانت فى الحقيقة لحظة مربكة عندما سألته عن مدى قدرته على التعرف على خط السيدة لوريمر؛ فلو تم اكتشاف التزوير، سيحاول إبعاد الشك عن نفسه بقوله إنه لا يعرف خط السيدة لوريمر. لقد كان عقله يعمل بسرعة، لكن ليس بالسرعة الكافية.

"قمت بالاتصال بالسيدة أوليفر من والينفورد، والتى لعبت دورها عن طريق تهدئة شكوكه وطلب حضوره إلى هنا. وهنا، وعندما يهنئ نفسه بأن كل شىء على ما يرام - على الرغم من أنه لم يتم على الصورة التى خطط لها تمامًا - تهب الرياح بما لا تشتهى سفن الدكتور روبرتس؛ إذ يظهر هيركيول بوارو! ثم - يضل المحظوظ طريقه، ويعترف بجريمته.

مرت فترة من الصمت. كسرتها رودا متنهدة ثم قالت: "يا له من حظ مدهش أن يتصادف حضور عامل تنظيف النوافذ فى هذا الوقت!".

"حـظ؟ حـظ؟ لم يكن ذلـك حظا يـا آنسة. إنهـا الخلايا الرمادية الخاصة بـ هيركيول بوارو. وهذا يذكرنى بـ...".

توجه نحو الباب.

وقال:"تفضل بالدخول - تفضل بالدخول، يا زميلى العزيز. لقد لعبت دورك ببراعة".

عاد مصطحبا عامل التنظيف، والذى يحمل الآن شعره الأحمر فى يده، ويبدو شخصًا مختلفًا تمامًا.

قـال بوارو:"دعونـى أقـدم لكـم صديقـى السيـد جيرالد

هيمنجواى، ممثل شاب واعد".

صرخت رودا قائلة: "إذن، لم يكن هناك أى عمال نظافة؟ ولم يره أى شخص وهو يرتكب الجريمة؟".

قال بوارو: "لقد رأيته؛ فبإمكان المرء أن يرى بعين العقل أكثر مما قد يراه بعين الجسد. عندما يتكئ المرء بظهره للخلف ويغلق عينيه...".

قال ديسبارد بمرح:

"دعينا نطعنه يا رودا، ونرى ما إذا كان شبحه سيعود ليكتشف من الذى فعلها أم لا".

تمت بحمد الله و توفيقه

أجاثا كريستي Agatha Christie

أوراق لعب على الطاولة



قال بوارو: "هذه القضية تمثل في نظري واحدة من أكثر القضايا التي قابلتها إثارة. فلا يوجد شيء تراه لكي تنطلق منه. وهناك أربعة أشخاص أحدهم هو الذي ارتكب الجريمة بالتأكيد، ولكن أيُّهُم؟ هل هناك أي شيء يمكن أن ينير لنا الطريق؟ في مسرح الجريمة - لا. لا يوجد أي دليل مادي ملموس - ولا أية بصمات - ولا أية أوراق أو وثائق تدين أحداً بالتورط في جريمة ما. لا يوجد إلا الأشخاص الأربعة أنفسهم".

في الواقع، تمثل هذه القصة مفهوم الجريمة "المحكمة" في أفضل صوره، فهي من نوعية القضايا التي برعت فيها السيدة كريستي، كما أن هذه القضية تمثل في حد ذاتها الاختبار الأمثل لفطنة وذكاء القارئ. أربعة أشخاص يلعبون الورق، وفي ذروة احتدام اللعب بينهم، يلقى مضيفهم - الذي كان يجلس في الخارج - مصرعه. ولا يمكن أن يكون قد لقي مصرعه إلا على يد واحد من هؤلاء الأربعة أثناء لعبهم الورق. ووفقا لسير الأحداث، كان أمام كل من الأربعة الفرصة لارتكاب الجريمة، فكل واحد منهم قد ارتكب جريمة ما في السابق على اختلاف مستويات تلك الجرائم، ولديه القدرة على ارتكاب جريمة .... أخرى.



6 281072 061999
282204544